

بَدَائِيَةُ الْهَدَايَةِ



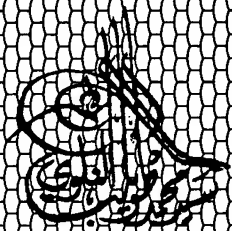
تَأَلِيفُ

العالم العلامة محبّ الإسلام وبركة الأنام
الإمام أبي حامدٍ مُحَمَّد بنِ مُحَمَّد بنِ مُحَمَّدٍ الغزالي

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)









بِذَاتِ الْهَلَالِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَيِّنَاتُ الْهَدَايَةِ

تَأَلَّفَ

الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ مَجْدُ الْإِسْلَامِ وَبَرَكَ الْأَنْامِ
الْإِمَامُ أَبُو حَسَنٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغِزَالِي

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)

طَبْعَةٌ مَقَابِلَةٌ عَلَى نَسْخَةٍ نَفِيسَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ عَهْدِ الْمُؤَلَّفِ

سَيِّدُ مُحَمَّدٍ طَرْيَقَةُ الْعُلُوِّ

دَارُ الْمَدِينَةِ

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه، وبأي شكل من الأشكال، أو نسخه، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه، وكذلك لا يسمح بالانقباص منه أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبقاً من الناشر

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م
جميع الحقوق محفوظة للناشر



دار المنهج

لبنان - بيروت - فاكس: ٧٨٦٢٣٠
ص. ب: ٥٥٧٤ / ١٣ / بيروت

دار المنهج للنشر والتوزيع

لصاحبها عمه عبدالمجيد باجحفيت
وفقه الله تعالى

جدة - هاتف: ٦٣٢٢٤٧١ - ٦٣١١٧١٠ - فاكس: ٦٣٢٠٣٩٢

مركز دعوتهم

- قطر: مكتبة الثقافة - قطر
هاتف: ٤١٣١٨٠ - ٤١٣٤٧١ - فاكس: ٤١٨١٢٠
- الكويت: دار البيان - الكويت
هاتف: ٢٦١٦٤٩٠ - فاكس: ٢٦١٦٤٩٠
- البحرين: المكتبة الوطنية - البحرين
هاتف: ٢٩٣٨٤٠ - فاكس: ٢٩٣٧٩٩
- مصر: دار السلام - القاهرة
هاتف: ٢٧٤١٥٧٨ - فاكس: ٢٧٤١٧٥٠
- الأردن: مكتبة داتديس - عمان
هاتف: ٤٦١٠٦١٠ - فاكس: ٤٦٣٣٢٤٥
- سوريا: دار السنايل - دمشق - هاتف: ٢٢٤٢٧٥٣
- المغرب: دار الأمان - الرباط
هاتف: ٢٢٣٢٧٦ - فاكس: ٢٠٠٠٥٥
- جمهورية اليمن: مكتبة تريم الحديثة - تريم (اليمن)
هاتف: ٤١٧١٣٠ - فاكس: ٤١٨١٣٠
- مكتبة الإرشاد - صنعاء - هاتف: ٢٧١٦٧٧
- ليبيا: مكتبة طرابلس العلمية العالمية - ليبيا
هاتف: ٣٦٠١٥٨٤ - ٣٦٠١٥٨٣ - فاكس: ٣٦٠١٥٨٥
- لبنان: الدار العربية للعلوم - بيروت
هاتف: ٧٨٥١٠٨ - ٧٨٥١٠٧ - فاكس: ٧٨٦٢٣٠

- السعودية: دار المنهج للنشر والتوزيع - جدة
هاتف: ٦٣١١٧١٠ - فاكس: ٦٣٢٠٣٩٢
- مكتبة دار كنوز المعرفة - جدة
هاتف: ٦٥١٠٤٢١ - فاكس: ٦٥١٦٥٩٣
- مكتبة المؤمن - جدة - هاتف: ٦٤٤٦٦١٤
- مكتبة الإيمان - المدينة المنورة - هاتف: ٨٢٢٥٨١٧
- مكتبة الميكان - الرياض
هاتف: ٤٦٥٠٠٧١ - ٤٦٥٤٢٤٤ - فاكس: ٤٦٥٠١٢٩
- مكتبة جوير - الرياض - هاتف: ٤٦٢٦٠٠٠
- وجميع فروعه داخل المملكة وخارجها
- مكتبة المصيف - الطائف - هاتف: ٧٣٣٠٢٤٨ - ٧٣٦٨٨٤٠
- مكتبة الزمان - المدينة المنورة - هاتف: ٨٣٦٦٦٦٦
- مكتبة الأسدي - مكة المكرمة - هاتف: ٥٥٧٠٥٠٦
- دار للتنمية - الرياض - هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦
- مكتبة المتنبي - الدمام - هاتف: ٨٤١٣٠٠٠
- الإمارات العربية المتحدة: مكتبة دبي للتوزيع - دبي
هاتف: ٢٢٢١١٩٤٩ - ٢٢٢٤٠٠٥ - فاكس: ٢٢٢٥١٣٧
- مكتبة الجامعة - أبو ظبي
هاتف: ٦٢٧٢٧٦٢ - ٦٢٧٢٧٩٥ - فاكس: ٦٢٧٠٧٢٩

انترنت - النبل والغرات

WWW.neelwafurat.com

e-mail: info@neelwafurat.com



عُنِيَ بِهِ

أنس محمد عدنان شرفاوي	عمر سالم باجخيف
محمد غسان نصوح عزقول	محمد نور عبد الرحمن كنجو

راجعه وصححه

حسين بن محمد بن هادي	علي باقطين
الدكتور محمد عبد الرحمن الأهدل	



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بين يدي الكتاب



الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ،
وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد :

فإن « بداية الهداية » اسمٌ طابق مسمّاه ، ومشعلٌ ينير
الدّرب للسّالك الأوّاه ، جنّاهُ دانيّ للمقتطفين ، ومنهله
عذبٌ سائغ للمتعطّشين ، تتفجّر من نصوصه ينابيع
الخير ، وتصبّ مزنة حِكَمِه في أودية الاستقامة .

كيف لا .. ومحبّر طروسه الأستاذ حجّة الإسلام ،
ونبراس الأعلام : أبو حامد الغزالي ، الذي انعقدت
الخصائص على علوّ كعبه ، وأشارت أعين الفضل إلى تقدّمه
في المعارف ، فأحيا الله به علوم الدّين ، وتهاوت أمام

تحريراته شبه الفلاسفة ، وردَّ الله به الزنادقة على أعقابهم
خاسئين؟! (١)

(١)

وهذا الكتاب على صغر حجمه : جمُّ الفوائد ، كثيرُ
العوائد ، عظيمُ النفع ، مباركُ المحتوى ، ينبعث منه
شذى الإلهام الربَّاني ، وتشعُّ سطوره بنور الإخلاص .

لذلك كان هذا الكتاب رفيقَ المبتدئين ، وسميرَ
الموفقين ، ومرشدَ الطالبين ؛ لأنَّ فيه أسس البدايات التي
تشدُّ القارىء إلى رياضه حين يضيء مصباح التَّوفيق .

(١) قال ابنُ النجار : أبو حامد إمامُ الفقهاء على الإطلاق ، وربَّانيُّ
الأمَّة بالاتفاق ، ومجتهدُ زمانه ، وعينُ أوانه ، برع في المذهب
والأصول والخلاف والجدل والمنطق ، وقرأ الحكمة والفلسفة ، وفهمَ
كلامهم ، وتصدَّى للردِّ عليهم ، وكان شديدَ الذكاء ، قويَّ الإدراك ،
ذا فطنة ثاقبة ، وغوص على المعاني . « سير أعلام النبلاء »
.. (٣٣٥ / ١٩)



(٢)

فلا غَرَوَ إِنْ رَأَيْنَا الْكِتَابَ قَدْ شَرَّقَ وَغَرَّبَ ، وَأَنْجَدَ
وَأَتَهُمْ ، وَلَا غَرَابَةَ إِنْ رَأَيْنَا تَزَاحَمَ أَقْلَامُ الْعُلَمَاءِ عَلَى مَائِدَةِ
مَتْنِهِ ، وَهِيَ مُعْنَقَةٌ إِلَى تَبْيَانِ مَعَانِيهِ ، وَإِبْرَازِ فَوَائِدِهِ .

فَمَلَكَهُ الْإِبْدَاعُ فِي التَّصْنِيفِ لَمْ يَفْزُ بِهَا إِلَّا ثَلَاثَةٌ مِنْ
أُولَئِكَ الصَّفَوَةِ ، وَكَانَ الْغَزَالِيُّ هُوَ الْمُجَلِّي فِي هَذَا
الْمِيدَانِ ، وَهُوَ فَارَسُ الْبَيَانِ ، وَالسَّابِقُ لِلْأَقْرَانِ .

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ : (كَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ
الْعُلُومَ فِي قُبَّةٍ وَأَطْلَعَ الْغَزَالِيَّ عَلَيْهَا) .

(٣)

وَيَحْسُنُ بِنَا هُنَا أَنْ نَشِيرَ إِلَى أَمْرِ حُمِلَ عَلَى غَيْرِ
مَحْمَلِهِ ، وَفُهِمَ عَلَى غَيْرِ مَعْنَاهُ ، وَهُوَ قَوْلُ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ
الْغَزَالِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : (إِنَّ بَضَاعَتِي مَزْجَاةٌ فِي عِلْمِ
الْحَدِيثِ) .

هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَجَّهَتْ مِنْ قَبْلِ الْبَعْضِ تَوْجِيهًا يُقْصَدُ مِنْهُ

التَّنْقِيسُ مِنْ قَدْرِ هَذَا الْإِمَامِ الْعَظِيمِ .

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ قَدْ قَالَهَا الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ
رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ بَابِ التَّوَاضُعِ .

وَمَنْ مِنَ الْأَئِمَّةِ قَالَ : إِنَّ بَضَاعَتَهُ كَامِلَةٌ فِي عِلْمِ
الْحَدِيثِ ؟ !

بَلْ مِنْ يَجْرُو عَلَى قَوْلِ ذَلِكَ ؟ !

إِنَّمَا إِذَا قَرَأْنَا سِيرَةَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ الْأَفْذَاذِ .. نَجِدُ فِيهَا
قَمَّةَ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ ، وَكَمَالَ التَّجَرُّبِ مِنَ الْحَوْلِ
وَالْقُوَّةِ ، وَالتَّمَثُّلِ الْكَامِلِ لِحَقِيقَةِ الْفَقْرِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ .

كَمَا نَجِدُ فِيهَا الْاسْتِشْعَارَ التَّامَّ لِمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

فَبِهَذَا وَمِثْلِهِ وَصَلُوا إِلَى مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ .

وَالْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِثَالَ كَبِيرٍ لَمَّا سَبَقَ .

وَكَلَّمَا عَرَفَ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ ، وَزَادَ تَعْظِيمَهُ
لَهُ .. ازْدَادَ احْتِقَاراً لِنَفْسِهِ وَانْتِقَاصاً لَهَا .

وكَلَّمَا خَاضَ فِي الْعِلْمِ وَتَوَسَّعَ فِيهِ .. كَلَّمَا ازْدَادَ
اِسْتِصْغَاراً لِعِلْمِهِ ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

كَلَّمَا أَذْبَنِي الدَّهْرَ رُأْرَانِي نَقَصَ عَقْلِي
وَإِذَا مَا ازْدَدْتُ عِلْماً زَادَنِي عِلْماً بِجَهْلِي

ثُمَّ إِنَّ حُجَّةَ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَاشَ فِي عَصْرِ مِنْ
عُصُورِ الْإِسْلَامِ الذَّهَبِيَّةِ ؛ عَصْرِ مَلِيٍّ وَمُشْحُونٍ بِالرِّجَالِ
الْفَطَاحِلِ ، وَالْأَثَمَةِ الْمُجْتَهِدِينَ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ سَلَّمُوا لَهُ
الْقِيَادَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ الَّذِي فِيهِ مَنْ فِيهِ .

فَمَا بَالُنَا فِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ الْجَرَاءَةُ ،
وَعُظُمَتْ فِيهِ الرِّزِيَّةُ .. نَنْتَقِدُ أَمْثَالَ أَوْلَئِكَ الْكِبَارِ؟!

فَانْتِقَادُ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ يَطْعَنُ بِمُنْتَقِدِيهِمْ ، لَا بِهِمْ ؛ كَمَا
قَالَ الشَّاعِرُ :

كُنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُوْهِنَهَا فَلَمْ يُضِرَّهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ
وَهَذَا الْإِنْتِقَادُ مَبْعَثُهُ الْجَهْلُ الْمُحَضَّرُ دُونَ شَكٍّ ؛ كَمَا
قِيلَ : (مَنْ قَلَّ عِلْمُهُ .. كَثُرَ انْتِقَادُهُ) .

ثُمَّ إِنَّ الْأُمَّةَ قَدْ أَجْمَعَتْ عَلَى أَنَّ حُجَّةَ الْإِسْلَامِ كَانَ هُوَ
مُجَدِّدَ الْمِئَةِ الْخَامِسَةِ .

ومعلوم أَنَّ المجدِّد يكون في قِمَّةِ الهرم المعرفي ،
ولاسيَّما فيما يتعلَّق بالعلوم الشرعيَّة والمعارف النَّقْلِيَّة .
فَمِنْ الْبُعْدِ بِمَكَانٍ أَنْ نَقُولَ : (إِنَّ الْإِمَامَ الْغَزَالِي كَانَ قَلِيلَ
المعرفة بعلوم الحديث)^(١) .

(١) وللإمام تاج الدِّين السَّبْكِ كَلَامٌ فِي غَايَةِ النَّفَاسَةِ وَالْأَهْمِيَّةِ ، يَنْبُئُ
عَنْ قَاعِدَةٍ عَظِيمَةٍ فِي مَعْرِفَةِ قَدْرِ الرِّجَالِ وَمَكَانَتِهِمُ الْعِلْمِيَّةِ .
قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي « طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ » (٢٠٢ / ٦) : (إِنَّ
الَّذِي يَحِبُّ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَى مَنْزِلَةٍ مِنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ فِي الْعِلْمِ .. يَحْتَاجُ إِلَى
الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ ؛ فَبِالْعَقْلِ يَمَيِّزُ ، وَبِالْفَهْمِ يَقْضِي .
وَلَمَّا كَانَ عِلْمُ الْغَزَالِيِّ فِي الْغَايَةِ الْقَصْوَى .. احْتَاجَ مِنْ يَرِيدُ
الاطِّلَاعَ عَلَى مَقْدَارِهِ فِيهِ أَنْ يَكُونَ هُوَ تَامًّا الْعَقْلُ .

وأقول : لَا بُدَّ مَعَ تَمَامِ الْعَقْلِ مِنْ مَدَانَةٍ مَرْتَبَتُهُ فِي الْعِلْمِ لِمَرْتَبَةِ
الْآخَرِ ، وَحَيْثُذِ فَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَ الْغَزَالِيِّ قَدْرَ الْغَزَالِيِّ ،
وَلَا مَقْدَارَ عِلْمِ الْغَزَالِيِّ .. إِلَّا بِمَقْدَارِ عِلْمِهِ ، أَمَّا بِمَقْدَارِ عِلْمِ الْغَزَالِيِّ ..
فَلَا ؛ إِذْ لَمْ يَجْعَ بَعْدَهُ مِثْلُهُ ، ثُمَّ الْمَدَانِيُّ لَهُ إِنَّمَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ بِقَدْرِ
مَا عِنْدَهُ ، لَا بِقَدْرِ الْغَزَالِيِّ فِي نَفْسِهِ .

والغزالي وإن كان شافعيّ المذهب إلّا أنّ الفوارق المذهبيّة تَضْمَحِلُّ إذا تناول المؤلف أصول العبادات ، أو تصدّى لذكر المنهي عنه شرعاً ، أو عرض علاقة العبد بخالقه وبني جنسه ، وهذه هي الخطوط العريضة لتقسيم محتوى « بداية الهداية » .

فالأمّة الإسلاميّة بمذاهبها تتفق في هذه الخطوط ، وتجتمع في مسلك متّحد .

لذلك فهذا الكتاب مطلب كلّ مسلم ، وبغية كلّ موفق بلا استثناء .

ثمّ إنّ الإمام حجّة الإسلام يتميّز بكونه أستاذ الآخرين في علم الاجتماع والنفس ، الخبير بأدوائها ، العارف

= سمعت الشّيخ الإمام - يعني : والده - يقول : لا يعرف قدر الشّخص في العلم .. إلّا من ساواه في رتبته ، وخالطه مع ذلك . قال : وإنّما يعرف قدره بمقدار ما أوتيّه هو .

بتقلباتها ، فهو ينطلق من حكمة البصير بتوارد الأحوال
على الأنفس ، فيصف الدَّواء النَّاجع لمرضى النفوس ،
ولا زالت نظرياته في هذا الميدان تدرّس وتبحث في ديار
المسلمين وغيرهم^(١) .

(١) قال الأستاذ أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى : (لقد رُزق
العالم الإسلامي في منتصف القرن الخامس الهجري هذه الشخصية
الفذة ، شخصية الغزالي ، وهي شخصية فريدة ، مستقلة التفكير ، قوية
التأثير ، تمتازُ بسلامة الفكر ، واتزان العقل ، وحصافة الرأي ، وعمق
النظر ، والثقة بالنفس... وقد استحقَّ الغزالي ببحوثه العميقة في
الأخلاق أن يُوضع في الصف الأول من علماء الأخلاق ، وأن يكون
موضع دراسة وعناية من الباحثين في علم الأخلاق ، وعلم النفس ،
والمؤرخين لهذا الموضوع...)

لا شكَّ أنَّ الغزالي من نوابغ الإسلام ، وعقوله الكبيرة ، ومن كبار
قادة الفكر الإسلامي... ومهما قيل فيه ، وقيل عنه .. فإنَّ إخلاصه
أسمى من أن يُشكَّ فيه ، وإنَّ علوَّ همته في جميع العلوم والنبوغ فيها ،
ثم علوَّ همته في طلب الحقيقة واليقين ، ثم علوَّ همته في طلب الآخرة
وتحقيق غاية الوجود... لا يزال موضع استغراب وتقدير وإكبارٍ من
الجميع ، وإنَّ ما خلَّفه من آثار وتراث علمي ثروة إسلامية لا يُستهان
بقيمتها ، ولا ينكر فضلها في عصرٍ من العصور) .

وهنا أمرٌ يحسن أن نشير إليه ، وهو أنَّ المؤلّف وضع برنامجاً ميسراً من منطلق معارفه يوافق المشارب كلّها ، على تنوعها واختلافها ، بحيث يستغرق هذا البرنامج ساعات اللّيل والنّهار ، وكافّة علاقاته مع نفسه وغيره ، وهو سهل التّطبيق على من وفقه الله تعالى .

(٥)

وبتوفيق من المولى تقدّست أسماؤه ، فقد عثرنا على أصل أصيل لهذا الكتاب ، ومستند عزيز له ؛ ممّا جعل إخراج هذا الكتاب - الّذي تكاثرت طبعاته وأغلاطه - على النّحو الّذي وضعه مؤلّفه .

فقد وفّقنا في العثور على مخطوطة كتبت سنة (٥٩٦ هـ) بخط عبد العزيز بن هبة الله بن عساكر ، وهي قريبة من عهد المؤلّف رحمه الله تعالى ، وعليها بعض تعليقات لأعلام ، ممّا يؤدّن بأن هذه النّسخة تداولها العلماء واحتفوا بها .

وإيغالا في التّوثيق استعنا بنسخ متعدّدة من مخطوطات

هَذَا الْكِتَابُ ، حَتَّى خَرَجَ النَّصُّ سَلِيمًا مِنْ عَوَادِي
التَّصْحِيفِ ، نَقِيًّا مِنْ شَوَائِبِ التَّرْقِيعِ ، فَلَهُ سُبْحَانَهُ الْحَمْدُ
وَالْمِنَّةُ .

وَهَا هِيَ دَارُ الْمُنْهَاجِ تَزْفُ إِلَى الْقُرَاءِ الْأَكَارِمِ هَذِهِ
الطَّبْعَةُ الْمُنَقَّحَةُ الْمُؤَثَّقَةُ تَتَهَادَى فِي ثَوْبٍ مِنَ التَّحْقِيقِ
الْأَنِيقِ ، وَالْإِخْرَاجِ الْقَشِيبِ .

وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ

الناشر

جَدَّةٌ فِي (١٢) ربيع الأول (١٤٢٤ هـ)

* * *

ترجمة الإمام حجة الإسلام الغزالي

اسمه :

هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي ، يكنى بأبي حامد ، ويلقب بحجة الإسلام .

ميلاده ونشأته :

ولد الإمام الغزالي سنة (٤٥٠ هـ) . في مدينة طوس من بلاد خراسان ، وكانت في ذلك العصر تزخر بالعلم والعلماء والصلحاء .

فنشأ في ذلك المحيط العلمي الصالح نشأةً صالحةً . وكانت أسرته أسرةً محافظةً متمسكةً بتعاليم الدين الحنيف ، فقد كان أبوه رجلاً صالحاً محباً للعلم والعلماء ، وكان لا يأكل إلا من عمل يده ؛ فكان يعمل في صناعة غزل الصوف ، ويمون نفسه وأسرته من عائد

ذلك العمل ، ويحضر مجالس العلماء ودروس الفقه والوعظ ، فكان إذا حضر دروس الفقه .. سأل الله تعالى أن يرزقه ابناً فقيهاً ، وإذا حضر دروس الوعظ .. سأل الله تعالى أن يرزقه ابناً واعظاً ؛ فاستجاب الله دعاءه ؛ فكان ابنه محمد أوفقه أهل زمانه ، وفارس ميدانه ، وكان ابنه الآخر أحمد واعظاً بليغاً مؤثراً ، اهتدى بوعظه الجم الغفير .

وقد قضى والدهما نحبه وهما صغيران ، ولما حضرته الوفاة أوصى بهما صديقاً له من أهل الخير والصلاح ، وقال له : (أريد استدراك ما فاتني من التعلم في ولدي هذين ، فعلمهما ولا عليك أن تنفق في سبيل ذلك جميع ما أخلفه لهما) . وقد وفى ذلك الوصي الصالح بالوصية ؛ فقام بتعليمهما إلى أن فني المال الذي تركه لهما والدهما ، فقال لهما : اعلمنا أنني قد أنفقت عليكم ما كان لكما من والدكما ، وأنا رجل فقير متجرد لا مال لي فأواسيكما به ، وأصلح ما أرى لكما أن تلتحقا بمدرسة ؛ فإنكما من طلبة العلم فتحصلا على مؤنتكما منها ، فأدخلهما المدرسة ، واندرجا في سلك طلبة العلم بتلك المدرسة ،

فكان ذلك هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهم .

وكان الإمام الغزالي يحكي ذلك ويقول : (طلبنا العلم لغير الله .. فأبى العلم إلا أن يكون لله) .

وكان نظام المدارس آنذاك يقضي بأن يكفل للطالب حاجته من المأكل والملبس والمسكن تشجيعاً للعلم وأهله .

طلبه للعلم :

كانت بداية تعلمه على يد صديق والده الذي أوصاه به وبأخيه أن يعلمهما ، ثم التحق بالمدرسة مع أخيه أحمد ، فأخذ فيها بنصيب طيب من التعليم الأولي في بلده طوس على الشيخ أحمد بن محمد الرازكاني ، ثم ارتحل إلى مدينة جرجان إلى الإمام أبي نصر الإسماعيلي لمواصلة الطلب والاستزادة من العلم والمعرفة .

وكان يدون ما يتلقاه من فوائد ونفائس في كراريس تسمى (التعليقات) ، شأنه في ذلك شأن الطالب الحريص الذي يدون العلم ويقيده .

وقد حكى صاحب الترجمة أنه أثناء عودته من جرجان إلى طوس أخذ اللصوص جميع ما معه ، وانتزعوا منه المخلاة التي فيها (التعليقة) والمذكرات قال : فتبعتهم ، وقلت : أسألکم أن تردوا علي تعليقاتي فقط ! فما هي شيء تنتفعون به ، فقالوا : وما هي تعليقاتك ؟ فقلت : كتب وأوراق في تلك المخلاة ، هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها . فقالوا : كيف تدعي معرفتها وقد غاب عنك علمها لما أخذناها منك ؟! ثم سلموها لي ، قال : فعددت ذلك موعظةً لي ، فلما وصلت إلى بلدي طوس أقبلت على حفظ جميع ما دونته وعلقته ، وصرت بحيث لو أخذ القطاع تعليقاتي لم أتجرد من علمي .

فهكذا كانت همة الإمام الغزالي منذ نشأته ، وأثناء طلبه للعلم ، وفي جميع مراحل حياته .

سفره إلى نيسابور وأخذه عن إمام الحرمين :

ثم ارتحل مرةً أخرى في صحبة جماعة من طلبة العلم ، قاصدين مدينة نيسابور كبرى مدن خراسان

وأعظمها غزارة وعمارةً بالعلم والعلماء والثقافات
الواسعة . وهناك بنيسابور لازم إمام الحرمين ، وأخذ
عنه ، وحفظ القرآن ، وجد واجتهد في طلب العلم
والمعارف ؛ حتى برع في الفقه وغيره ، وتوسع في ذلك
حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والأصول والمنطق
والحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك .

وكان عمره آنذاك ناهز الثامنة والعشرين ، وقد أحاط
بكلام أرباب تلك العلوم ، وتصدى للرد على مبطلهم ،
وإبطال دعاويهم .

تفوقه وبراعته :

ولما رأى شيخه إمام الحرمين ما أبداه الغزالي من
التفوق الذي بذ به أقرانه .. اختاره ليكون مساعداً له ،
يلقي الدروس على زملائه ، ويعلمهم في غيبة أستاذه وفي
حضوره أيضاً ، وقد وصفه إمام الحرمين فقال : (الغزالي
بحر مغدق، ولكنه لم يصل إلى تلك الدرجة العالية بالهويانا ،
بل بعظيم الجد والاجتهاد ، وتهذيب النفس ورياضتها) .

وها هو يقول عن نفسه ، في كتابه « المنقذ من الضلال » : (وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري غريزة وفطرة من الله وضعت في جبلتي لا باختياري وحيلتي) .

وبعد وفاة أستاذه وشيخه الأكبر إمام الحرمين .. ذهب قاصداً الوزير نظام الملك السلجوقي - فقد كان مجلسه بالمعسكر بنيسابور مجمع أهل العلم ومقصدهم ، وملاذهم ومحط رحالهم ؛ فناظر الغزالي كبار العلماء في مجلس نظام الملك ، وغلب الخصوم وظهر كلامه عليهم ، واعترفوا بفضلته وتلقاه نظام الملك بالقبول والإجلال والتعظيم كما هو معروف عنه من تعظيم العلم والعلماء ، وولاه التدريس والإدارة بمدرسته النظامية التي أنشأها في بغداد عاصمة الخلافة ، وطلب منه التوجه إلى بغداد لياشر مهام منصبه هناك .

قيامه بالتدريس والتعليم في المدرسة النظامية في بغداد :

تلبيةً لطلب الوزير نظام الملك قدم الإمام الغزالي إلى مدينة بغداد في شهر جمادى الأولى سنة (٤٨٤ هـ) ،

وباشر مهام عمله ، وقام بالتدريس في تلك المدرسة العظيمة ، وأعجب الناس غزارة علمه وجميل أسلوبه ، وكمال فضله ، وفصاحة لسانه ، وبلاغة منطقته ، وأقبلوا على الأخذ عنه والتعلم منه ، وانتفعوا بعلمه وحسن أدائه وبديع أسلوبه ، وصار بعد إمامة خراسان إمام العراق ، وكان له في قلوب الناس المكانة العالية والمنزلة الرفيعة ؛ فأحبوه وأجلوه ، وكان مسموع الكلمة ، ذائع الصيت ، تضرب به الأمثال ، فقد نشر العلوم وقام بالفتيا والتصنيف مدةً طويلةً ، وانتشرت تصانيفه المفيدة ، وعم بها النفع ، واشتهر بمناظراته القوية وما يقوم به من دحض لآراء الفلاسفة والمعتزلة والرافضة والباطنية وغيرهم من الفرق الضالة ، فأصبح بحق المشار إليه بالبنان ، والشخصية العالمية الفذة لا في عاصمة الخلافة بغداد والمناطق التابعة لها فحسب ، بل تجاوزها صيته إلى أبعد من ذلك ، فقد كان يستفتيه يوسف بن تاشفين صاحب مراكش بالمغرب ، ويطلب حضوره إلى مراكش لحضور المراسيم فيحضر .

وقد بلغ الإمام الغزالي إلى القمة في المكانة والشهرة العالمية والجاه العريض .. ينشر العلوم ، ويقوم بالتدريس في المدرسة النظامية ، كما يقوم بالفتيا لكل الاستفتاءات التي ترد إليه من شتى البلاد والأصقاع .

ويؤلف المؤلفات القيمة العظيمة ، وينظر الفرق الضالة ، ويدحض حججهم ، ويفند مزاعمهم ، ويهزمهم ، ويدافع عن الإسلام ، ويقارع بالحجج الدامغة أعداءه حتى عام (٤٨٨هـ) .

التحول المفاجيء من الشهرة إلى العزلة :

بينما كان الإمام الغزالي في أوج الشهرة والمظهر العظيم وذيوع الصيت .. إذا بالحال يتحول فجأة ؛ ففي منتصف عام (٤٨٨هـ) حصل ذلك التحول المفاجيء في حياة الإمام الغزالي ، وانقلب الأمر إلى حال آخر ، فقد اختار الإمام الغزالي العزلة ، وترك التدريس في المدرسة النظامية ، وسلك طريق الزهد والانقطاع عن مخالطة الناس - فكان يبدو عليه أنه مريض عليل بعلقة مجهولة قد

اعتقل منطقته ، وضعفت شهيته ؛ فلا يستطيع الأكل ،
ويئس أطباؤه من شفائه .

وفي أواخر سنة (٤٨٨هـ) خرج من بغداد مظهرًا
العزم على السفر إلى مكة المكرمة للحج وهو يسر في
نفسه السفر إلى الشام .

وها هو الإمام الغزالي يتحدث عن نفسه ويقول :
« (فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي
الآخرة قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة (٤٨٨هـ) ،
وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار ،
إذ قفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس ، فكنت
أجاهد نفسي أن أدرس يوماً واحداً تطيباً لقلوب الناس
الذين يترددون إلي ، فلا ينطق لساني بكلمة واحدة ،
ولا أستطيعها البتة ؛ حتى أورثت عقلة اللسان هذه حزناً
في القلب ، وقطع الأطباء طمعهم في علاجي ، ثم لما
أحسست بعجزتي ، وسقط بالكلية اختياري .. التجأت
إلى الله تعالى ، التجاء المضطر الذي لا حيلة له ،

فأجابني الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، وسهل على قلبي
الإعراض عن الجاه والمال والأولاد والأصحاب ،
وأظهرت العزم على الخروج إلى مكة وأنا أدبر في نفسي
السفر إلى الشام حذراً من أن يطلع الخليفة وجملته
الأصحاب على عزمي على المقام بالشام ؛ فتلطفت في
الخروج من بغداد على عزم أن لا أعود إليها ، ففارقت
بغداد ، وفرقت ما كان معي من المال ، ولم أدخر إلا قدر
الكفاف وقوت الأطفال .

وقد استناب أخاه أحمد في التدريس بنظامية بغداد ،
ودخل دمشق في بداية سنة (٤٨٩ هـ) ، فلبث فيها مدةً
في مسجد دمشق معتكفاً في منارته الغربية ، مغلقاً بابها
على نفسه ، وفي نفس السنة المذكورة (٤٨٩ هـ) ذهب
للحج والعمرة وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثم عاد إلى دمشق ، واعتكف بالمنارة الغربية من
الجامع الأموي ، واتخذها محلاً لإقامته وعبادته وتأليفه ،
واختار أن يعيش عيش التقشف ، ويحيا حياة الزهد

والورع ، يلبس الثياب الخشنة ، ويقلل مطعمه ومشربه ، ويروض نفسه ويحملها على المجاهدات في العبادات والأعمال الصالحات إلى أن لان له صعبها ، وفي تلك الأيام بدأ في تأليف كتابه العظيم « إحياء علوم الدين » الذي قال فيه الإمام الحداد رحمه الله :

وبوضعه الإحياء فاق فيا له من جامع وكمثله لم يوضع وكان يكثر الجلوس في زاوية الشيخ نصر المقدسي بالجامع الأموي ، وأخذ يصنف المصنفات القيمة النافعة التي أعظمها « الإحياء » ، ومنها « المنقذ من الضلال » وغير ذلك من الكتب المختصرة مثل : « الأربعين » وغيرها من الرسائل .

وبقي على هذه الحالة مقدار عشر سنين ، كما ذكر ذلك في كتابه « المنقذ من الضلال » ، وقد قضى تلك المدة في (دمشق) ، وكانت عزلة الإمام الغزالي مفاجأة كبرى لعلماء عصره الذين شاهدوا وعرفوا منزلته العظيمة ، حيث بلغ القمة في المكانة والشهرة والجاه والزعامة ؛

فصاروا يؤولون السبب ويقولون إنه شيء سماوي ، وليس له سبب إلا عين أصابت المسلمين فيه .

ويبين الإمام الغزالي ذلك في كتابه « المنقذ من الضلال » فيقول : (تفكرت في نيتي في التدريس ؛ فإذا هي غير خالصة لوجه الله ؛ بل باعثها ومحركها طلب الجاه ، وانتشار الصيت ؛ فتيقنت أنني على شفا جرف هار ، فلم أزل أفكر أصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوماً وأؤجل العزم يوماً ، أقدم رجلاً وأؤخر أخرى ، لا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرةً إلا ويحمل عليها جند الشهوة حملةً فيفرقها عشيّة ، فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها إلى المقام ، ومنادي الإيمان ينادي : الرحيل الرحيل ، فلم يبق من العمر إلا القليل ، وبين يديك السفر الطويل ، فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة « ٤٨٨ هـ ») .

وهكذا جرب الإمام الغزالي قبل عزله الدنيا بما فيها

من زينة الحياة وبهرجها ، والمال والجاه والمناصب العليا والتباهي والتفاخر ؛ فأدرك حقيقتها وآلامها ومشاكلها وشهواتها ، حلوها ومرها ، وتبين له أن كل ذلك لا يسعد الإنسان ، ولا يوفر له الاطمئنان والاستقرار إلى الله ومعرفته على الوجه الصحيح ؟ هو قطع كل علائق الدنيا عن القلب ؛ ليستطيع تقبل الأنوار الإلهية ، فقرر الانعزال والانزواء ، وترك الدنيا بما فيها وراء ظهره ، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى إثارةً للباقي على الفاني ، واختار ما هو الأفضل . . وهو العيش في رحاب الله ، لا يشغله عنه شيء لا مال ولا جاه .

عودة الإمام الغزالي إلى بلده طوس ماراً ببغداد :

بقي الإمام الغزالي على تلك الحالة من العزلة ، ومجاهدة النفس ، وتكليفها المشاق في سبيل العبادة والأعمال الصالحة ، وتأليف الكتب النافعة متخذاً من دمشق مقراً له حتى أواخر سنة (٤٩٩ هـ) ، وفي أواخر هذه السنة . . توجه عائداً إلى موطنه خراسان ، فمر أولاً

بمدينة بغداد ، ولم يقيم بها كثيراً ، وإنما مكث فترةً وجيزةً ، وعقد بها مجلساً للوعظ ، وحدث بكتابه « الإحياء » ، ثم غادر بغداد عائداً إلى وطنه ومسقط رأسه مدينة طوس ، وبها حط الرحال وألقى عصا التسيار ملازماً منزله ، مشغلاً كعادته بالعبادة والتأليف ، محافظاً على الوقت إلى أن كلفه فخر الملك بالتدريس في نظامية نيسابور ، وذلك في شهر ذي القعدة سنة (٤٩٩ هـ) ، فتكون المدة منذ مغادرته نظامية بغداد إلى معاودته التدريس بنظامية نيسابور إحدى عشرة سنة .

معاودته للتدريس في نظامية نيسابور :

بعد التجارب التي مر بها الإمام الغزالي من جاه الدنيا وزينتها إلى العزلة والتقشف ، ورياضة النفس ومجاهدتها ؛ حتى بلغ المرتبة التي اطمأن إليها من الصفاء والسعادة ومعرفة مكائد الشيطان وعيوب النفس ؛ حيث حققت العزلة أهدافها . . قرر العودة إلى الوطن والقيام بتعليم الناس ، وإفادة العلم ولا سيما وقد شعر بحاجة

الناس الماسة إلى ذلك ، فقد جاءه الوزير فخر الملك ابن نظام الملك وألح عليه غاية الإلحاح أن يقبل بتعيينه له للقيام بالتدريس في نظامية نيسابور إلى أن استجاب ؛ فانتقل إلى نيسابور في شهر ذي القعدة سنة (٤٩٩ هـ) ، وهناك قام بالتدريس في المدرسة النظامية بها .

وها هو يروي قصة عودته إلى التدريس في كتابه « المنقذ من الضلال » فيقول : (اتفق في شهور سنة (٤٩٩ هـ) أن كلفت بعد أن انعزلت ، ولازمت الزاوية اثنتي عشرة سنةً بالذهاب إلى نيسابور للتعليم ، ونشر الشريعة لما حصل من الركود والفتور في مجال العلم ونشره ، وقام بتأييد ذلك الأعضاء المخلصون ، وألحوا علي في ذلك ، وحصلت لي الإشارة الربانية في اليقظة والمنام بأن ذلك بداية خير وسبب لإحياء العلم والشريعة) .

وأدرك الغزالي بُعد كثير من الناس عن الدين ، وأن الحاجة ماسة إلى عودته إلى القيام بالتعليم ؛ فقرر العودة . ويقول أيضاً : (فلما رأيت أصنافاً من الخلق بلغ بهم الضعف في الإيمان إلى هذا الحد .. انقذ في نفسي أن

ذلك متعين علي في هذا الوقت ومحتم ، وقلت في نفسي : ماذا تغنيك الخلوة والعزلة ، وقد عم الداء ، ومرض الأطباء ، وأشرف الخلق على الهلاك ؟ !) .

العودة إلى طوس :

وقد استمر الغزالي على التدريس في نظامية نيسابور قرابة سنة - وهي سنة (٥٠٠هـ) - ثم ترك التدريس بنيسابور وعاد إلى بلده طوس ، وألقى بها عصا التسيار ، واتخذ بجوار منزله مدرسة لطلبة العلم ، وأقبل الناس على الأخذ عنه كما كانوا من قبل ، ووزع أوقاته على الحاضرين عنده من تدريس في شتى الفنون العلمية إلى تلاوة للقرآن ، إلى غير ذلك من الأعمال الجليلة ؛ بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته - هو ومن حوله - عن التحصيل والفائدة والازدياد من العلم والمعرفة .

ومع ما كان الإمام الغزالي يقوم به من نشر العلم .. كان أيضاً يقوم بأعباء الدعوة ، ويواجه ولاية الأمر والحكام بالموعظة والنصيحة ، وينكر عليهم ، ويكتب إليهم

بذلك ، ويردعهم عن الظلم ومخالفة الشرع الشريف .

وقد عاش الإمام الغزالي أثناء حكم السلاجقة الأتراك الذين حكموا أكثر مناطق العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري ، وكانوا سُنيّين ، ويعظمون العلم والعلماء ، ويتقبلون نصيحتهم وتوجيههم ، ومن عنايتهم بالعلم وإجلالهم للإمام الغزالي أنهم حاولوا بعد عودته إلى طوس أن يقنعوه بالعودة إلى التدريس في نظامية بغداد فاعتذر .

والمدرسة النظامية ببغداد تعدُّ بمثابة جامعة بناها الوزير نظام الملك السلجوقي ؛ لتكون في دار الخلافة مصدر إشعاع للعلم والمعارف ، ومنبعاً للفضل ، ومأوى للأئمة والعلماء ، ومقصداً لطلاب العلم .

تعرض الإمام الغزالي لأذى الحساد والأعداء :

لقد عانى الإمام الغزالي الكثير من أذى الحساد والأعداء وكيدهم ، فقد وشوا به عند السلطان سنجر حتى أجبره على الحضور من طوس إلى المعسكر بنيسابور ،

ولما فشل كيدهم ، وخابت حيلتهم .. عمدوا إلى كتبه
فدسوا فيها زيادات تخالف معتقد أهل السنة والجماعة .

وها هو حجة الإسلام يحدث عن ذلك ويقول : (ولما
استجبت الدعوة ، واستمر عمل التدريس ناشطاً ، وأخذ
طلاب العلم يفدون من نواحي العالم .. هاج حسد الحساد ،
ولم يجدوا أيّ طعن مقبول غير أنهم لبسوا الحق بالباطل ،
وغيروا كل ما في كتابي « المنقذ من الضلال » وكتابي « مشكاة
الأنوار » وأدخلوا فيهما كلمات كفر ، وأرسلوا الكتابين إلي
لأكتب عليهما الإجازة ؛ فألهمني الله .. فتصفحتهما ،
فاطلعت على تلييسهم ، وأطلع على ذلك أيضاً حاكم
خراسان ؛ فأمر بحبس المزور ، ثم نفاه من نيسابور - قال - :
كما دسوا أيضاً في كتابي « المنحول » كلمات تطعن في الإمام
أبي حنيفة) ، وحاشا الغزالي أن يطعن في الإمام أبي حنيفة .

شيوخ الإمام الغزالي :

قرأ الإمام الغزالي بمدينة طوس أولاً على أستاذه
الشيخ أحمد الرازكاني ، ثم على أستاذه في جرجان

إسماعيل ابن مسعدة ، ثم على أستاذه الأكبر بنيسابور إمام
الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني ، الذي لازمه
وجد عنده واجتهد فأعجب الأستاذ بتلميذه ، وأحبه
واحترمه ، واستمر معه يأخذ عنه كل العلوم ولا سيما
الفقه وأصوله إلى أن توفي إمام الحرمين سنة (٤٧٨ هـ)
وهو أعظم شيوخ الغزالي ، وله الدور الأكبر في تعليم
الغزالي وتدريبه في مختلف العلوم والمناظرة فيها ، فقد
أذن له في حياته أن يجلس على كرسيه ليدرس الطلبة أو
يعيد درس الإمام عليهم .

وأخذ الحديث عن محمد الحفصي المروزي ، وعن
الحاكم نصر الحاكمي ، وعن عبد الله الخواري ، وعن
محمد بن يحيى الزوزني ، وعن الشيخ نصر بن إبراهيم
المقدسي .

تلاميذ الغزالي :

ليس من السهل حصر وتعريف تلاميذ الإمام الغزالي
والآخذين عنه ؛ لكثرتهم ، والغزالي نفسه يقول : (وقد

مر علي أكثر من ألف طالب) .

ويقول تلميذه القاضي أبو بكر ابن العربي : (رأيت -
أي : الغزالي - ببغداد يحضر درسه نحو أربع مئة عمامة
من أكابر الناس وفضلائهم يأخذون عنه العلم) .

فمن تلاميذه : إبراهيم بن مظهر الجرجاني السباك ،
والقاضي أبو نصر البهوني ، وأبو الفتح أحمد بن علي
برهان ، والحسين بن نصر الجهني ، وخلف بن أحمد ،
ودغش النعيمي ، وأبو الوفاء رستم بن سعد الخواري ،
والرضي بن مهدي الزيدي ، وسعد الخير البلنسي ،
وسعيد بن محمد الرزاز ، وشافع بن عبد الرشيد
الجيلي ، وعامر بن دغش الأنصاري ، وعبد الكريم بن
علي الرازي ، وعلي بن محمد بن حمويه الجويني ،
وعلي بن مسلم السلمي ، ومحمد بن عبد الله المعروف
بالقاضي أبي بكر ابن العربي المالكي ، وأبو حامد
محمد بن عبد الملك الجوسقاني الإسفراييني .

مؤلفاته :

يعد الإمام الغزالي من العلماء المكثرين في مجال التأليف ، فقد بارك الله في عمره ووقته وعلمه ، فألف كتباً كثيرةً في مختلف العلوم والفنون باللغة العربية وباللغة الفارسية ، وذكروا أنهم أحصوا الكتب التي ألفها ووزعت على عمره فخص كل يوم أربعة كراريس ، وذلك من بركة العمر التي يمنحها الله لمن شاء من عباده ، وقد ترجم كثير من كتبه إلى اللغات الأجنبية ، ونكتفي هنا بذكر بعض مؤلفاته :

« الوسيط » ، و« البسيط » ، و« الوجيز » ،
و« الخلاصة » وهذه كلها في الفقه .

و« المنحول » ، و« شفاء الغليل » ، و« تهذيب
الأصول » ، و« المستصفى من علم الأصول » ، و« إحياء
علوم الدين » ، و« منهاج العابدين » ، و« المنقذ من
الضلال » ، و« تهافت الفلاسفة » ، و« بداية الهداية » ،
و« المقصد الأسنى » ، و« الرد على الباطنية » ، وغيرها .

تواضعه :

ومع ما بلغه الإمام الغزالي من سعة العلم وكثرة المصنفات ، ومع ما حصل به وبكتبه من عظيم النفع .. فقد كان عظيم التواضع ، شأنه في ذلك شأن العلماء الذين هم كالأشجار المثمرة ، كلما زادت ثمارها .. زاد انحنأؤها .

فقد قال ابن السمعاني : (قرأت في كتاب كتبه الغزالي إلى أبي حامد أحمد بن سلامة بالموصل فقال في خلال فصوله : « أما الوعظ : فلا أرى نفسي أهلاً له ؛ لأن الوعظ زكاة نصابه الاتعاض ، فمن لا نصاب له .. كيف يخرج الزكاة ، وفاقدا الثوب .. كيف يستر غيره ، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج ؟ ») .



خاتمة

ولقد اتفق جمهور المترجمين للغزالي على إمامته ، وانطلقت الألسن بالثناء عليه ، وشهد له المخالف والموافق بالتقدم والكمال ، كما شهد العلماء من معاصريه بفضله وتمكنه ، لم تر العيون مثله بياناً ومنطقاً وذكاءً وطبعاً ، فهو أنظر أهل زمانه ، وأوحد أقرانه ، لقد ذاع صيته في الآفاق ، وأعجب الجميع بتدريسه ومناظرته ، وصار بعد إمامة خراسان إمام العراق .

وهو مجدد القرن الخامس الهجري . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها » .

فكان في المئة الأولى : عمر بن عبد العزيز ، وفي المئة الثانية : الإمام الشافعي ، وفي الثالثة : الأشعري أو ابن سريج ، وفي الرابعة : الإسفرايني ، وفي الخامسة : حجة الإسلام الغزالي .

قال السيوطي : وليس في كونه مجدداً تردد .

وما زال الإمام الغزالي طيلة عمره المبارك علماً يهتدى به ينشر العلوم ، ويفتي ويؤلف ويرشد ويقارع المبتدعة من الفرق الضالة إلى أن توفاه الله بمسقط رأسه مدينة طوس يوم الإثنين رابع عشر شهر جمادى الآخرة سنة (٥٠٥ هـ) .

رحمه الله ورضي عنه وأرضاه .

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ،
والحمد لله رب العالمين .

جمعه وكتبه راجي عفوه

حسين بن محمد بن هادي السقاف

في (٢٠) جمادى الآخرة (١٤١٤ هـ)



وصف النسخ النخطية

اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب على النسخ التالية :

- النسخة الأولى - وهي المعتمدة أصلاً في التحقيق ،
ورمزنا لها بـ (أ) - : تقع في (٣١) ورقة ، وعدد
سطورها (١٩) سطراً ، متوسط عدد كلمات السطر
(١٣) كلمة ، خطها نسخي معتاد مشكول .

كتبت هذه النسخة سنة (٥٩٦ هـ) - أي : بعد وفاة
الإمام الغزالي رحمه الله بـ (٩١) عاماً - بخط عبد العزيز
بن هبة الله بن عساكر القيسراني ، وهي ضمن مجموع قيم
ضم الكتب التالية : « أسباب النزول » للإمام الواحدي ،
و« الأربعون حديثاً » للإمام الحافظ أبي بكر الآجري ،
و« الأربعون حديثاً » للشيخ الحافظ الحسن بن سفيان
النسوي ، و« بداية الهداية » . وهو كتابنا هذا .

وبتوفيق من الله تعالى حصلنا على هذه النسخة الهامة من مكتبة خاصة بحضرموت . فله الحمد والمنة .

- النسخة الثانية - ورمزنا لها بـ (ب) - : تقع في (٢٠) ورقة ، وعدد سطورها (٢١) سطراً ، متوسط عدد كلمات السطر (١٧) كلمة ، خطها نستعليق مائل إلى الشكسته .

وهذه النسخة من مقتنيات جامعة برنستون في ولاية نيوجرسي بأمريكا برقم (m62a) ، ضمن مجموع ضم : « بداية الهداية » ، و« منهاج العابدين » للمؤلف نفسه رحمه الله تعالى ، وكتب هذا المجموع سنة (١٠٨٧ هـ) .

- النسخة الثالثة - ورمزنا لها بـ (ج) - : تقع في (٤٢) ورقة ، عدد سطورها (١٥) سطراً ، متوسط عدد كلمات السطر الواحد (١٢) كلمة ، خطها نسخي مستعجل مشكول .

وهذه النسخة من مقتنيات المتحف البريطاني برقم (١٧٩٥١ / ١-٢) ، كتبت سنة (٨٠٠ هـ) ، وهي ضمن

مجموع حوى : « بداية الهداية » ، و« منهاج العابدين » .

- النسخة الرابعة - ورمزنا لها ب (د) - : تقع في (٢٨) ورقة ، متوسط عدد سطورها (١٩) سطراً ، متوسط عدد كلمات السطر الواحد (١٤) كلمة ، خطها نسخي جميل مشكول ، كتبت سنة (٩٠٣ هـ) .

وهذه النسخة من مكتبة خاصة بشبام حضرموت ، بخط عبد الله بن أبي بكر ، وهي ضمن مجموع قيم ضم : « بداية الهداية » ، و« الأربعين النووية » ، و« منهاج العابدين » .



منهج العمل في الكتاب

- عارضنا الكتاب على أصوله الخطية الأربعة ، واعتمدنا المخطوط (أ) أصلاً في ذلك .
- ضبطنا النصّ بالشكل الكامل ، وربطناه بعلامات الترقيم المناسبة ؛ تسهيلاً للقارئ على فهم الكتاب ما أمكن .
- دوّنّا معظم الحواشي الواردة في (أ) لأهميّتها ، مع إحالتها إلى مصادرهما المطبوعة والمخطوطة .
- وضعنا شرحاً مبسّطاً لبعض المفردات والعبارات .
- خرّجنا أحاديث الكتاب حسب المنهج المتبع لدى الدار بطريقة الترميز ؛ لئلا يخرج الكتاب عن مقصوده وصبغته .
- وقد يجد القارئ الكريم أن بعض كلام الإمام الغزالي

يشير إلى حديث أو أثر ، وهذه عادة بعض السلف رحمهم الله في التصنيف ؛ حيث إنهم يضمنون عباراتهم نصّ الحديث أو معناه ؛ كما فعله الإمام البخاري رضي الله تعالى عنه كثيراً في تبويبه للجامع الصحيح ؛ لذلك لم نشر إلى هذا هنا .

وختاماً نسأل الله تعالى أن يكون عملنا في هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يكتب لنا فيه القبول والنفع . آمين .

والحمد لله ربّ العالمين

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم



رموز التخرج المعتمدة في هذا الكتاب

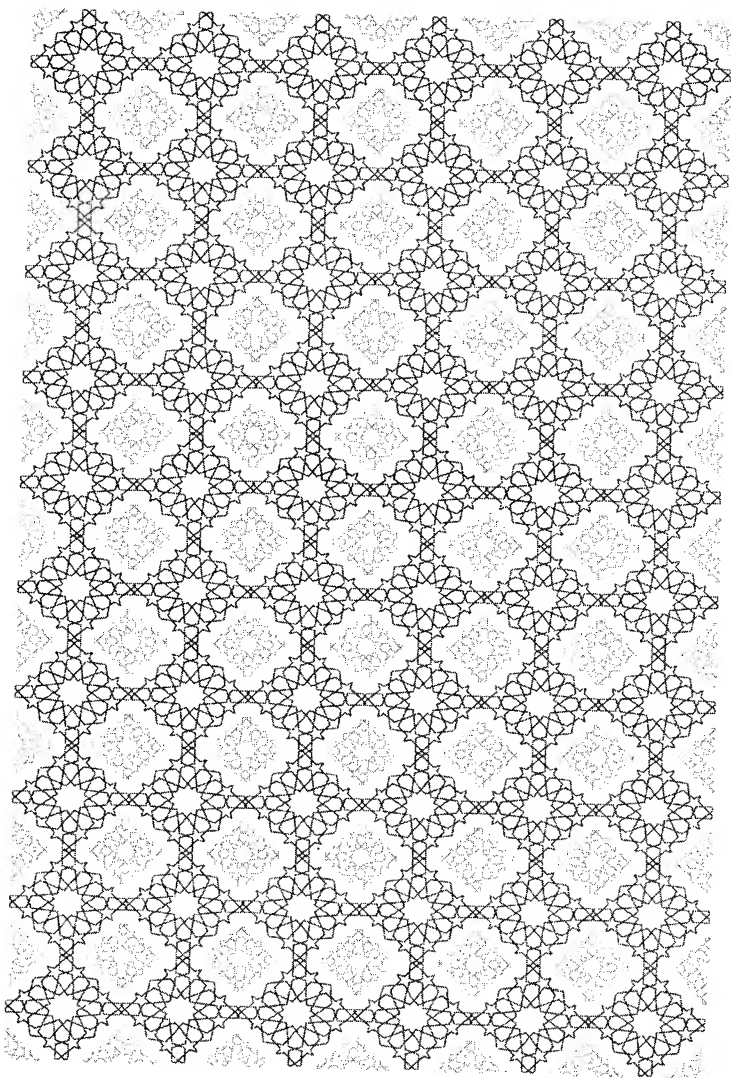
آداب	آداب المريدين	صفحة
إحياء	إحياء علوم الدين	جزء و صفحة
أذكار	الأذكار للنووي	صفحة
بركة	البركة في فضل السعي والحركة	صفحة
بغية	بغية المسترشدين	جزء و صفحة
ترغيب	الترغيب والترهيب	رقم
ت	سنن الترمذي	رقم
حب	ابن حبان « الإحسان »	رقم
حلية	حلية الأولياء	جزء و صفحة
حم	مسند الإمام أحمد ابن حنبل	جزء و صفحة
خ	صحيح البخاري	رقم

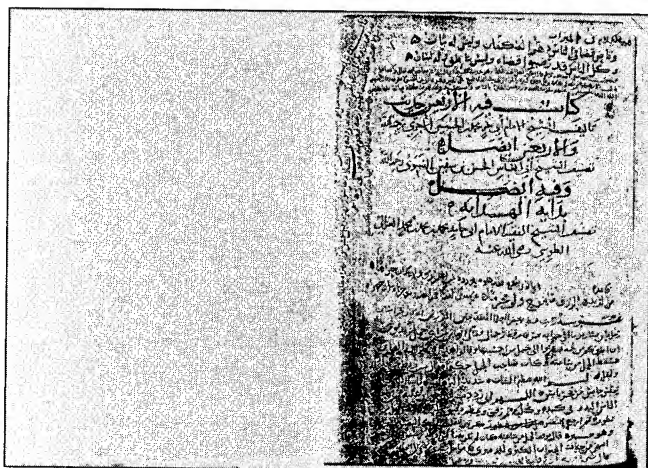
خد	الأدب المفرد	رقم
خز	صحيح ابن خزيمة	رقم
د	سنن أبي داود	رقم
رياض	رياض الأنس	فصول
زهدمبا	الزهد لابن المبارك	رقم
سني	عمل اليوم والليلة	رقم
ش	مصنف ابن أبي شيبة	جزء و صفحة
شهاب	مسند الشهاب	رقم
صفة	صفة الصفوة	جزء و صفحة
ط	الموطأ	رقم
طب	المعجم الكبير	جزء و صفحة
طبري	تفسير الطبري	جزء و صفحة
طس	المعجم الأوسط	رقم
طص	المعجم الصغير	رقم
فتح	فتح الباري	جزء و صفحة

فر	مسند الفردوس	رقم
فيض	فيض القدير	جزء وصفحة
ق	سنن ابن ماجه	رقم
قط	سنن الدارقطني	جزء وصفحة
ك	المستدرک للحاکم	جزء وصفحة
لسان	لسان الميزان	جزء وصفحة
م	صحيح مسلم	رقم
مصاييح	مصاييح السنة	جزء وصفحة
نوادير	نوادير الأصول	جزء وصفحة
هب	شعب الإيمان	رقم

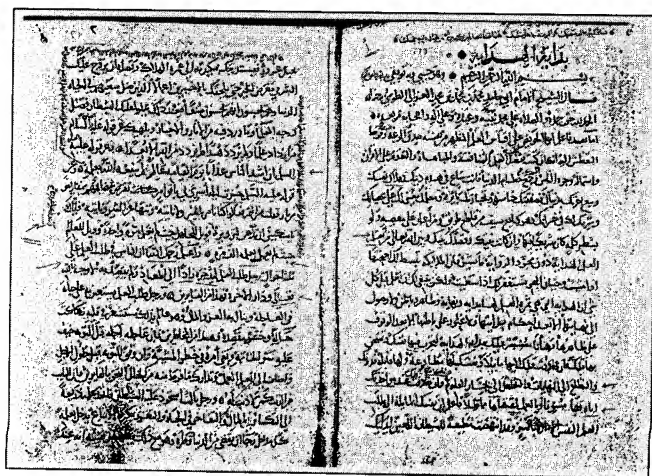
* * *

صور المخطوطات المتعان بها

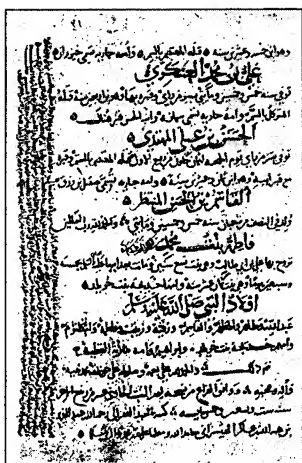




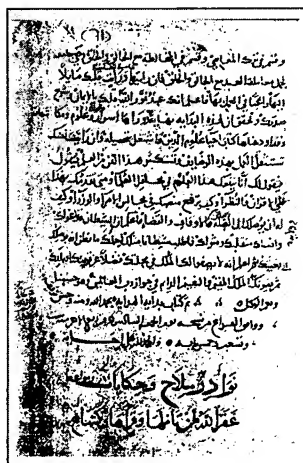
مراومر وورقة العنوان للنسخة (أ)



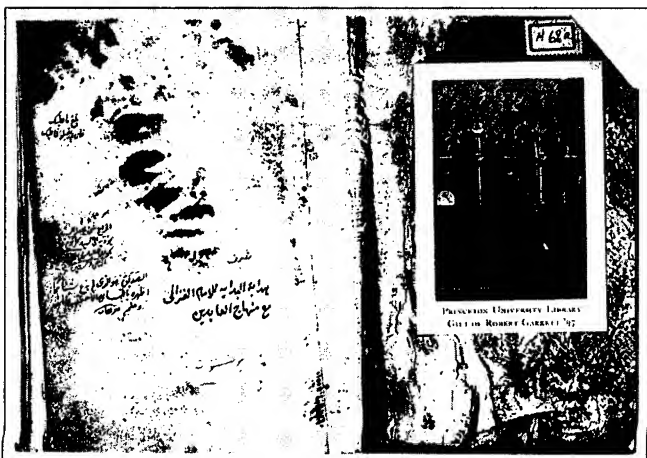
مراومر الورقة الأولى للنسخة (أ)



مراونر الورقة الأخيرة للمجموع (أ)



مراونر الورقة الأخيرة للنسخة (أ)



مراونر ورقة العنوان للنسخة (ب)

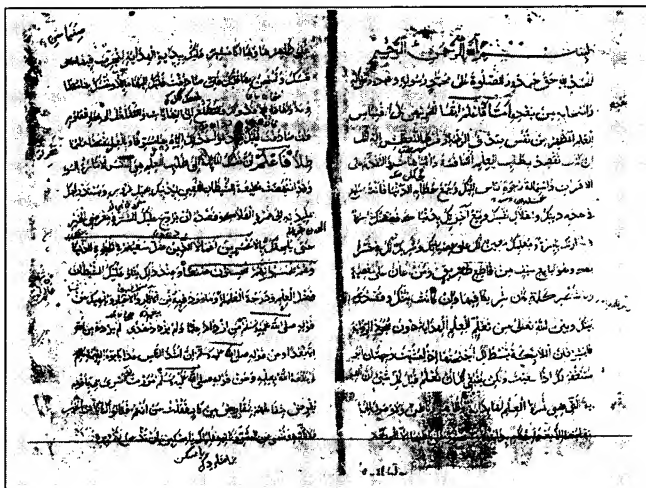
[illegible]

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰
 ۲۰۱
 ۲۰۲
 ۲۰۳
 ۲۰۴
 ۲۰۵
 ۲۰۶
 ۲۰۷
 ۲۰۸
 ۲۰۹
 ۲۱۰
 ۲۱۱
 ۲۱۲
 ۲۱۳
 ۲۱۴
 ۲۱۵
 ۲۱۶
 ۲۱۷
 ۲۱۸
 ۲۱۹
 ۲۲۰
 ۲۲۱
 ۲۲۲
 ۲۲۳
 ۲۲۴
 ۲۲۵
 ۲۲۶
 ۲۲۷
 ۲۲۸
 ۲۲۹
 ۲۳۰
 ۲۳۱
 ۲۳۲
 ۲۳۳
 ۲۳۴
 ۲۳۵
 ۲۳۶
 ۲۳۷
 ۲۳۸
 ۲۳۹
 ۲۴۰
 ۲۴۱
 ۲۴۲
 ۲۴۳
 ۲۴۴
 ۲۴۵
 ۲۴۶
 ۲۴۷
 ۲۴۸
 ۲۴۹
 ۲۵۰
 ۲۵۱
 ۲۵۲
 ۲۵۳
 ۲۵۴
 ۲۵۵
 ۲۵۶
 ۲۵۷
 ۲۵۸
 ۲۵۹
 ۲۶۰
 ۲۶۱
 ۲۶۲
 ۲۶۳
 ۲۶۴
 ۲۶۵
 ۲۶۶
 ۲۶۷
 ۲۶۸
 ۲۶۹
 ۲۷۰
 ۲۷۱
 ۲۷۲
 ۲۷۳
 ۲۷۴
 ۲۷۵
 ۲۷۶
 ۲۷۷
 ۲۷۸
 ۲۷۹
 ۲۸۰
 ۲۸۱
 ۲۸۲
 ۲۸۳
 ۲۸۴
 ۲۸۵
 ۲۸۶
 ۲۸۷
 ۲۸۸
 ۲۸۹
 ۲۹۰
 ۲۹۱
 ۲۹۲
 ۲۹۳
 ۲۹۴
 ۲۹۵
 ۲۹۶
 ۲۹۷
 ۲۹۸
 ۲۹۹
 ۳۰۰
 ۳۰۱
 ۳۰۲
 ۳۰۳
 ۳۰۴
 ۳۰۵
 ۳۰۶
 ۳۰۷
 ۳۰۸
 ۳۰۹
 ۳۱۰
 ۳۱۱
 ۳۱۲
 ۳۱۳
 ۳۱۴
 ۳۱۵
 ۳۱۶
 ۳۱۷
 ۳۱۸
 ۳۱۹
 ۳۲۰
 ۳۲۱
 ۳۲۲
 ۳۲۳
 ۳۲۴
 ۳۲۵
 ۳۲۶
 ۳۲۷
 ۳۲۸
 ۳۲۹
 ۳۳۰
 ۳۳۱
 ۳۳۲
 ۳۳۳
 ۳۳۴
 ۳۳۵
 ۳۳۶
 ۳۳۷
 ۳۳۸
 ۳۳۹
 ۳۴۰
 ۳۴۱
 ۳۴۲
 ۳۴۳
 ۳۴۴
 ۳۴۵
 ۳۴۶
 ۳۴۷
 ۳۴۸
 ۳۴۹
 ۳۵۰
 ۳۵۱
 ۳۵۲
 ۳۵۳
 ۳۵۴
 ۳۵۵
 ۳۵۶
 ۳۵۷
 ۳۵۸
 ۳۵۹
 ۳۶۰
 ۳۶۱
 ۳۶۲
 ۳۶۳
 ۳۶۴
 ۳۶۵
 ۳۶۶
 ۳۶۷
 ۳۶۸
 ۳۶۹
 ۳۷۰
 ۳۷۱
 ۳۷۲
 ۳۷۳
 ۳۷۴
 ۳۷۵
 ۳۷۶
 ۳۷۷
 ۳۷۸
 ۳۷۹
 ۳۸۰
 ۳۸۱
 ۳۸۲
 ۳۸۳
 ۳۸۴
 ۳۸۵
 ۳۸۶
 ۳۸۷
 ۳۸۸
 ۳۸۹
 ۳۹۰
 ۳۹۱
 ۳۹۲
 ۳۹۳
 ۳۹۴
 ۳۹۵
 ۳۹۶
 ۳۹۷
 ۳۹۸
 ۳۹۹
 ۴۰۰
 ۴۰۱
 ۴۰۲
 ۴۰۳
 ۴۰۴
 ۴۰۵
 ۴۰۶
 ۴۰۷
 ۴۰۸
 ۴۰۹
 ۴۱۰
 ۴۱۱
 ۴۱۲
 ۴۱۳
 ۴۱۴
 ۴۱۵
 ۴۱۶
 ۴۱۷
 ۴۱۸
 ۴۱۹
 ۴۲۰
 ۴۲۱
 ۴۲۲
 ۴۲۳
 ۴۲۴
 ۴۲۵
 ۴۲۶
 ۴۲۷
 ۴۲۸
 ۴۲۹
 ۴۳۰
 ۴۳۱
 ۴۳۲
 ۴۳۳
 ۴۳۴
 ۴۳۵
 ۴۳۶
 ۴۳۷
 ۴۳۸
 ۴۳۹
 ۴۴۰
 ۴۴۱
 ۴۴۲
 ۴۴۳
 ۴۴۴
 ۴۴۵
 ۴۴۶
 ۴۴۷
 ۴۴۸
 ۴۴۹
 ۴۵۰
 ۴۵۱
 ۴۵۲
 ۴۵۳
 ۴۵۴
 ۴۵۵
 ۴۵۶
 ۴۵۷
 ۴۵۸
 ۴۵۹
 ۴۶۰
 ۴۶۱
 ۴۶۲
 ۴۶۳
 ۴۶۴
 ۴۶۵
 ۴۶۶
 ۴۶۷
 ۴۶۸
 ۴۶۹
 ۴۷۰
 ۴۷۱

مرا موز الورقة الأولى للنسخة (ب)

[illegible][illegible]

مرامون الورقة الأخيرة للنسخة (ب)



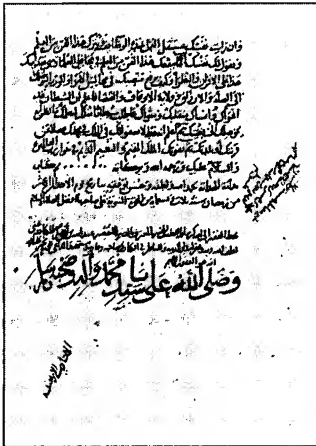
مراومر الورقة الأولى للنسخة (ج)



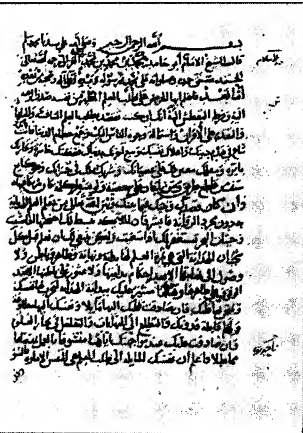
مراومر الورقة الأخيرة للنسخة (ج)



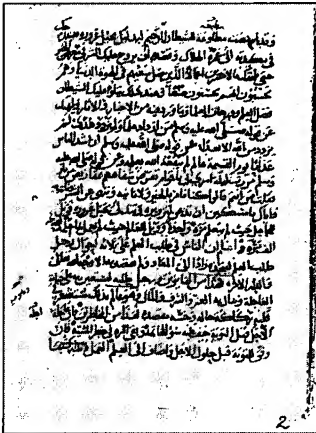
مراونر و مرقه العنوان للنسخه (د)



مراونر الورقه الاخيره للنسخه (د)



مراونر الورقه الاولى للنسخه (د)



مراونر الورقه الاولى للنسخه (د)





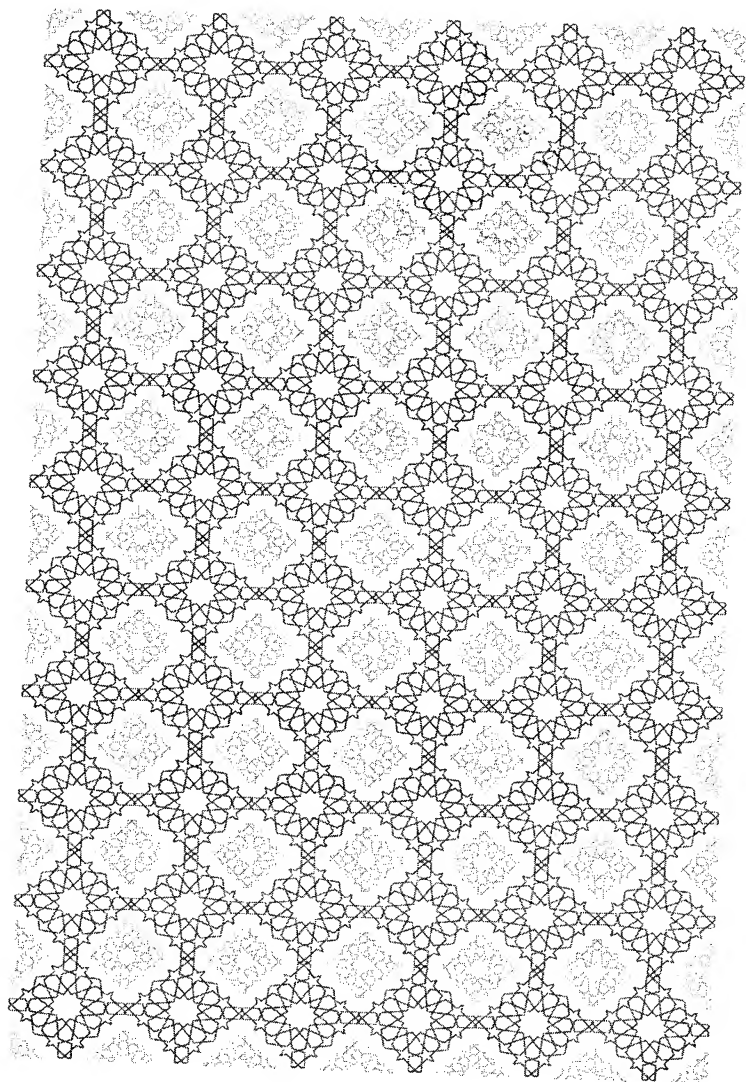
بَدَائِيَةُ الْهَدَايَةِ

تَأَلَّفَ

الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ مَجْدُ الْإِسْلَامِ وَبَرَكَتُهُ الْأَنْفَامِ
الْإِمَامُ أَبُو نَحْأَمْدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغِزَالِي

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قل ان الهى هى الله

[خطبة الكتاب]

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ
رَسُولِهِ وَعَبْدِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْحَرِيصُ عَلَى اقْتِبَاسِ الْعِلْمِ ، الْمُظْهَرُ مِنْ
نَفْسِهِ صِدْقَ الرَّغْبَةِ فِيهِ ، وَفَرَطَ التَّعَطُّشِ إِلَيْهِ : أَنَّكَ إِنْ
كُنْتَ تَقْصِدُ بَطْلَبِ الْعِلْمِ الْمُنَافَسَةَ ، وَالْمُبَاهَاةَ ، وَالتَّقَدُّمَ
عَلَى الْأَقْرَانِ ، وَأَسْتِمَالَةَ وُجُوهِ النَّاسِ إِلَيْكَ ، وَجَمْعَ
حُطَامِ الدُّنْيَا .. فَأَنْتَ سَاعٍ فِي هَدْمِ دِينِكَ ، وَإِهْلَاكِ
نَفْسِكَ ، وَبَيْعِ آخِرَتِكَ بِدُنْيَاكَ .

فَصَفَقْتُكَ خَاسِرَةً ، وَتِجَارَتُكَ بَاطِلَةٌ ، وَمُعَلِّمُكَ مُعِينٌ
لَكَ عَلَى عِصْيَانِكَ ، وَشَرِيكَ لَكَ فِي خُسْرَانِكَ ، وَهُوَ
كَبَائِعِ سَيْفٍ مِنْ قَاطِعِ طَرِيقٍ ، وَمَنْ أَعَانَ عَلَى مَعْصِيَةٍ وَلَوْ
بِشَطْرِ كَلِمَةٍ .. كَانَ شَرِيكًا فِيهَا .

وَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُكَ وَقَصْدُكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ
تَعْلَمِ الْعِلْمِ : الْهِدَايَةُ دُونَ مُجَرَّدِ الرِّوَايَةِ .. فَأُبَشِّرُ ؛ فَإِنَّ
الْمَلَائِكَةَ تَبْسُطُ لَكَ أَجْنِحَتَهَا إِذَا مَشَيْتَ ، وَحِيتَانِ الْبَحْرِ
تَسْتَغْفِرُ لَكَ إِذَا سَعَيْتَ .

وَلَكِنْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنَّ الْهِدَايَةَ -
الَّتِي هِيَ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ - : لَهَا بَدَايَةٌ وَنِهَايَةٌ ، وَظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ .
وَلَا وُصُولَ إِلَى نِهَائِهَا إِلَّا بَعْدَ إِحْكَامِ بَدَايَتِهَا ، وَلَا
عُثُورَ عَلَى بَاطِنِهَا إِلَّا بَعْدَ الْوُقُوفِ عَلَى ظَاهِرِهَا .
وَهَا أَنَا مُشِيرٌ عَلَيْكَ بِبَدَايَةِ الْهِدَايَةِ ؛ لِتَجَرَّبَ فِيهَا
نَفْسُكَ ، وَتَمْتَحِنَ بِهَا قَلْبُكَ .

فَإِنْ صَادَفْتَ قَلْبَكَ إِلَيْهَا مَائِلًا ، وَنَفْسَكَ بِهَا مُطَاوِعَةً ،
وَلَهَا قَابِلَةً .. فَذُونَكَ وَالتَّطَلَّعَ إِلَى النِّهَايَاتِ ، وَالتَّغْلُغَ
إِلَى بَحَارِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ .

وَإِنْ صَادَفْتَ قَلْبَكَ عِنْدَ مُوَاخَذَتِكَ إِثَابُهُ بِهَا مُسَوِّفًا ،
وَبِالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا مُمَاطِلًا .. فَأَعْلَمْ أَنَّ نَفْسَكَ الْمَائِلَةَ إِلَى
طَلَبِ الْعِلْمِ هِيَ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ ، وَقَدْ أَنْتَهَضَتْ
مُطِيعَةً لِلشَّيْطَانِ اللَّعِينِ ، لِيُدَلِّيكَ بِحَبْلِ غُرُورِهِ ^(١) ،
فَيَسْتَدْرِجَكَ بِمَكِيدَتِهِ إِلَى غَمْرَةِ الْهَلَاكِ ، وَقَصْدُهُ أَنْ يُرَوِّجَ
عَلَيْكَ الشَّرَّ فِي مَعْرِضِ الْخَيْرِ حَتَّى يُلْحِقَكَ بِالْأَخْسَرِينَ
أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا .

وَعِنْدَ ذَلِكَ يَتْلُو عَلَيْكَ الشَّيْطَانُ فَضْلَ الْعِلْمِ وَدَرَجَةَ
الْعُلَمَاءِ ، وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ ، وَيُلْهِيكَ عَنْ

(١) أي : ليوصلك بحبل غروره .

قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَزْدَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزِدْ هُدًى .. لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا » .

وَعَنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعُهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ »^(١) [مب ١٧٧٨] .

وَعَنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ بِأَقْوَامٍ تُقَرِّضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيطٍ مِنْ نَارٍ ، فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَقَالُوا : كُنَّا نَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَلَا نَأْتِيهِ ، وَنَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَنَأْتِيهِ » [حم ١٢٠/٣ بنحوه] .

فَإِيَّاكَ يَا مُسْكِينُ أَنْ تُذْعِنَ لِتَرْوِيهِ ، وَتَتَدَلَّى بِحَبْلِ غُرُورِهِ .

(١) جاء في هامش (أ) : (وقد أَسْتَعَاذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من علمٍ لا ينفع ؛ وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « من طلب العلم ؛ ليماري به العلماء أو يجاري به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه .. فليتبوأ مقعده من النار » [ت ٢٦٥٤ بنحوه]) .

فَوَيْلٌ لِلْجَاهِلِ حَيْثُ لَمْ يَتَعَلَّمْ مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَوَيْلٌ
لِلْعَالِمِ حَيْثُ لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ أَلْفَ مَرَّةٍ^(١) .

وَأَعْلَمَ رَحِمَكَ اللَّهُ : أَنَّ النَّاسَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ عَلَى
ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ :

- رَجُلٌ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيَدَّخِرَهُ زَادًا إِلَى الْمَعَادِ ، وَلَمْ
يَقْصِدْ بِهِ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ .. فَهَذَا مِنْ
الْفَائِزِينَ .

- وَرَجُلٌ طَلَبَهُ لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى حَيَاتِهِ الْعَاجِلَةِ ، وَيَنَالَ
بِهِ الْعِزَّ وَالْجَاهَ وَالْمَالَ ، وَهُوَ عَالِمٌ بِذَلِكَ ، مُسْتَشْعِرٌ فِي
قَلْبِهِ رَكَاكَةَ حَالِهِ ، وَخِسَّةَ مَقْصِدِهِ .. فَهَذَا مِنْ
الْمُخَاطِرِينَ .

(١) جاء في هامش (أ) : (وقد قيل : إذا تجرد العلم عن العمل ..
كان عقيماً ، وإذا خلا العمل عن العلم .. كان سقيماً . » آداب
المريدين « [ص ٣٢]) .

فَإِنْ عَاجَلَهُ أَجَلُهُ قَبْلَ التَّوْبَةِ .. خِيفَ عَلَيْهِ سُوءُ
الْخَاتِمَةِ ، وَبَقِيَ أَمْرُهُ فِي خَطَرِ الْمَشِيئَةِ .

وَإِنْ وَفَّقَ لِلتَّوْبَةِ قَبْلَ حُلُولِ الْأَجَلِ ، وَأَصَافَ إِلَى الْعِلْمِ
الْعَمَلِ ، وَتَدَارَكَ مَا فَرَطَ مِنْهُ مِنَ الْخَلَلِ .. أُلْتَحَقَ
بِالْفَائِزِينَ ؛ فَإِنَّ التَّائِبَ مِنَ الذَّنْبِ .. كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ .

- وَرَجُلٌ ثَالِثٌ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ ، فَاتَّخَذَ عِلْمَهُ
ذَرِيعَةً إِلَى التَّكَاثُرِ بِالْمَالِ ، وَالتَّفَاخُرِ بِالْجَاهِ ، وَالتَّعَزُّزِ
بِكَثْرَةِ الْأَتْبَاعِ ، يَدْخُلُ بِعِلْمِهِ كُلَّ مَدْخَلٍ ، رَجَاءً أَنْ يَقْضِيَ
مِنَ الدُّنْيَا وَطَرَهُ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُضْمِرُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ
بِمَكَانٍ ؛ لِاتِّسَامِهِ بِسِمَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَتَرْشُمِهِ بِرُسُومِهِمْ فِي
الزِّيِّ وَالْمَنْطِقِ ، مَعَ تَكَالُبِهِ عَلَى الدُّنْيَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ..
فَهَذَا مِنَ الْهَالِكِينَ ، وَمِنَ الْحَقَمَى الْمَعْرُورِينَ ؛ إِذِ الرَّجَاءُ
مُنْقَطِعٌ عَنْ تَوْبَتِهِ ؛ لِظَنِّهِ أَنَّهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ، وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ
قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا

لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * .

وَهُوَ مِمَّنْ قَالَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« أَنَا مِنْ غَيْرِ الدَّجَالِ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ مِنَ الدَّجَالِ » !! فَقِيلَ :
وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « عُلَمَاءُ الشُّوءِ » [حم ١٤٥/٥
بنحوه] .

وَهَذَا لِأَنَّ الدَّجَالَ غَايَتُهُ الْإِضْلَالُ ، وَمِثْلُ هَذَا الْعَالِمِ
- إِنَّ صَرَفَ النَّاسَ عَنِ الدُّنْيَا بِلِسَانِهِ وَمَقَالِهِ - فَهُوَ دَاعٍ لَهُمْ
إِلَيْهَا بِأَعْمَالِهِ وَأَحْوَالِهِ ، وَلِسَانُ الْحَالِ أَنْطَقُ مِنْ لِسَانِ
الْمَقَالِ ، وَطِبَاعُ النَّاسِ إِلَى الْمُسَاعَدَةِ فِي الْأَعْمَالِ أَمِيلُ
مِنْهَا إِلَى الْمُتَابَعَةِ فِي الْأَقْوَالِ .

فَمَا أَفْسَدَهُ هَذَا الْمَعْرُورُ بِأَعْمَالِهِ أَكْثَرُ مِمَّا أَصْلَحَهُ
بِأَقْوَالِهِ ؛ إِذْ لَا يَسْتَجِرُّ الْجَاهِلُ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا
بِاسْتِجْرَاءِ الْعُلَمَاءِ ، فَقَدْ صَارَ عِلْمُهُ سَبَبًا لِحِرَاءَةِ عِبَادِ اللَّهِ
عَلَى مَعَاصِيهِ ، وَنَفْسُهُ الْجَاهِلَةُ مُدَلَّةٌ مَعَ ذَلِكَ تُمْنِيهِ

وَتَرْجِيهِ ، وَتَدْعُوهُ إِلَى أَنْ يَمُنَّ عَلَى اللَّهِ بِعِلْمِهِ ، وَتُخَيِّلُ
إِلَيْهِ نَفْسَهُ أَلَا مَرَّةٌ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ .

فَكُنْ أَيُّهَا الطَّالِبُ مِنَ الْفَرِيقِ الْأَوَّلِ ، وَاحْذَرْ أَنْ تَكُونَ
مِنَ الْفَرِيقِ الثَّانِي ، فَكَمْ مِنْ مُسَوِّفٍ عَاجَلَهُ الْأَجَلُ قَبْلَ
الْتَوْبَةِ فَخَسِرَ ، وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْفَرِيقِ الثَّالِثِ ،
فَتَهْلِكَ هَلَاكًا لَا يُرْجَى مَعَهُ فَلَاحُكَ ، وَلَا يُنْتَظَرُ صَلَاحُكَ .

فَإِنْ قُلْتَ : فَمَا بَدَايَةُ الْهِدَايَةِ لِأَجْرَبِ نَفْسِي فِيهَا؟

فَاعْلَمْ : أَنَّ بَدَايَتَهَا ظَاهِرُ التَّقْوَى ، وَنَهَايَتَهَا بَاطِنُ
الْتَقْوَى ، فَلَا عَاقِبَةَ إِلَّا لِلتَّقْوَى ، وَلَا هُدًى إِلَّا لِلْمُتَّقِينَ .

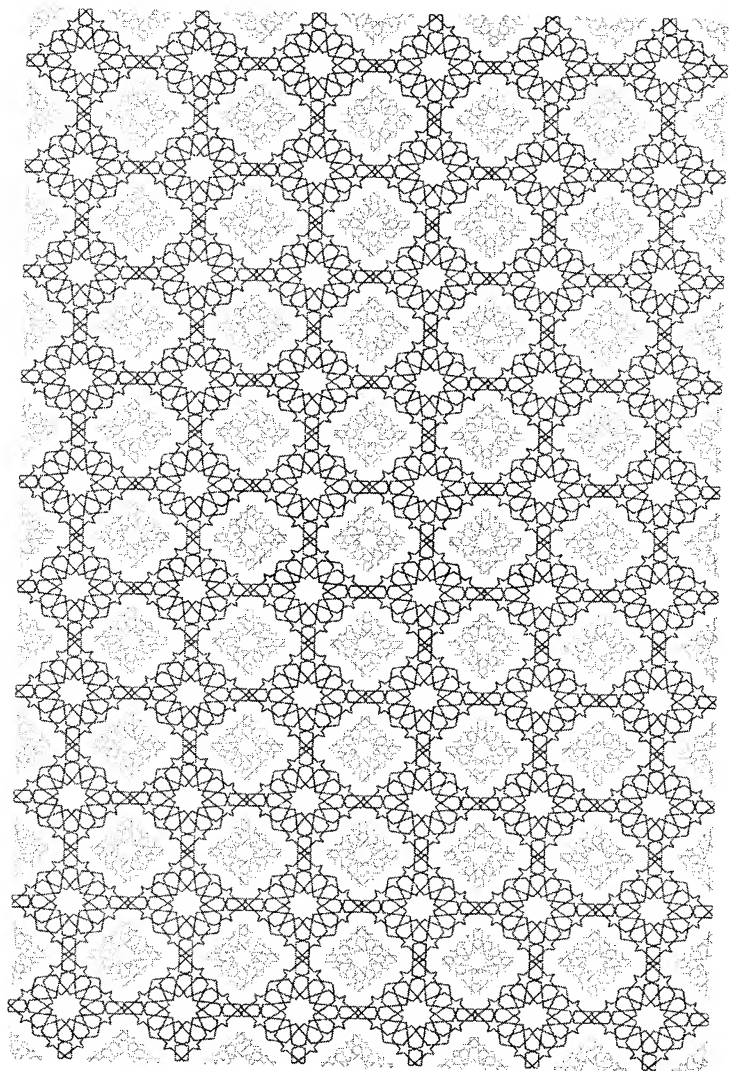
وَالْتَقْوَى عِبَارَةٌ عَنِ امْتِثَالِ أَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَاجْتِنَابِ
نَوَاهِيهِ ..

فَهُمَا قِسْمَانِ ، وَأَنَا أَشِيرُ عَلَيْكَ بِجُمْلِ مُخْتَصَرَةٍ مِنْ
ظَاهِرِ عِلْمِ التَّقْوَى فِي الْقِسْمَيْنِ جَمِيعًا .

* * *

القِسْمُ الْأَوَّلُ

فِي الطَّائِفَاتِ



الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

فِي الطَّهَائِجَاتِ

اعْلَمْ : أَنَّ أَوَامِرَ اللَّهِ تَعَالَى فَرَائِضُ وَنَوَافِلُ .

فَالْفَرَضُ : رَأْسُ الْمَالِ ، وَبِهِ تَحْصُلُ النِّجَاةُ .

وَالنَّفْلُ : هُوَ الرِّبْحُ ، وَبِهِ الْفَوْزُ بِالْدَّرَجَاتِ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ

وَجَلَّ : مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْمُتَقَرِّبُونَ بِمِثْلِ آدَاءِ مَا أَفْتَرَضْتُهُ

عَلَيْهِمْ ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ؛

فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ

بِهِ ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ

الَّتِي يَمْشِي بِهَا » .

وَلَنْ تَصِلَ إِلَيْهَا الطَّالِبُ إِلَى الْقِيَامِ بِأَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى ..
 إِلَّا بِمُرَاقَبَةِ قَلْبِكَ وَجَوَارِحِكَ فِي لَحْظَاتِكَ وَأَنْفَاسِكَ ، مِنْ
 حِينَ تُنْسِي إِلَى حِينَ تُصْبِحُ .

فَاعْلَمْ : أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَى ضَمِيرِكَ ،
 وَمُشْرِفٌ عَلَى ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ ، وَمُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَطَرَاتِكَ
 وَلَحْظَاتِكَ وَخَطَوَاتِكَ ، وَسَائِرِ سَكَنَاتِكَ وَحَرَكَاتِكَ ،
 وَأَنَّكَ فِي مُحَالَطَتِكَ وَخُلُوتِكَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ .

فَلَا يَسْكُنُ فِي الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ سَاكِنٌ وَلَا يَتَحَرَّكُ
 مُتَحَرِّكٌ .. إِلَّا وَجَبَّارُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ^(١) .

فَتَأْدَبُ إِلَيْهَا الْمُسْكِينُ ظَاهِراً وَبَاطِناً بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ
 تَعَالَى ؛ تَأْدَبَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ الْمُنْذِبِ فِي حَضْرَةِ الْجَبَّارِ

(١) يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ .
 وقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ الْسِّرَّ وَالْخَفَى ﴾ .

أَلْقَهَّارِ ، وَأَجْتَهِدْ أَنْ لَا يَرَاكَ مَوْلَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ ، وَلَا
يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ .

وَلَنْ تَقْدِرَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِأَنْ تُوزَعَ أَوْقَاتَكَ ، وَتُرْتَّبَ
أُورَادَكَ مِنْ صَبَاحِكَ إِلَى مَسَائِكَ ^(١) .

فَأَصْغِ إِلَى مَا يُلْقَى إِلَيْكَ مِنْ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ مِنْ
حِينَ تَسْتَيْقِظُ مِنْ مَنَامِكَ إِلَى وَقْتِ رُجُوعِكَ إِلَى
مَضْجَعِكَ .



(١) جاء في هامش (أ) : (قال عليه الصلاة والسلام : ينبغي
للمؤمن أن يكون له أربع ساعات من النهار : ساعة يناجي فيها ربه ،
وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يأتي فيها العلماء الذين يبصرونه
بأمر الله وينصحونه ، وساعة يُخَلِّي بين نفسه ولذاتها فيما يحلُّ
ويجمل . « آداب المريدين » [ص ٥٦]) .

فَصْلٌ

فِي آدَابِ الْاسْتِيقَاطِ مِنَ النَّوْمِ

فَإِذَا اسْتَيْقَظْتَ مِنَ النَّوْمِ .. فَأَجْتَهِدْ أَنْ تَسْتَيْقِظَ قَبْلَ
طُلُوعِ الْفَجْرِ ، وَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا يَجْرِي عَلَى قَلْبِكَ وَلِسَانِكَ
ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى .

فَقُلْ عِنْدَ ذَلِكَ :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ،
أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ لِلَّهِ ، وَالْعِزَّةُ وَالْقُدْرَةُ لِلَّهِ ،
وَالْعِزَّةُ وَالْقُدْرَةُ لِلَّهِ .

أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ ،
وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَى مِلَّةِ
أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

اَللّٰهُمَّ ؛ بِكَ اَصْبَحْنَا ، وَبِكَ اَمْسَيْنَا ، وَبِكَ نَحْيَا ،
وَبِكَ نَمُوتُ ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ .

اَللّٰهُمَّ ؛ اِنَّا نَسْأَلُكَ اَنْ تَبْعَثَنَا فِيْ هَٰذَا الْيَوْمِ اِلَى كُلِّ
خَيْرٍ ، وَنَعُوْذُ بِكَ اَنْ نَجْتَرِحَ فِيْهِ سُوءًا اَوْ نَجْرَهُ اِلَى مُسْلِمٍ اَوْ
يَجْرَهُ اَحَدًا اِلَيْنَا .

نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَٰذَا الْيَوْمِ ، وَخَيْرَ مَا فِيْهِ ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنْ
شَرِّهِ ، وَشَرِّ مَا فِيْهِ ^(١) .

(١) جاء في هامش (أ) : (يستحب إذا استيقظ المرء من النوم أن
يقول : الحمد لله الذي ردَّ عليَّ روحي ، وعافاني في جسدي ، وأذن
لي بذكره .

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو
على كل شيء قدير .

الحمد لله الذي خلق النوم واليقظة ، والحمد لله الذي بعثني سالماً
سويّاً ، أشهد أن الله يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير .

لا إله إلا أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك .
اللهم ؛ زدني علماً ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهب لي من =

فَإِذَا لَبِسْتَ ثِيَابَكَ .. فَأَنُوبِ بِهِ أَمْتِثَالَ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي
سِتْرِ عَوْرَتِكَ ، وَأَحْذَرُ أَنْ يَكُونَ قَصْدُكَ مِنْ لِبَاسِكَ مُرَاءَاةَ
الْخَلْقِ .

* * *

=لَدُنْكَ رَحْمَةٌ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . « أَذْكَار » [ص ٤٣-٤٤] .



بَابُ

آدَابُ دُخُولِ الْخَلَاءِ

فَإِذَا قَصَدْتَ بَيْتَ الْمَاءِ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ .. فَقَدِّمْ فِي
الدُّخُولِ : رِجْلَكَ الْيُسْرَى ، وَفِي الْخُرُوجِ : رِجْلَكَ
الْيُمْنَى ، وَلَا تَسْتَضْحِبْ شَيْئًا عَلَيْهِ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى وَاسْمُ
رَسُولِهِ ، وَلَا تَدْخُلْ حَاسِرَ الرَّأْسِ ^(١) .

وَقُلْ عِنْدَ الدُّخُولِ : (بِاسْمِ اللَّهِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الرَّجْسِ
النَّجِسِ ، الْخَبِيثِ الْمُخْبِثِ ، الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) .

(١) لأن كشفه ينشأ عنه الفرقُ من الجن والنسيان وعلوق الرائحة
بالشعر .. فستر الرأس عند دخول الخلاء (الحمام) من السنة وكذلك
لبس النعلين ؛ وقد أثبتت البحوث الطبية الحديثة : أن دخول الحمام
حاسر الرأس من أسباب تساقط الشعر لتعرضه لحمض الأمونيا
والنشادر . والله أعلم .

وَعِنْدَ الْخُرُوجِ : (غُفْرَانِكَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ
عَنِّي مَا يُؤْذِينِي ، وَأَبْقَى عَلَيَّ مَا يَنْفَعُنِي) .

وَيَنْبَغِي : أَنْ تُعَدَّ النَّبْلَ قَبْلَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ ، وَ : أَنْ لَا
تَسْتَنْجِيَ بِالْمَاءِ فِي مَوْضِعِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ ، وَ : أَنْ تَسْتَبْرِئَ
مِنَ الْبَوْلِ بِالتَّخْنُحِ وَالتَّتَرِّ (ثَلَاثًا) ، وَبِإِمْرَارِ الْيَدِ عَلَى
أَسْفَلِ الْقَضِيبِ .

وَإِنْ كُنْتَ فِي الصَّخْرَاءِ .. فَأَبْعُدْ عَنْ أَعْيُنِ النَّاطِرِينَ ،
وَأَسْتَرِ بِشَيْءٍ إِنْ وَجَدْتَهُ ، وَلَا تَكْشِفْ عَوْرَتَكَ قَبْلَ الْإِنْتِهَاءِ
إِلَى مَوْضِعِ الْجُلُوسِ ، وَلَا تَسْتَقْبِلِ الشَّمْسَ وَلَا الْقَمَرَ وَلَا
تَسْتَدْبِرُهُمَا ، وَلَا تَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرْهَا ، وَلَا
تَجْلِسَ فِي مُتَحَدِّثِ النَّاسِ ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ ، وَلَا تَبْلُ فِي
الْمَاءِ الرَّاكِدِ وَلَا تَحْتَ الشَّجَرَةِ الْمُثْمِرَةِ ، وَلَا فِي الْجُحْرِ .
وَأَحْذَرِ الْأَرْضَ الصَّلْبَةَ وَمَهَابَّ الرِّيَّاحِ اخْتِرَازًا مِنْ
الرَّشَاشِ .

وَأَتَكَيْءُ فِي جُلُوسِكَ عَلَى الرَّجْلِ الْيُسْرَى ، وَلَا تَبْلُ
قَائِماً إِلَّا عَنْ ضَرُورَةٍ ، وَأَجْمَعُ فِي الْأَسْتِنْجَاءِ بَيْنَ اسْتِعْمَالِ
الْحَجَرِ وَالْمَاءِ ^(١) .

وَإِنْ أَرَدْتَ الْأَقْتِصَارَ عَلَى الْحَجَرِ .. فَعَلَيْكَ أَنْ
تَسْتَعْمِلَ ثَلَاثَةَ أَحْجَارٍ طَاهِرَةٍ مُنْشَفَةٍ لِلْعَيْنِ تَمْسَحُ بِهَا مَحَلَّ
النَّجْوِ ، بِحَيْثُ لَا تَنْتَقِلُ النَّجَاسَةُ عَنْ مَوْضِعِهَا ، وَكَذَلِكَ
تَمْسَحُ الْقَضِيبَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنْ حَجَرٍ .

فَإِنْ لَمْ يَخْصُلِ الْإِنْقَاءُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ .. فَتَمِّمْ خَمْسَةً أَوْ
سَبْعَةً ، إِلَى أَنْ تُنْقَى بِالْأَوْتَارِ .

فَإِلَّا يَتَارُ مُسْتَحَبٌّ ، وَالْإِنْقَاءُ وَاجِبٌ .

وَلَا تَسْتَنْجِ إِلَّا بِالْيَدِ الْيُسْرَى ^(٢) .

(١) وإن أردت الاختصار على أحدهما .. فالماء أفضل .

(٢) وأبدأ في الاستنجاء بالماء بالقبْل . وعند إرادتك الاستنجاء
بالحجر .. فابدأ بالدبر ، وخذ الحجر بيمينك ، وانظر إليه قبل رميه ؛ =

وَقُلْ عِنْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْأَسْتِنْجَاءِ : (اَللّٰهُمَّ ؛ طَهِّرْ قَلْبِي
مِنَ النِّفَاقِ ، وَحَصِّنْ فَرْجِي مِنَ الْفَوَاحِشِ) .

وَأَذْلُكَ يَدَكَ بَعْدَ تَمَامِ الْأَسْتِنْجَاءِ بِالْأَرْضِ أَوْ بِحَائِطٍ ،
ثُمَّ اغْسِلْهَا .



= لتعلم أنه أنقى أم لا .

ثم أعلم : أنه يسن الجمع بين الحجر والماء في الاستنجاء ، فإن
أراد الاختصار على أحدهما . . فالماء أفضل .

بَابُ

آداب الوُضوء

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْإِسْتِنْجَاءِ .. فَلَا تَتْرُكِ السَّوَاكَ ؛ فَإِنَّهُ
مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ ، وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ ، وَمَسْخَطَةٌ لِلشَّيْطَانِ .
وَصَلَاةٌ بِسَوَاكِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ صَلَاةً بِغَيْرِ سَوَاكِ ^(١) .
- ثُمَّ اجْلِسْ لِلْوُضوءِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ عَلَى مَوْضِعٍ مُرْتَفِعٍ
كَيْ لَا يُصِيبَكَ الرَّشَاشُ . وَقُلْ : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَنْ يَخْضُرُونَ) .

(١) جاء في هامش نسخة : (وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه ،
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا أن أشق على أمتي
لأمرتهم بالسواك في كل صلاة » [م ٢٥٢] .
وعنه صلى الله عليه وسلم : « أمرت بالسواك حتى خشيت أن
يكتب علي » [حم ٤٩٠/٣] .

- ثُمَّ اغْسِلْ يَدَيْكَ (ثَلَاثًا) قَبْلَ أَنْ تُدْخِلَهُمَا الْإِنَاءَ ،
وَقُلْ : (اَللّٰهُمَّ ؛ اِنِّیْ اَسْأَلُكَ الْیُمْنَ وَالْبَرَکَةَ ، وَاَعُوْذُ بِكَ
مِنَ الشُّؤْمِ وَالْهَلَکَةِ) .

- ثُمَّ اَنْوِرْ رَفَعَ الْحَدَثِ اَوْ اُسْتَبَاحَةَ الصَّلَاةِ .
وَلَا یَنْبَغِیْ اَنْ تَعْرُبَ نِیَّتُكَ قَبْلَ غَسْلِ الْوُجْهِ ، فَلَا یَصِحُّ
وُضُوؤُكَ .

- ثُمَّ خُذْ غُرْفَةً لِّفِیْكَ وَتَمَضَّمْ بِهَا (ثَلَاثًا) ، وَبَالِغٌ
فِی رَدِّ الْمَاءِ اِلَى الْغُلْصَمَةِ اِلَّا اَنْ تَكُوْنَ صَائِمًا ^(۱) ، وَقُلْ :
(اَللّٰهُمَّ ؛ اَعِنِّیْ عَلٰی تِلَاوَةِ کِتَابِكَ وَکَثْرَةِ الذِّکْرِ لَكَ ،
وَتُبَّتِّنِیْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِی الْحَیَاةِ الدُّنْیَا وَفِی الْآخِرَةِ) .

- ثُمَّ خُذْ غُرْفَةً لِاَنْفِكَ ، وَاسْتَنْشِقْ بِهَا ثَلَاثًا ، وَاسْتَنْشِرْ
بِهَا مَا فِی الْاَنْفِ مِنْ رُطُوْبَةٍ ، وَقُلْ فِی الْاِسْتِنْشَاقِ :

(۱) وَلَوْ کَانَ الصَّیَامُ نَفْلًا ، فَلَا تَبَالِغْ ، بَلْ تَرَفِّقْ ؛ فَاِنْ سَبَقَ مَاءُ
الْمُبَالَغَةِ اِلَى جَوْفِكَ . . اَفْطَرْتَ ؛ لِاَنَّهُ مَتَوَلَّدٌ عَنْ مَنْهَیْ عَنْهُ بِخِلَافِ
مَا یَحْصُلُ بِدَوْنِ الْمُبَالَغَةِ .

(اللَّهُمَّ ؛ أَرِحْنِي رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَأَنْتَ عَنِّي رَاضٍ) .

وَفِي الْأَسْتِثَارِ : (اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ رَوَائِحِ
النَّارِ وَمِنْ سُوءِ الدَّارِ) .

- ثُمَّ خُذْ غَرْفَةً لَوَجْهِكَ ، فَأَغْسِلْ بِهَا مِنْ مُبْتَدَأِ تَسْطِيحِ
الْجَبْهَةِ إِلَى مُنْتَهَى مَا يَقْبَلُ مِنَ الذَّقَنِ فِي الطُّوْلِ ، وَمِنْ
الْأُذُنِ إِلَى الْأُذُنِ فِي الْعَرْضِ ، وَأَوْصِلِ الْمَاءَ إِلَى مَوْضِعِ
التَّخْدِيفِ - وَهُوَ مَا يَعْتَادُ النِّسَاءُ تَنْحِيَةَ الشَّعْرِ عَنْهُ ، مَا بَيْنَ
رَأْسِ الْأُذُنِ إِلَى زَاوِيَةِ الْجَبِينِ ؛ أَعْنِي مَا يَقَعُ مِنْهُ فِي جِهَةِ
الْوَجْهِ - وَأَوْصِلِ الْمَاءَ إِلَى مَنَابِتِ الشُّعُورِ الْأَرْبَعَةِ :
الْحَاجِبَانِ ، وَالشَّارِبَانِ ، وَالْأَهْدَابُ ، وَالْعِدَارَانِ ، وَهُمَا
مَا يُوَارِي الْأُذُنَيْنِ مِنْ مُبْتَدَأِ اللَّحْيَةِ^(١) .

وَيَجِبُ إِصْصَالُ الْمَاءِ إِلَى مَنَابِتِ اللَّحْيَةِ الْخَفِيفَةِ دُونَ
الْكَثِيفَةِ .

(١) أي : ما بين الصدغ والعارض .

وَقُلْ عِنْدَ غَسَلِ الْوَجْهِ : (اَللّٰهُمَّ ؛ بَيِّضْ وَجْهِيْ بِنُورِكَ
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ اَوْلِيَائِكَ ، وَلَا تُسَوِّدْ وَجْهِيْ بِظُلُمَاتِكَ يَوْمَ
تُسَوِّدُ وُجُوهُ اَعْدَائِكَ) .

وَلَا تَتْرُكْ تَخْلِيلَ اللَّحْيَةِ الْكَثَّةِ .

- ثُمَّ اَغْسِلْ يَدَكَ الْيُمْنَى ثُمَّ الْيُسْرَى (ثَلَاثًا) مَعَ
الْمِرْفَقَيْنِ اِلَى اَنْصَافِ الْعُضْدَيْنِ ^(١) ، فَإِنَّ الْحِلْيَةَ فِي الْجَنَّةِ
تَبْلُغُ مَوَاضِعَ الْوُضُوءِ .

وَقُلْ عِنْدَ غَسَلِ الْيُمْنَى : (اَللّٰهُمَّ ؛ اَعْطِنِيْ كِتَابِي
بِيَمِينِيْ وَحَاسِبْنِيْ حِسَابًا يَسِيرًا) .

وَقُلْ عِنْدَ غَسَلِ الشِّمَالِ : (اَللّٰهُمَّ ؛ اِنِّيْ اَعُوْذُ بِكَ اَنْ
تُعْطِيَنِيْ كِتَابِيْ بِشِمَالِيْ اَوْ مِنْ وَّرَاءِ ظَهْرِيْ) .

(١) يسن تحريك الخاتم إذا كان الماء يصل تحته ، أما إذا لم يصل
الماء . . . وجب تحريكه .

- ثُمَّ اسْتَوْعِبَ رَأْسَكَ بِالْمَسْحِ بِأَنْ تَبُلَّ يَدَيْكَ ، وَتُلْصِقَ رُؤُوسَ أَصَابِعِكَ الْيُمْنَى بِالْيُسْرَى ، وَتَضَعَهُمَا عَلَى مُقَدِّمَةِ الرَّأْسِ ، وَتُمِرَّهُمَا إِلَى الْقَفَا ، ثُمَّ تَرُدَّهُمَا إِلَى الْمُقَدِّمَةِ ، فَهَذِهِ مَرَّةٌ ، تَفْعَلُ ذَلِكَ (ثَلَاثًا) ، وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْأَعْضَاءِ . وَقُلِ : (اَللّٰهُمَّ ؛ غَشِّنِي بِرَحْمَتِكَ ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ ، وَأَظِلَّنِي تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِكَ ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ . اَللّٰهُمَّ ؛ حَرِّمْ شَعْرِي وَبَشْرِي عَلَى النَّارِ) .

- ثُمَّ امْسَحْ أُذُنَيْكَ ظَاهِرَهُمَا وَبَاطِنَهُمَا بِمَاءٍ جَدِيدٍ ، وَأَدْخِلْ مُسَبِّحَتَيْكَ فِي صِمَاخِي أُذُنَيْكَ ، وَامْسَحْ ظَاهِرَ أُذُنَيْكَ بِبَاطِنِ إِبْهَامَيْكَ . وَقُلِ : (اَللّٰهُمَّ ؛ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ . اَللّٰهُمَّ ؛ أَسْمِعْنِي مُنَادِيَ الْجَنَّةِ مَعَ الْأَبْرَارِ) .

- ثُمَّ امْسَحْ رَقَبَتَكَ ، وَقُلِ : (اَللّٰهُمَّ ؛ فُكَّ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ) .

- ثُمَّ اغْسِلْ رِجْلَكَ الْيُمْنَى ، ثُمَّ الْيُسْرَى مَعَ الْكَعْبَيْنِ ،
وَحَلِّلْ بِخُنْصِرِ الْيَدِ الْيُسْرَى أَصَابِعَ رِجْلِكَ الْيُمْنَى مُبْتَدِئًا مِنْ
خُنْصِرِهَا حَتَّى تَخْتِمَ بِخُنْصِرِ الْيُسْرَى ، وَتُدْخِلُ الْإِصْبَعَ مِنْ
أَسْفَلَ ، وَقُلْ : (اَللّٰهُمَّ ؛ ثَبِّتْ قَدَمَيَّ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ
تَزِلُّ الْأَقْدَامُ فِي النَّارِ) .

وَكَذَلِكَ تَغْسِلُ الْيُسْرَى وَتَقُولُ : (اَللّٰهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ
بِكَ أَنْ تَزِلَّ قَدَمِي عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ الْمُنَافِقِينَ) .

وَأَرْفَعِ الْمَاءَ إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ ، وَرَاعِ التَّكَرَّارَ
(ثَلَاثًا) فِي جَمِيعِ أَفْعَالِكَ .

فَإِذَا فَرَعْتَ مِنَ الْوُضُوءِ .. فَقُلْ : (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ ، سُبْحَانَكَ اَللّٰهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ ، عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ
إِلَيْكَ ، فَاعْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .

اللَّهُمَّ ؛ أَجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ ، وَأَجْعَلْنِي مِنَ
 الْمُتَطَهِّرِينَ ، وَأَجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ، وَأَجْعَلْنِي
 صَبُورًا شُكُورًا ، وَأَجْعَلْنِي أَذْكُرَكَ ذِكْرًا كَثِيرًا ، وَأُسَبِّحَكَ
 بُكْرَةً وَأَصِيلًا (١) .

فَمَنْ قَرَأَ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ فِي وُضُوئِهِ .. خَرَجَتْ جَمِيعُ
 خَطَايَاهُ مِنْ أَعْضَائِهِ ، وَخُتِمَ عَلَى وُضُوئِهِ بِخَاتَمٍ ، وَرُفِعَ لَهُ
 تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَلَا يَزَالُ يُسَبِّحُ اللَّهَ تَعَالَى وَيُقَدِّسُهُ وَيُكْتَبُ
 لَهُ ثَوَابُ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٢) .

وَأَجْتَنِبُ فِي وُضُوئِكَ سَبْعًا :

- لَا تَنْفُضُ يَدَيْكَ فَتَرْشَّ الْمَاءَ .

- وَلَا تَلْطِمُ وَجْهَكَ وَرَأْسَكَ بِالْمَاءِ لَطْمًا .

(١) يندب أن تقول ذلك وأنت رافع بصرك إلى السماء .

(٢) جاء في هامش (أ) : (ومنها - [أي : سنن الوضوء] - دعاء
 الأعضاء ، وهو وإن كان لا أصل له في الصحة . . فقد جاء من طرق
 ضعيفة يعمل بها في الفضائل . « العباب » [٧٣/١]) .

- وَلَا تَتَكَلَّمْ فِي أَثْنَاءِ الْوُضُوءِ .

- وَلَا تَزِدْ فِي الْغَسْلِ عَلَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

- وَلَا تَكْثِرْ صَبَّ الْمَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ^(١) بِمُجَرَّدِ

الْوُسُوسَةِ^(٢) ، فَلِلْمُوسُوسِينَ شَيْطَانٌ يَضْحَكُ بِهِمْ يُقَالُ لَهُ : (الْوَلْهَانُ) .

- وَلَا تَتَوَضَّأَ بِالْمَاءِ الْمُسَمَّسِ ، وَلَا مِنْ الْأَوَانِي

الصُّفْرِيَّةِ^(٣) .

فَهَذِهِ السَّبْعَةُ مَكْرُوهَةٌ فِي الْوُضُوءِ^(٤) .

(١) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في [الدعاء] والطهور » [د ٩٧] ؛ ويقال : من وهن علم الرجل . . ولوعه بالماء في الطهور . « إحياء » [١٣٤/١]) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه : أول ما يبداً الوسواس من قبل الطهور . « إحياء » [١٣٤/١]) .

(٣) جاء في هامش (أ) : (وذلك من جهة الطب . « إحياء » [١٣٤/١]) .

(٤) جاء في هامش (أ) : (وكره قوم التنشيف ، وقالوا : الوضوء =

وَفِي الْخَبَرِ : « أَنَّ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ وُضُوئِهِ ..
 طَهَّرَ اللَّهُ جَسَدَهُ كُلَّهُ ، وَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ .. لَمْ يَطْهَرْ مِنْهُ إِلَّا
 مَا أَصَابَ الْمَاءُ » ^(١) [قط ١ / ٧٣] .



= يوزن . قاله سعيد بن المسيب والزهري . « إحياء » [١٣٤ / ١] .

(١) جاء في هامش (أ) : (ومهما فرغ من وضوئه ، وأقبل على الصلاة .. فينبغي أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره ، وهو مطرح نظر الخلق .. فينبغي أن يستحيي من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موقع نظر الرب .

وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة من الأخلاق الذميمة ، وأن من اقتصر على طهارة الظاهر .. كمن أراد أن يدعو مَلِكاً إلى بيته ، فتركه مشحوناً بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار .

وما أجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار . « إحياء » [١٣٥ / ١] .

آداب الغسل من الجنابة

فَإِذَا أَصَابَتْكَ جَنَابَةٌ مِنْ أَحْتِلَامٍ أَوْ وَقَاعٍ .. فَخُذِ الْإِنَاءَ إِلَى الْمُغْتَسَلِ ، وَأَغْسِلْ يَدَيْكَ أَوَّلًا (ثَلَاثًا) ، وَأَزِلْ مَا عَلَى بَدَنِكَ مِنْ قَذَرٍ ، وَتَوَضَّأْ كَمَا سَبَقَ فِي وُضُوءِكَ لِلصَّلَاةِ مَعَ جَمِيعِ الدَّعَوَاتِ وَالْأَذْكَارِ ، وَأَخْزِ غَسْلَ قَدَمَيْكَ ؛ كَيْلًا يَضِيعَ الْمَاءُ .

فَإِذَا فَرَّغْتَ مِنَ الْوُضُوءِ .. فَصُبَّ الْمَاءَ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ (ثَلَاثًا) ، وَأَنْتَ نَائٍ رَفَعَ الْجَنَابَةَ ، ثُمَّ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْسَرِ (ثَلَاثًا) ، ثُمَّ عَلَى رَأْسِكَ (ثَلَاثًا) ، وَأَذْلُكَ مَا أَقْبَلَ مِنْ بَدَنِكَ وَمَا أَذْبَرَ ، وَخَلَّلْ شَعْرَ رَأْسِكَ وَأَوْصِلِ الْمَاءَ إِلَى مَعَاطِفِ الْبَدَنِ وَمَنَابِتِ الشَّعْرِ مَا خَفَّ مِنْهُ وَمَا كَثَفَ .

وَأَحْذَرُ أَنْ تَمَسَّ ذَكَرَكَ بَعْدَ الْوُضُوءِ ، فَإِنْ أَصَابَتْهُ
الْيَدُ .. فَأَعِدِ الْوُضُوءَ .

وَالْفَرِيضَةُ مِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ .. النَّيَّةُ ، وَاسْتِيعَابُ الْبَدَنِ
بِالْغَسْلِ .

وَمِنْ الْوُضُوءِ : غَسْلُ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ مَعَ الْمِرْفَقَيْنِ ،
وَمَسْحُ بَعْضِ الرَّأْسِ ، وَغَسْلُ الرَّجْلَيْنِ مَعَ الْكَعْبَيْنِ
(مَرَّةً ، مَرَّةً) ، مَعَ النَّيَّةِ ، وَالتَّرْتِيبِ .

وَمَا عَدَاهُ سُنَنٌ مُؤَكَّدَةٌ فَضْلُهَا كَثِيرٌ وَثَوَابُهَا جَزِيلٌ ،
وَالْمُتَهَاوِنُ بِهَا خَاسِرٌ ، بَلْ هُوَ بِأَصْلِ فَرَائِضِهِ مُخَاطِرٌ ، فَإِنَّ
النَّوَافِلَ جَوَابِرُ الْفَرَائِضِ .



آدَابُ التَّيَمُّمِ

فَإِنْ عَجَزْتَ عَنِ الْمَاءِ لِفَقْدِهِ بَعْدَ الطَّلَبِ ، أَوْ لِمَانِعٍ مِنَ
الْوُضُوءِ إِلَيْهِ مِنْ سَبْعٍ أَوْ مِنْ حَابِسٍ ، أَوْ كَانَ الْمَاءُ الْحَاضِرُ
تَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِعَطَشِكَ أَوْ عَطَشِ رَفِيقِكَ ، أَوْ كَانَ مِلْكَاً لغيرِكَ
وَلَمْ يَبِعْ إِلَّا بِأَكْثَرِ مِنْ ثَمَنِ الْمِثْلِ ، أَوْ كَانَ بِكَ جِرَاحَةٌ أَوْ
مَرَضٌ تَخَافُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِكَ .. فَاصْبِرْ حَتَّى يَدْخُلَ وَقْتُ
الْفَرِيضَةِ .

ثُمَّ اقْصِدْ صَعِيداً طَيِّباً عَلَيْهِ تُرَابٌ خَالِصٌ طَاهِرٌ لَيِّنٌ ،
فَاضْرِبْ عَلَيْهِ كَفَيْكَ ، ضَامِماً بَيْنَ أَصَابِعِكَ ، وَأَنُورِ اسْتِبَاحَةَ
الصَّلَاةِ ، وَأَمْسَحْ بِهِمَا وَجْهَكَ كُلَّهُ مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَلَا
تَتَكَلَّفْ إِيصَالَ الْغُبَارِ إِلَى مَنَابِتِ الشُّعُورِ خَفَّتْ أَوْ كَثُفَتْ .

ثُمَّ أَنْزَعُ خَاتَمَكَ ، وَأَضْرِبُ ضَرْبَةً ثَانِيَةً مُفَرِّجاً بَيْنَ
أَصَابِعِكَ ، وَأَمْسَحُ بِهِمَا يَدَيْكَ مَعَ مِرْفَقَيْكَ .

فَإِنْ لَمْ تَسْتَوْعِبْهُمَا .. فَأَضْرِبُ ضَرْبَةً أُخْرَى إِلَى أَنْ
تَسْتَوْعِبْهُمَا .

ثُمَّ أَمْسَحُ إِحْدَى كَفَيْكَ بِالأُخْرَى ، وَأَمْسَحُ مَا بَيْنَ
أَصَابِعِكَ بِالتَّخْلِيلِ ، وَصَلِّ بِهِ فَرْضاً وَاحِداً ، وَمَا شِئْتَ مِنْ
النَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَضِ .

فَإِذَا أَرَدْتَ فَرْضاً ثَانِياً .. فَاسْتَأْنِفْ لَهُ تَيْمُماً آخَرَ .

* * *



آدَابُ الْخُرُوجِ إِلَى الْمَسْجِدِ

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ طَهَارَتِكَ .. فَصَلِّ فِي بَيْتِكَ رَكْعَتِي
الْفَجْرِ ، إِنْ كَانَ الْفَجْرُ قَدْ طَلَعَ ؛ كَذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْمَسْجِدِ .

وَلَا تَدْعِ الصَّلَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ؛ لَا سِيَّمَا صَلَاةَ الصُّبْحِ ،
فَصَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً .

فَإِنْ كُنْتَ تَسَاهَلُ فِي مِثْلِ هَذَا الرِّبْحِ .. فَأَيُّ فَائِدَةٍ لَكَ
فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ؟ !

وَإِنَّمَا ثَمَرَةُ الْعِلْمِ : الْعَمَلُ بِهِ .

فَإِذَا سَعَيْتَ إِلَى الْمَسْجِدِ .. فَأَمْشِ عَلَى هَيْئَةٍ وَتُؤَدِّ
وَلَا تَعْجَلْ .

وَقُلْ فِي طَرِيقِكَ : (اَللّٰهُمَّ ؛ اِنِّیْ اَسْأَلُكَ بِحَقِّ
السَّائِلِیْنَ عَلَیْكَ ، وَبِحَقِّ الرَّاْغِبِیْنَ اِلَیْكَ ، وَبِحَقِّ مَمْشَايَ
هَٰذَا اِلَیْكَ ، فَاِنِّیْ لَمْ اَخْرُجْ اَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا رِیَاءً وَلَا
سُمْعَةً ، بَلْ خَرَجْتُ اَتْقَاءَ سَخَطِكَ ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ ؛
فَاَسْأَلُكَ اَنْ تُنْقِذَنِیْ مِنَ النَّارِ وَاَنْ تُدْخِلَنِیْ الْجَنَّةَ ، وَاَنْ تَغْفِرَ
لِیْ ذُنُوبِیْ ، فَاِنَّهُ لَا یَغْفِرُ الذُّنُوبَ اِلَّا اَنْتَ) .

* * *

آدَابُ دُخُولِ الْمَسْجِدِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ

فَإِذَا أَرَدْتَ دُخُولَ الْمَسْجِدِ .. فَقَدِّمَ رِجْلَكَ الْيُمْنَى ،
وَقُلْ : (اَللّٰهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ
وَسَلِّمْ . اَللّٰهُمَّ ؛ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ
رَحْمَتِكَ) .

وَمَهْمَا رَأَيْتَ فِي الْمَسْجِدِ مَنْ يَبِيعُ .. فَقُلْ : (لَا
أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ) .

وَإِذَا رَأَيْتَ مَنْ يَنْشُدُ فِيهِ ضَالَّةً .. فَقُلْ : (لَا رَدَّ اللَّهُ
عَلَيْكَ ضَالَّتَكَ) ؛ كَذَلِكَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فَإِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ .. فَلَا تَجْلِسُ حَتَّى تُصَلِّيَ رَكْعَتَيِ
التَّحِيَّةِ .

فَإِنْ لَمْ تَكُنْ صَلَّيْتَ فِي بَيْتِكَ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ .. فَيُجْزِئُكَ
أَدَاؤُهُمَا عَنِ التَّحِيَّةِ .

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الرُّكْعَتَيْنِ .. فَأَنْوِ الْأَعْتِكَافَ ، وَأَدْعُ بِمَا
دَعَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ .

وَقُلْ : (اَللّٰهُمَّ ؛ اِنِّیْ اَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي
بِهَا قَلْبِي ، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلِي ، وَتَلْمُ بِهَا شَعْبِي ، وَتَرُدُّ بِهَا
اُلْفَتِي ، وَتُصْلِحُ بِهَا دِيْنِي ، وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبِي ، وَتَرْفَعُ بِهَا
شَاهِدِي ، وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي ، وَتُبَيِّضُ بِهَا وَجْهِي ،
وَتُلْقِيْنِي بِهَا رُشْدِي ، وَتَعْصِمْنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ .

اَللّٰهُمَّ ؛ اِنِّیْ اَسْأَلُكَ اِيْمَانًا دَائِمًا يُّبَاشِرُ قَلْبِي ، وَاسْأَلُكَ
يَقِيْنًا صَادِقًا حَتَّى اَعْلَمَ اَنَّهُ لَنْ يُصِيْبَنِي اِلَّا مَا كَتَبْتَهُ عَلَيَّ ،
وَرَضْنِي بِمَا قَسَمْتَهُ لِي .

اَللّٰهُمَّ ؛ اَعْطِنِي اِيْمَانًا صَادِقًا ، وَيَقِيْنًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ ،
وَرَحْمَةً اُنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّبْرَ عِنْدَ الْقَضَاءِ ، وَالْفَوْزَ عِنْدَ
الْقَاءِ ، وَمَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ ، وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ ، وَالنَّصْرَ عَلَى
الْأَعْدَاءِ ، وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أُنْزِلُ بِكَ حَاجَتِي ، وَإِنْ ضَعُفَ رَأْيِي ،
وَقَصُرَ عَمَلِي ، وَافْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ ، فَأَسْأَلُكَ يَا قَاضِيَ
الْأُمُورِ ، وَيَا شَافِيَ الصُّدُورِ ، كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ الْبُحُورِ .. أَنْ
تُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ، وَمِنْ دَعْوَةِ الثُّبُورِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ
الْقُبُورِ .

اللَّهُمَّ ؛ وَمَا قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي ، وَضَعُفَ عَنْهُ عَمَلِي ،
وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي أَوْ أُمْنِيَّتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ ،
أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ .. فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ
فِيهِ ، وَأَسْأَلُكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ ؛ أَجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ ، غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا
مُضِلِّينَ ، حَرْبًا لِأَعْدَائِكَ ، وَسَلَامًا لِأَوْلِيَائِكَ ، نَحْبُ

بِحُبِّكَ النَّاسَ ، وَنَعَادِي بَعْدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ مِنْ خَلْقِكَ .

اللَّهُمَّ ؛ هَذَا الدُّعَاءُ ، وَعَلَيْكَ الْإِجَابَةُ ، وَهَذَا
الْجُهْدُ وَعَلَيْكَ التُّكْلَانُ ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَلَا
حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

اللَّهُمَّ ؛ يَا ذَا الْحَبْلِ الشَّدِيدِ وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ .. أَسْأَلُكَ
الْأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ، وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ ، مَعَ الْمُقَرَّبِينَ
الشُّهُودِ ، وَالرُّكْعَ السُّجُودِ ، الْمُؤَفِّينَ بِالْعُهُودِ ، إِنَّكَ
رَحِيمٌ وَدُودٌ ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ ، سُبْحَانَ الَّذِي تَعَطَّفَ
بِالْعِزِّ وَقَالَ بِهِ ، سُبْحَانَ الَّذِي لَبَسَ الْمَجْدَ وَتَكَرَّمَ بِهِ ،
سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ ، سُبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ
وَالنِّعَمِ ، سُبْحَانَ ذِي الْقُدْرَةِ وَالْكَرَمِ ، سُبْحَانَ الَّذِي
أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ بِعِلْمِهِ .

اللَّهُمَّ ؛ أَجْعَلْ لِي نُوراً فِي قَلْبِي ، وَنُوراً فِي قَبْرِي ،
وَنُوراً فِي سَمْعِي ، وَنُوراً فِي بَصَرِي ، وَنُوراً فِي شَعْرِي ،

وَنُوراً فِي بَشَرِي ، وَنُوراً فِي لَحْمِي ، وَنُوراً فِي دَمِي ،
وَنُوراً فِي عِظَامِي ، وَنُوراً مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ ، وَنُوراً مِنْ
خَلْفِي ، وَنُوراً عَنْ يَمِينِي ، وَنُوراً عَنْ شِمَالِي ، وَنُوراً مِنْ
فَوْقِي ، وَنُوراً مِنْ تَحْتِي .

اللَّهُمَّ ؛ زِدْنِي نُوراً ، وَأَعْطِنِي نُوراً ، وَأَجْعَلْ لِي
نُوراً) .

فَإِذَا فَرَعْتَ مِنَ الدُّعَاءِ .. فَلَا تَشْتَغِلْ إِلَى آدَاءِ الْفَرِيضَةِ
إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ ، وَالتَّسْبِيحِ ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ .

فَإِذَا سَمِعْتَ الْأَذَانَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ .. فَأَقْطَعْ مَا أَنْتَ
فِيهِ ، وَاشْتَغِلْ بِجَوَابِ الْمُؤَذِّنِ .

فَإِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ : (اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ) .. فَقُلْ مِثْلَ
ذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ .

فَإِذَا قَالَ : (حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ) ..
فَقُلْ فِيهِمَا : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

فَإِذَا قَالَ : (الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ) .. فَقُلْ : صَدَقْتَ
وَبَرَزْتَ .

فَإِذَا سَمِعْتَ الْإِقَامَةَ .. فَقُلْ مِثْلَ مَا يَقُولُ ، إِلَّا فِي
قَوْلِهِ : (قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ) .. فَقُلْ : (أَقَامَهَا اللَّهُ وَأَدَامَهَا
مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ) .

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ جَوَابِ الْمُؤَذِّنِ .. فَقُلْ : (اَللَّهُمَّ ؛ إِنِّي
أَسْأَلُكَ عِنْدَ حُضُورِ صَلَاتِكَ ، وَأَصْوَاتِ دُعَاتِكَ ، وَإِذْبَارِ
لَيْلِكَ ، وَإِقْبَالِ نَهَارِكَ .. أَنْ تُؤْتِيَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَالْدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ ، وَأَبْعَثْهُ الْمَقَامَ
الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ؛
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ) .

فَإِذَا سَمِعْتَ الْأَذَانَ وَأَنْتَ فِي الصَّلَاةِ .. فَتَمِّمْ
الصَّلَاةَ ، ثُمَّ تَدَارِكِ الْجَوَابَ بَعْدَ السَّلَامِ عَلَى وَجْهِهِ .

فَإِذَا أَحْرَمَ الْإِمَامُ بِالْفَرَضِ .. فَلَا تَشْتَغِلْ إِلَّا بِالْإِقْتِدَاءِ

بِهِ ، وَصَلَّ رَكَعَتَيِ الْفَرَضِ^(١) كَمَا سَيَتَلَى عَلَيْكَ فِي كَيْفِيَّةِ
الصَّلَاةِ وَآدَابِهَا .

فَإِذَا فَرَغْتَ .. فَقُلْ : (اَللّٰهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ .

اَللّٰهُمَّ ؛ اَنْتَ السَّلَامُ ، وَمِنْكَ السَّلَامُ ، وَإِلَيْكَ يَعُودُ
السَّلَامُ ، فَحِينًا رَبَّنَا بِالسَّلَامِ ، وَأَدْخِلْنَا دَارَ السَّلَامِ ،
تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ
الْأَعْلَى الْوَهَّابِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ
الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ،
بِيَدِهِ الْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَهْلُ
النُّعْمَةِ وَالْمِنَّةِ وَالْفَضْلِ وَالثَّنَاءِ الْحَسَنِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ) .

(١) أي : صلاة الصبح .

ثُمَّ أَدْعُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْجَوَامِعِ الْكَوَامِلِ ؛ وَهِيَ مِمَّا عَلَّمَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا ،
فَقُلْ : « (اَللّٰهُمَّ ؛ اِنِّیْ اَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ ، عَاجِلِهٖ
وَآجِلِهٖ ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ اَعْلَمْ ، وَاَعُوْذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ
كُلِّهِ عَاجِلِهٖ وَآجِلِهٖ ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ اَعْلَمْ ، وَاَسْأَلُكَ
الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ اِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ اَوْ عَمَلٍ اَوْ اِعْتِقَادٍ ، وَاَعُوْذُ
بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ اِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ اَوْ عَمَلٍ اَوْ اِعْتِقَادٍ ،
وَاَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاَسْتَغِيْذُكَ مِمَّا اسْتَغَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ
وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

اَللّٰهُمَّ ؛ وَمَا قَضَيْتَ لِيْ مِنْ اَمْرٍ .. فَاجْعَلْ عَاقِبَتَهُ
رَشَدًا) « [ق ٣٨٤٦ بنحوه] .

ثُمَّ أَدْعُ بِمَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَقُلْ : « (يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ،

بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ ، لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ طَرَفَةَ عَيْنٍ ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ) « [طص ٢٧٠ / ١] .

ثُمَّ قُلْ مَا قَالَهُ عِيسَى - عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - : (اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَا أَكْرَهُ ، وَلَا أَمْلِكُ نَفْعَ مَا أَرْجُو ، وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ كُلُّهُ بِيَدِ غَيْرِي ، وَأَصْبَحْتُ مُرْتَهَنًا بِعَمَلِي ، فَلَا فَقِيرَ أَفْقَرُ مِنِّي .

اللَّهُمَّ ؛ لَا تُشِمْتُ بِي عَدُوِّي ، وَلَا تُؤْزِبِي صَدِيقِي ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتِي فِي دِينِي ، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّي وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِي ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لَا يَرْحَمُنِي) .

ثُمَّ أَدْعُ بِمَا بَدَأَ لَكَ مِنَ الدَّعَوَاتِ الْمَأْثُورَاتِ وَأَحْفَظْهَا ؛ مِمَّا أوردناه في كتاب (الدَّعَوَاتِ) مِنْ كِتَابِ « إَحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ » .

وَلِتَكُنْ أَوْقَاتُكَ بَعْدَ الصَّلَاةِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ مُوزَعَةً عَلَى أَرْبَعِ وَظَائِفَ :

- وَظِيفَةٌ فِي الدَّعَوَاتِ .

- وَوَظِيفَةٌ فِي الْأَذْكَارِ وَالتَّسْبِيحَاتِ ، تُكْرَّرُهَا فِي سُبْحَةٍ .

- وَوَظِيفَةٌ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ .

- وَوَظِيفَةٌ فِي التَّفَكُّرِ .

وَتَفَكَّرْ فِي ذُنُوبِكَ وَخَطَايَاكَ ، وَتَقْصِرْكَ فِي عِبَادَةِ
مَوْلَاكَ ، وَتَعَرِّضْكَ لِعِقَابِهِ الْأَلِيمِ ، وَسَخَطِهِ الْعَظِيمِ .

وَتُرْتَّبْ بِتَذْيِيرِكَ أَوْرَادَكَ فِي جَمِيعِ يَوْمِكَ ؛ لِتَتَذَارَكَ بِهِ
مَا فَرَطَ مِنْ تَقْصِيرِكَ .

وَتَتَحَرَّزَ بِهِ مِنْ التَّعَرُّضِ لِسَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي
يَوْمِكَ .

وَتَتَوَيَّ الْخَيْرَ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَعَزِّمُ عَلَى الْأَ
تَشْتَغِلَ فِي جَمِيعِ نَهَارِكَ إِلَّا بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتُفَصِّلُ فِي
قَلْبِكَ الطَّاعَاتِ الَّتِي تَقْدِرُ عَلَيْهَا ، وَتَخْتَارُ أَفْضَلَهَا ،

وَتَتَأَمَّلُ فِي تَهْيِئَةِ أَسْبَابِهَا لِتَشْتَغَلَ بِهَا .

وَلَا تَدْعُ عَنْكَ التَّفَكُّرَ فِي قُرْبِ الْأَجَلِ وَحُلُولِ الْمَوْتِ
الْقَاطِعِ لِلْأَمَلِ ، وَخُرُوجِ الْأَمْرِ عَنِ الْإِخْتِيَارِ ، وَحُصُولِ
الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ بِطُولِ الْأَغْتِرَارِ .

وَلِيَكُنْ مِنْ تَسْبِيحَاتِكَ وَأَذْكَارِكَ عَشْرُ كَلِمَاتٍ :

أَحَدُهَا : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ
الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ
الْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

الثَّانِيَةُ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ) .

الثَّالِثَةُ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، رَبُّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ) .

الرَّابِعَةُ : (سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ) .

وَالْخَامِسَةُ : (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ
وَالرُّوحِ) .

وَالسَّادِسَةُ : (سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ) .

وَالسَّابِعَةُ : (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، وَأَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ وَالْمَغْفِرَةَ) .

الثَّامِنَةُ : (اَللّهُمَّ ؛ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ
لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ
الْجَدُّ) .

وَالتَّاسِعَةُ : (اَللّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ
مُحَمَّدٍ) .

وَالْعَاشِرَةُ : (بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .

فَكَرَّرْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فِي سُبْحَةٍ ، إِمَّا

(مِئَّةَ مَرَّةٍ) أَوْ (سَبْعِينَ مَرَّةً) ، أَوْ (عَشْرَ مَرَّاتٍ) وَهُوَ أَقْلُهَا ؛ لِيَكُونَ الْمَجْمُوعُ (مِئَّةَ مَرَّةٍ) .

وَلَا زِمَ هَذِهِ الْأَوْرَادَ ، وَلَا تَتَكَلَّمُ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ؛
فَفِي الْخَبَرِ : « إِنَّ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ إِعْتَاقِ ثَمَانِي رِقَابٍ مِنْ
وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ » عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَغْنِي :
الِاشْتِغَالَ بِالذِّكْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَخَلَّلَهُ
كَلَامٌ .

فَاعْلَمْ ذَلِكَ تَوْفَّقُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



آدَابُ مَا بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوَالِ

فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، وَارْتَفَعَتْ قَيْدَ رُمْحٍ ^(١) .. فَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ ، وَذَلِكَ عِنْدَ زَوَالِ وَقْتِ الْكَرَاهَةِ لِلصَّلَاةِ ؛ فَإِنَّهَا مَكْرُوهَةٌ مِنْ بَعْدِ فَرِيضَةِ الصُّبْحِ إِلَى ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ .

فَإِذَا أَضْحَى النَّهَارُ ، وَمَضَى مِنْهُ قَرِيبٌ مِنْ رُبْعِهِ .. فَصَلِّ صَلَاةَ الضُّحَى (أَرْبَعًا) أَوْ (سِتًّا) أَوْ (ثَمَانِيَّ) ؛ مَثْنَى ، مَثْنَى ، فَقَدْ نُقِلَتْ هَذِهِ الْأَعْدَادُ كُلُّهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالصَّلَاةُ خَيْرٌ كُلُّهَا ، فَمَنْ شَاءَ .. فَلْيَسْتَكْثِرْ ، وَمَنْ شَاءَ .. فَلْيَسْتَقِلِّ .

وَلَيْسَ بَيْنَ الطُّلُوعِ وَالزَّوَالِ رَاتِبَةٌ مِنَ الصَّلَوَاتِ إِلَّا

(١) أي : قَدْرَ رُمَحٍ .



هَذِهِ ، فَمَا فَضَلَ عَنْهُ مِنْ أَوْقَاتِكَ .. فَلَكَ فِيهِ أَرْبَعُ حَالَاتٍ :
 الْأُولَى - وَهِيَ الْأَفْضَلُ - : أَنْ تَصْرِفَهُ إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ
 النَّافِعِ فِي الدِّينِ ، دُونَ الْفُضُولِ الَّذِي أَكَبَّ النَّاسُ عَلَيْهِ
 وَسَمَّوْهُ عِلْماً .

وَالْعِلْمُ النَّافِعُ مَا يَزِيدُ فِي خَوْفِكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى^(١) ،

(١) جاء في هامش (أ) : (وأما الخوف من عذاب الله : فمندوب
 إليه في قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . . . ﴾
 الآية .

فمن خاف مولاه في دنياه .. كان ناجياً في عقباه ، وكانت الجنة
 مأواه .

وقال : من كان بالله أعرف .. كان من الله أخوف .
 وأصل هذا الكلام من كتاب الله تعالى حيث قال : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى
 اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

وقيل لأبي طارق الصيرفي : ما الخوف؟ فقال : إنما خوف
 الخائف من يوم ينادى فيه ألا إن فلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد
 بعدها أبداً ، ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً .
 « رياض الأنس » [(خ) روضة الأنس للخائفين] .

ومما ناجى الله به عز وجل موسى عليه السلام : قال تعالى : =

وَيَزِيدُ فِي بَصِيرَتِكَ بِعُيُوبِ نَفْسِكَ ، وَيَزِيدُ فِي مَعْرِفَتِكَ
بِعِبَادَةِ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَيُقَلِّلُ مِنْ رَغْبَتِكَ فِي الدُّنْيَا ،
وَيَزِيدُ فِي رَغْبَتِكَ فِي الْآخِرَةِ ، وَيَفْتَحُ بَصِيرَتَكَ بِآفَاتِ
أَعْمَالِكَ حَتَّى تَتَحَرَّرَ مِنْهَا ، وَيُطْلِعَكَ عَلَى مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ
وَعُرُورِهِ وَكَيْفِيَّةِ تَلْبِسِهِ عَلَى الْعُلَمَاءِ السُّوءِ حَتَّى عَرَضَهُمْ
لِمَقْتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسَخَطِهِ ، حَيْثُ أَكَلُوا الدُّنْيَا بِالذِّينِ ،
وَاتَّخَذُوا الْعِلْمَ وَسِيلَةً إِلَى اخْتِذَاقِ الْأَمْوَالِ مِنَ السَّلَاطِينِ ،
وَأَكَلِ أَمْوَالِ الْأَوْقَافِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ، وَصَرَفَ
هِمَّتَهُمْ طُولَ نَهَارِهِمْ إِلَى طَلَبِ الْجَاهِ وَالْمَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِ
الْخَلْقِ ، وَأَضْطَرَّهُمْ ذَلِكَ إِلَى الْمُرَاةِ وَالْمُمَارَاةِ ،
وَالْمُنَافَسَةِ وَالْمُبَاهَاةِ .

= يا موسى خف الذي يعلم سرّك وجهك ، وارج من يملك الدنيا
والآخرة ، وثق بمولى لا يخلف وعده ، واحذر من يأخذك متى شاء
وحيث شاء . منه [خ] روضة الأنس للذاكرين [] .

وَهَذَا الْفَرْقُ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ قَدْ جَمَعْنَاهُ فِي كِتَابِ
« إَحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ » .

فَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِهِ .. فَحَصِّلْهُ وَاعْمَلْ بِهِ ، ثُمَّ عَلِّمْهُ
وَأَدْعُ إِلَيْهِ ، فَمَنْ عَلِمَ ذَلِكَ وَعَمِلَ بِهِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ ..
فَذَلِكَ يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ بِشَهَادَةِ عِيسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فَإِذَا فَرَعْتَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَفَرَعْتَ مِنْ إِصْلَاحِ نَفْسِكَ
ظَاهِراً وَبَاطِناً ، وَفَضَلَ شَيْءٌ مِنْ أَوْقَاتِكَ .. فَلَا بَأْسَ أَنْ
تَشْتَغَلَ بِعِلْمِ الْمَذْهَبِ مِنَ الْفِقْهِ ؛ لِتَعْرِفَ بِهِ الْفُرُوعَ النَّادِرَةَ
فِي الْعِبَادَاتِ ، وَطَرِيقَ التَّوَسُّطِ بَيْنَ الْخَلْقِ فِي الْخُصُومَاتِ
عِنْدَ إِكْبَابِهِمْ عَلَى الشَّهَوَاتِ ، فَذَلِكَ أَيْضاً بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ
هَذِهِ الْمُهِمَّاتِ مِنْ جُمْلَةِ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ .

فَإِنْ دَعَيْتَ نَفْسَكَ إِلَى تَرْكِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْأَوْرَادِ
وَالْأَذْكَارِ أَشْتَغَالاً بِذَلِكَ .. فَأَعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ اللَّعِينَ قَدْ

دَسَّ إِلَى قَلْبِكَ الدَّاءَ الدَّفِينِ ، وَهُوَ حُبُّ الْمَالِ وَالْجَاهِ ،
فَيَأْيَاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِهِ فَتَكُونَ ضُحْكَةً لَهُ فِيهِلِكَ ، ثُمَّ يَسْخَرُ
مِنْكَ .

وَإِنْ جَرَّبْتَ نَفْسَكَ مُدَّةً فِي الْأَوْرَادِ وَالْعِبَادَاتِ ،
وَكَانَتْ لَا تَسْتَقِيلُهَا كَسَلًا عَنْهَا ، وَلَكِنْ ظَهَرَتْ رَغْبَتُكَ فِي
تَحْصِيلِ الْعِلْمِ النَّافِعِ ، وَلَمْ تُرِدْ بِهِ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى
وَالدَّارَ الْآخِرَةَ .. فَذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ مَهْمَا
صَحَّتْ لَكَ النِّيَّةُ ، وَلَكِنْ الشَّانُ فِي صِحَّةِ النِّيَّةِ .

فَإِذَا لَمْ تَصِحَّ .. فَهِيَ مَعْدِنُ غُرُورِ الْجُهَالِ ، وَمَزَلَّةُ
أَقْدَامِ الرِّجَالِ .

الْحَالَةُ الثَّانِيَةُ : أَنْ لَا تَقْدِرَ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ النَّافِعِ ،
وَلَكِنْ تَشْتَغِلُ بِوُظَائِفِ الْعِبَادَاتِ مِنَ الذِّكْرِ وَالْقِرَاءَةِ
وَالتَّسْبِيحَاتِ وَالصَّلَوَاتِ ، فَذَلِكَ مِنْ دَرَجَاتِ الْعَابِدِينَ
وَسِرِّ الصَّالِحِينَ ، وَتَكُونُ بِذَلِكَ أَيْضاً مِنَ الْفَائِزِينَ .

الْحَالَةُ الثَّالِثَةُ : أَنْ تَشْتَغَلَ بِمَا تُوصِلُ بِهِ خَيْرًا إِلَى
 الْمُسْلِمِينَ ، وَتَدْخُلَ مِنْهُ سُرُورًا عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَوْ
 تُيسِّرَ بِهِ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ لِلصَّالِحِينَ ؛ كَخِدْمَةِ الْفُقَهَاءِ
 وَالصُّوفِيَّةِ الْمُحَقِّقِينَ وَأَهْلِ الدِّينِ وَالتَّرَدُّدِ فِي أَشْغَالِهِمْ ،
 وَالسَّعْيِ فِي إِطْعَامِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ^(١) ، وَالتَّرَدُّدِ عَلَى
 الْمَرْضَى بِالْعِيَادَةِ ، وَعَلَى الْجَنَائِزِ بِالتَّشْيِيعِ ؛ فَكُلُّ ذَلِكَ
 أَفْضَلُ مِنَ النَّوَافِلِ ، فَإِنَّ هَذِهِ عِبَادَاتٌ ، وَفِيهَا رِفْقٌ
 بِالْمُسْلِمِينَ .

الْحَالَةُ الرَّابِعَةُ : أَنْ لَا تَقْوَى عَلَى ذَلِكَ ، وَاشْتَغَلْتَ
 بِحَاجَتِكَ أَكْثَرًا عَلَى نَفْسِكَ وَعَلَى عِيَالِكَ ^(٢) ، وَقَدْ سَلِمَ

(١) جاء في هامش (أ) : (وينبغي أن يغتنم خدمة الإخوان ويقدمها
 على النوافل ؛ فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ما رني
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فارغاً في أهله ؛ إما أن يخفف نعلًا لمسكين ،
 أو يخطط ثوباً لأرملة [صفحة ٢٠٠/١] . « آداب المريدين » [ص ٥٧] .
 (٢) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله =

الْمُسْلِمُونَ مِنْكَ وَأَمِنُوا مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ ، وَسَلِمَ لَكَ
دِينُكَ ، إِذْ لَمْ تَزَكِّبْ مَعْصِيَةً ، فَتَنَالَ بِذَلِكَ دَرَجَاتِ
أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ التَّرَقِّيِ إِلَى مَقَامَاتِ

= يحب المؤمن المحترف « [طس ٨٩٣٤] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « علّم الله آدم عليه السلام ألف حرفه
من الحرف ، وقال له : قل لذريتك ولولدك إن لم يصبروا . . فليطلبوا
الدنيا بهذه الحرف ولا يطلبوها بالدين ؛ فإن الدين لي وحدي خالصاً ،
وويل لمن طلب الدنيا بالدين وويل له » [فر ٤١٠٥] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أصلحوا دنياكم واعملوا
لآخرتكم » [شهاب ٧١٦] .

وقد كان لكل واحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حرفه يعيش
بها ، فكان آدم حرّاثاً وحائكاً ، وكانت حواء غزّالة ، وكان إدريس
خياطاً وخطاطاً ، وكان نوح نجاراً ، وزكريا نجاراً أيضاً ، وهود وصالح
تاجرين ، وإبراهيم زراعاً ونجاراً ، وأيوب زراعاً ، وداود زراداً ،
وسليمان خوّاصاً ، وكان موسى وشعيب ومحمد صلى الله عليه وسلم ،
وسائر الأنبياء صلى الله عليهم وسلم رعاة . اهـ « البركة » [٦] .

قال في « التحفة » [٣٨٩/٩] : وأفضل المكاسب : الزراعة ؛
لأنها أعم نفعاً ، وأقرب إلى التوكل ، وأسلم من الغش . ثم :
الصناعة ؛ لأن فيها إمتاع النفس لطلب الحلال . ثم : التجارة .

السَّابِقِينَ ، وَهَذِهِ أَقْلُ الدَّرَجَاتِ فِي مَقَامَاتِ الدِّينِ ، وَمَا
 بَعْدَهَا فَهِيَ مِنْ مَرَاتِعِ الشَّيَاطِينِ ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَشْتَغَلَ -
 وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - بِمَا يَهْدِمُ دِينَكَ ، أَوْ تُؤْذِيَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ
 تَعَالَى ، فَهَذِهِ رُتْبَةُ الْهَالِكِينَ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ فِي هَذِهِ
 الطَّبَقَةِ .

وَأَعْلَمْ : أَنَّ الْعَبْدَ فِي حَقِّ دِينِهِ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ :
 - إِمَّا سَالِمٌ : وَهُوَ الْمُقْتَصِرُ عَلَى آدَاءِ الْفَرَائِضِ وَتَرْكِ
 الْمَعَاصِي .

- أَوْ رَابِعٌ : وَهُوَ الْمُتَطَوِّعُ بِالْقُرْبَاتِ وَالنَّوَافِلِ .
 - أَوْ خَاسِرٌ : وَهُوَ الْمُقْصِرُ عَنِ اللّٰوَاظِمِ .
 فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَكُونَ رَابِعًا .. فَاجْتَهِدْ أَنْ تَكُونَ
 سَالِمًا ، وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ خَاسِرًا .
 وَالْعَبْدُ فِي حَقِّ سَائِرِ الْعِبَادِ لَهُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ :

الْأُولَى : أَنْ يَنْزِلَ فِي حَقِّهِمْ مَنَزَلَةُ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ مِنْ

الْمَلَائِكَةِ ، وَهُوَ أَنْ يَسْعَى فِي أَغْرَاضِهِمْ رِفْقًا بِهِمْ ،
وَإِدْخَالًا لِلشُّرُورِ عَلَى قُلُوبِهِمْ .

الثَّانِيَةُ : أَنْ يَنْزِلَ مَنْزِلَةَ الْبَهَائِمِ وَالْجَمَادَاتِ فِي
حَقِّهِمْ ؛ فَلَا يَنَالُهُمْ خَيْرُهُ ، وَلَكِنْ يَكُفُّ عَنْهُمْ شَرُّهُ .

الثَّالِثَةُ : أَنْ يَنْزِلَ فِي حَقِّهِمْ مَنْزِلَةُ الْعَقَارِبِ وَالْحَيَّاتِ
وَالسَّبَاعِ الضَّارِيَاتِ ، لَا يُرْجَى خَيْرُهُ ، وَيُتَّقَى شَرُّهُ .

فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تَلْتَحِقَ بِأُفُقِ الْمَلَائِكَةِ .. فَاحْذَرِ أَنْ
تَنْزِلَ عَنْ دَرَجَةِ الْبَهَائِمِ وَالْجَمَادَاتِ إِلَى مَرَاتِبِ الْعَقَارِبِ
وَالْحَيَّاتِ .

فَإِنْ رَضِيتَ لِنَفْسِكَ النُّزُولَ مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ .. فَلَا
تَرْضَ لَهَا بِالْهَوِيِّ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ ، فَلَعَلَّكَ أَنْ تَنْجُوَ
كَفَافًا لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ .

فَعَلَيْكَ فِي بَيَاضِ نَهَارِكَ أَنْ لَا تَشْتَغَلَ إِلَّا بِمَا يَنْفَعُكَ فِي

مَعَادِكَ وَمَعَاشِكَ الَّذِي لَا تَسْتَغْنِي عَنِ الْأُسْتَعَانَةِ بِهِ عَلَى
مَعَادِكَ .

فَإِنْ عَجَزْتَ عَنِ الْقِيَامِ بِحَقِّ دِينِكَ مَعَ مُخَالَطَةِ النَّاسِ
وَكُنْتَ لَا تَسْلَمُ .. فَالْعُزْلَةُ أَوْلَى بِكَ ، فَعَلَيْكَ بِهَا ، فَفِيهَا
السَّلَامَةُ^(١) .

فَإِنْ كَانَتْ أَلْوَسَاوِسُ فِي الْعُزْلَةِ تُجَادِبُكَ إِلَى مَا لَا
يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى قَمْعِهَا بِوُضَائِفِ

(١) جاء في هامش (أ) : (فَإِنْ خَلَطْتَهُمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ سَمِ قَاتِلٌ ،
وَشَغْلٌ عَنِ اللَّهِ شَاغِلٌ .

وقال الثوري : هَذَا زَمَانُ السَّكُوتِ وَلِزُومِ الْبُيُوتِ ، وَأَنْشُد :

زَمَانُكَ ذَا زَمَانٍ لَزُومٍ بَيْتٍ وَحَفْظٍ لِّلْسَانٍ وَخَفْضِ صَوْتٍ

وقال أبو ذر : نِعَمَ صُومَعَةُ الرَّجُلِ بَيْتُهُ ؛ يَكْفِي فِيهَا بَصْرُهُ وَسَمْعُهُ
وَقَلْبُهُ وَفَرْجُهُ ، أَفْضَلُ الْمَجَالِسِ حَيْثُ : لَا تُرَى وَلَا تَرَى ، وَاللَّهُ لَقَدْ
وَجَبَتِ الْعُزْلَةُ .

[فَإِذَا كَانَ هَذَا وَهُمْ عَلَى الْحَقِّ أَعْوَانٌ ، وَفِي ذَاتِ اللَّهِ إِخْوَانٌ ،

فَكَيْفَ فِي هَذَا الزَّمَانِ ؟ ! اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ] « البركة » [٢١]) .

الْعِبَادَاتِ .. فَعَلَيْكَ بِالنَّوْمِ^(١) .

فَهَذَا أَحْسَنُ أَحْوَالِكَ وَأَحْوَالِنَا ، إِذَا عَجَزْنَا عَنِ
الْغَنِيمَةِ .. فَرَضِينَا بِالسَّلَامَةِ فِي الْهَزِيمَةِ ، وَأَخْسِنُ بِحَالِ
مَنْ سَلَامَةٌ دِينِهِ فِي تَعْطِيلِ حَيَاتِهِ ، إِذِ النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ ،
وَهُوَ تَعْطِيلٌ لِلْحَيَاةِ ، وَالتَّحَاقُّ بِالْجَمَادَاتِ .

فَاعْلَمْ ذَلِكَ تُوَفَّقُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



(١) جاء في هامش (أ) : (وروي أن أم سليمان قالت لسليمان :
يا بني ؛ لا تكثر النوم بالليل ، فإن كثرة النوم تدع الرجل فقيراً يوم
القيامة .

وقالت ابنة الربيع بن خيثم لأبيها : يا أبتاه ؛ ما لي أرى الناس
رُقوداً ولا تنام .. فقال : يا ابنتاه ؛ إن أباك يخاف البيات ثم إن لم تقدر
على مقاساة السهر .. فاعمل بطاعة الله رب البشر ؛ كما بلغنا عن أبي
الدرداء أنه اشتكى إلى سلمان رضي الله عنه كثرة النوم .. فقال له : نم
ما شئت فإذا استيقظت .. فاتق الله . « رياض الأُنس » [(خ) روضة
الأُنس للخائفين] .

آدَابُ الْإِسْتِعْدَادِ لِسَائِرِ الصَّلَوَاتِ

يُنْبَغِي أَنْ تَسْتَعِدَّ قَبْلَ الزَّوَالِ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ ؛ فَتُقَدِّمَ الْقِيلُولَةَ إِنْ كَانَ لَكَ قِيَامٌ بِاللَّيْلِ ، أَوْ سَهَرٌ فِي الْخَيْرِ ، فَإِنَّ فِيهَا مَعُونَةً عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ ، كَمَا أَنَّ فِي السُّحُورِ مَعُونَةً عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ ، وَالْقِيلُولَةُ مِنْ غَيْرِ قِيَامٍ بِاللَّيْلِ كَالسُّحُورِ مِنْ غَيْرِ صَوْمٍ بِالنَّهَارِ .

فَاجْتَهِدْ أَنْ تَسْتَقِظَ قَبْلَ الزَّوَالِ^(١) ، وَتَتَوَضَّأَ وَتَحْضُرَ الْمَسْجِدَ وَتُصَلِّيَ التَّحِيَّةَ ، وَتَنْتَظِرَ الْمُؤَذِّنَ وَتُجِيبَهُ ، ثُمَّ تَقُومَ فَتُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ عَقِيبَ الزَّوَالِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطَوِّلُهُنَّ وَيَقُولُ : « هَذَا وَقْتُ تَفْتَحَ

(١) أي : من نوم القيلولة إذا قلت .

فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، فَأَحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ لِي فِيهِ عَمَلٌ صَالِحٌ «
[طب ٤٠٣٨] .

وَهَذِهِ الْأَرْبَعُ قَبْلَ الظُّهْرِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ ، فِيهِ الْخَبَرُ :
« أَنْ مَنْ صَلَّى هُنَّ وَأَحْسَنَ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ .. صَلَّى
مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ إِلَى اللَّيْلِ » .

ثُمَّ صَلَّى الْفَرَضَ مَعَ الْإِمَامِ .

ثُمَّ صَلَّى بَعْدَ الْفَرَضِ رَكْعَتَيْنِ ؛ فَهُمَا مِنَ الرَّوَائِبِ
الثَّابِتَةِ .

وَلَا تَشْتَغِلْ إِلَى الْعَصْرِ إِلَّا بِتَعَلُّمٍ عِلْمٍ أَوْ إِعَانَةٍ مُسْلِمٍ ،
أَوْ قِرَاءَةِ قُرْآنٍ ، أَوْ سَعْيٍ فِي مَعَاشٍ تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى دِينِكَ .
ثُمَّ صَلَّى أَرْبَعًا قَبْلَ الْعَصْرِ ؛ فَهِيَ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ ، فَقَدْ قَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا صَلَّى أَرْبَعًا
قَبْلَ الْعَصْرِ » [خز ١١٩٣] .

فَاجْتَهِدْ أَنْ يَنَالَكَ دُعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَا تَشْتَغِلْ بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَّا بِمِثْلِ مَا سَبَقَ قَبْلَهُ .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ أَوْقَاتِكَ مُهْمَلَةً ، فَتَشْتَغِلَ فِي كُلِّ
وَقْتٍ بِمَا أَتَّفَقَ كَيْفَ أَتَّفَقَ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ ،
وَتُرْتَّبَ وَظَائِفَكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَتُعَيِّنَ لِكُلِّ وَقْتٍ
شُغْلًا لَا يَتَعَدَّاهُ وَلَا تُؤْثِرُ فِيهِ سِوَاهُ ، فِيهِ تَظْهَرُ بَرَكَهُ
الْأَوْقَاتِ .

فَأَمَّا مَنْ تَرَكَ نَفْسَهُ مُهْمَلًا سُدَى إِهْمَالِ الْبَهَائِمِ ، لَا
يَذَرِي بِمَا يَسْتَقْبِلُ كُلَّ وَقْتٍ .. فَتَنْقُضِي أَكْثَرَ أَوْقَاتِهِ ضَائِعَةً .
وَأَوْقَاتِكَ عُمْرُكَ ، وَعُمْرُكَ رَأْسُ مَالِكَ ، وَعَلَيْهِ
تَجَارَتُكَ ، وَبِهِ وَصُولُكَ إِلَى نَعِيمِ الْأَبَدِ فِي جِوَارِ اللَّهِ
تَعَالَى ، فَكُلُّ نَفْسٍ مِنْ أَنْفَاسِكَ جَوْهَرٌ لَا قِيَمَةَ لَهُ ، إِذْ لَا
بَدَلَ لَهُ ، فَإِذَا فَاتَ فَلَا عَوْدَةَ لَهُ .

فَلَا تَكُنْ كَالْحَمَقَى الَّذِينَ يَفْرَحُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِزِيَادَةِ
أَمْوَالِهِمْ مَعَ نَقْصَانِ أَعْمَارِهِمْ .

فَأَيُّ خَيْرٍ فِي مَالٍ يَزِيدُ وَعُمْرٍ يَنْقُصُ ؟ !

فَلَا تَفْرَحْ إِلَّا بِزِيَادَةِ عِلْمٍ أَوْ عَمَلٍ ، فَإِنَّهُمَا رَفِيقَاكَ
يَصْحَبَانِكَ فِي الْقَبْرِ ، حَيْثُ يَتَخَلَّفُ عَنْكَ أَهْلُكَ وَمَالُكَ
وَوَلَدُكَ وَأَصْدِقَاؤُكَ .

ثُمَّ إِذَا أَصْفَرَّتِ الشَّمْسُ .. فَاجْتَهِدْ أَنْ تَعُودَ إِلَى
الْمَسْجِدِ قَبْلَ الْغُرُوبِ ، وَتَشْتَغِلْ بِالتَّسْبِيحِ وَالْإِسْتِغْفَارِ ؛
فَإِنَّ فَضْلَ هَذَا الْوَقْتِ كَفَضْلِ مَا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ .

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ .

وَأَقْرَأْ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ : (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) ،
(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) ، وَ (الْمُعَوَّذَتَيْنِ) .

وَلْتَعْرُبْ عَلَيْكَ الشَّمْسُ وَأَنْتَ فِي الْإِسْتِغْفَارِ .

فَإِذَا سَمِعْتَ الْأَذَانَ .. فَاجِبٌ ، وَقُلْ بَعْدَهُ : (اَللّهُمَّ ؛

إِنِّي أَسْأَلُكَ عِنْدَ إِقْبَالِ لَيْلِكَ ، وَإِدْبَارِ نَهَارِكَ ، وَحُضُورِ
صَلَاتِكَ ، وَأَصْوَاتِ دُعَايِكَ .. أَنْ تُؤْتِيَ مُحَمَّدًا
الْوَسِيلَةَ . . .) ، وَالِدُعَاءِ كَمَا سَبَقَ .

ثُمَّ صَلِّ الْفَرَضَ بَعْدَ جَوَابِ الْإِقَامَةِ .

وَصَلِّ بَعْدَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ رَكَعَتَيْنِ ، فَإِنَّهُمَا رَاتِبَةٌ
الْمَغْرِبِ .

وَإِنْ صَلَّيْتَ بَعْدَهُمَا أَرْبَعًا تُطِيلُهَا .. فَهِيَ أَيْضًا سُنَّةٌ .

وَإِنْ أَمَكَنَّكَ أَنْ تَتَوَيَّ الْأَعْتِكَافَ إِلَى الْعِشَاءِ ، وَتُخَيِّ
مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ بِالصَّلَاةِ .. فَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ ذَلِكَ مَا لَا
يُخَصِّى ؛ وَهِيَ نَاشِئَةُ اللَّيْلِ ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ نَشِئِهِ ، وَهِيَ صَلَاةُ
الْأَوَّابِينَ^(١) .

وَسُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :

(١) أي : الصلاة في هذا الوقت تسمى صلاة الأوابين .

﴿ تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ .. فَقَالَ : « هِيَ الصَّلَاةُ
بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ ؛ إِنَّهَا لَتَذْهَبُ بِمَلَاحَاتِ النَّهَارِ ، وَتُهَذَّبُ
آخِرُهُ » .

و(الْمَلَاحَاتُ) - جَمْعُ مَلَاغَةٍ - وَهُوَ : مِنَ اللَّغْوِ .

فَإِذَا دَخَلَ وَقْتُ الْعِشَاءِ .. فَصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ
الْفَرَضِ إِحْيَاءً لِمَا بَيْنَ الْأَذَانَيْنِ فَفَضْلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ . وَفِي
الْخَبَرِ : « إِنَّ الدُّعَاءَ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ » .

ثُمَّ صَلِّ الْفَرَضَ ، وَصَلِّ الرَّائِبَةَ رَكَعَتَيْنِ ، وَأَقْرَأْ فِيهِمَا
بِسُورَةِ (آلم) السَّجْدَةِ . وَ(تَبَارَكَ) الْمَلِكُ ، أَوْ سُورَةِ
(يَس) وَ(الذُّخَانُ) ، فَذَلِكَ مَأْثُورٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَصَلِّ بَعْدَهُمَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ؛ فَفِي الْخَبَرِ مَا يَدُلُّ عَلَى
عِظَمِ فَضْلِهِ .

ثُمَّ صَلِّ الْوُتْرَ بَعْدَ ذَلِكَ (ثَلَاثًا) بِتَسْلِيمَتَيْنِ أَوْ بِتَسْلِيمَةٍ

وَاحِدَةٍ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِيهِنَّ
بِـ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) ، وَ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) ،
وَسُورَةِ (الْإِخْلَاصِ) وَ (الْمُعَوِّذَتَيْنِ) .

وَإِنْ كُنْتَ عَازِمًا عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ .. فَأَخِّرِ الْوِتْرَ ؛
لِيَكُونَ آخِرَ صَلَاتِكَ بِاللَّيْلِ .

ثُمَّ اشْتَغِلْ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُذَاكَرَةِ عِلْمٍ أَوْ مُطَالَعَةِ كِتَابٍ ،
وَلَا تَشْتَغِلْ بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ فَيَكُونَ ذَلِكَ خَاتِمَةً أَعْمَالِكَ قَبْلَ
نَوْمِكَ فَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا .

* * *



آدَابُ النَّوْمِ

فَإِذَا أَرَدْتَ النَّوْمَ .. فَأَبْسُطْ فِرَاشَكَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ،
وَنَمْ عَلَى يَمِينِكَ كَمَا يُضْجَعُ الْمَيِّتُ فِي لَحْدِهِ .

وَأَعْلَمْ : أَنَّ النَّوْمَ مِثْلُ الْمَوْتِ ، وَالْيَقَظَةُ مِثْلُ الْبُعْثِ ،
وَلَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبِضُ رُوحَكَ فِي لَيْلَتِكَ ، فَكُنْ مُسْتَعِدًّا
لِلِقَائِهِ بِأَنْ تَنَامَ عَلَى طَهَارَةٍ ، وَتَكُونَ وَصِيَّتَكَ مَكْتُوبَةً تَحْتَ
وِسَادَتِكَ ، وَتَنَامَ تَائِبًا عَنِ الذُّنُوبِ مُسْتَغْفِرًا ، عَازِمًا عَلَى
أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى مَعْصِيَةِ أَبَدًا ، وَأَعِزِّمْ عَلَى الْخَيْرِ لِجَمِيعِ
النَّاسِ إِنْ بَعَثَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

وَتَذَكَّرْ أَنَّكَ سَتُضْجَعُ فِي الْقَبْرِ كَذَلِكَ وَحِيدًا فَرِيدًا ،
لَيْسَ مَعَكَ إِلَّا عَمَلُكَ ، وَلَا تُجْزَى إِلَّا بِسَعْيِكَ .

وَلَا تَسْتَجْلِبِ النَّوْمَ تَكْلُفًا بِتَمْهِيدِ الْفَرْشِ الْوَطِئَةِ ، فَإِنَّ
النَّوْمَ تَعْطِيلُ الْحَيَاةِ ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ يَقْطُتُكَ وَبَالًا عَلَيْكَ ،
فَنَوْمُكَ أَسْلَمٌ لِدِينِكَ .

وَأَعْلَمُ : أَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ سَاعَةً ، فَلَا
يَكُونَنَّ نَوْمُكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِي سَاعَاتٍ ،
فَيَكْفِيكَ إِنْ عِشْتَ سِتِّينَ سَنَةً أَنْ تُضَيِّعَ مِنْهَا عِشْرِينَ سَنَةً ،
وَهُوَ الثُّلُثُ .

وَأَعِدَّ عِنْدَ النَّوْمِ سِوَاكَكَ وَطَهُورَكَ ، وَأَعِزِّمْ عَلَى قِيَامِ
اللَّيْلِ ، وَعَلَى الْقِيَامِ قَبْلَ الصُّبْحِ .

فَرَكْعَتَانِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْبَرِّ ، فَاسْتَكْثِرْ
مِنْ كُنُوزِكَ لِيَوْمِ فَقْرِكَ ، فَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكَ كُنُوزُ الدُّنْيَا إِذَا
مِتَّ^(١) .

(١) جاء في هامش (أ) : (وفي الحديث : « اغتسم خمسا قبل
خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل =

وَقُلْ عِنْدَ نَوْمِكَ ^(١) :

(بِأَسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي ، وَبِأَسْمِكَ أَرْفَعُهُ ..
فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي .

اَللّهُمَّ ؛ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ .

اَللّهُمَّ ؛ بِأَسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ
ذِي شَرٍّ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، إِنَّ رَبِّي
عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ
بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ

= ففرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك « [ك ٣٠٦/٤]) .

(١) ومما ينبغي للمسلم المحافظة عليه عند النوم من الأذكار :

- أن يقول : الله أكبر (٣٤ مرة) ، وسبحان الله (٣٣ مرة) ،

والحمد لله (٣٣ مرة) ؛ وهذا مما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم

سيدنا علياً كرم الله وجهه وسيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

- ثم النفث في اليدين عند قراءة الإخلاص والمعوذتين وأن يمسح

بهما جسده . (٣ مرات) .

الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ .. أَقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ
الْفَقْرِ .

اللَّهُمَّ ؛ أَنْتَ خَلَقْتَ نَفْسِي ، وَأَنْتَ تَتَوَفَّاهَا ، لَكَ
مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا ، إِنَّ أَمَتَهَا .. فَاعْفِرْ لَهَا ، وَإِنْ أَحْيَيْتَهَا ..
فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ .

اللَّهُمَّ ؛ أَيْقِظْنِي فِي أَحَبِّ السَّاعَاتِ إِلَيْكَ ،
وَأَسْتَعْمِلْنِي بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْكَ ؛ لَتُقَرِّبَنِي إِلَيْكَ زُلْفَى ،
وَتُبْعِدَنِي مِنْ سَخَطِكَ بَعْدًا ، أَسْأَلُكَ فَتُعْطِنِي ، وَأَسْتَغْفِرُكَ
فَتَغْفِرَ لِي ، وَأَدْعُوكَ فَتَسْتَجِيبَ لِي) .

ثُمَّ اقْرَأْ (آيَةَ الْكُرْسِيِّ) ، وَ(آمَنَ الرَّسُولُ) إِلَى آخِرِ
السُّورَةِ ، وَ(الْإِخْلَاصَ) ، وَ(الْمُعَوِّذَتَيْنِ) ، وَسُورَةَ
(تَبَارَكَ) الْمُلْكِ .

وَلْيَأْخُذْكَ النَّوْمُ وَأَنْتَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى

الطَّهَارَةِ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ .. عُرِجَ بِرُوحِهِ إِلَى الْعَرْشِ ،
وَكُتِبَ مُصَلِّياً حَتَّى يَسْتَيْقِظَ .

فَإِذَا أَسْتَيْقِظْتَ .. فَارْجِعْ إِلَى مَا قَدْ عَرَفْتَهُ أَوَّلًا ، وَدَاوِمْ
عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ بَقِيَّةَ عُمْرِكَ ^(١) .

فَإِنْ شَقَّ عَلَيْكَ الْمُدَاوِمَةُ .. فَأَصْبِرْ صَبْرَ الْمَرِيضِ عَلَى

(١) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « كأنك في
الدنيا لم تكن وفي الآخرة لم تزل » .

ومن « رياض الأنس » [(خ) روضة الأنس للخائفين] : قال النبي
صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل النور القلب .. انفسح وانشرح » ،
ف قيل : يا رسول الله ؛ وهل لذلك من علامة؟ قال : « نعم ؛ التجافي
عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل
نزوله » [ك ٣١١/٤] .

وسئل بعضهم عن الاستعداد للموت فقال : ثلاثة أشياء :
اكتساب المكارم ، واجتناب المحارم ، والصبر على المكاره .
وقال بعضهم : كلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها طالباً ، وكلنا قد
أيقن بالنار ولا نرى منها هارباً ، وكلنا قد أيقن بالموت ولا نرى له
مستعداً . « رياض » [(خ) روضة الأنس للخائفين] .

مَرَارَةِ الدَّوَاءِ أَنْتَظَاراً لِلشِّفَاءِ ، وَتَفَكُّرُ فِي قِصْرِ عُمرِكَ ،
وَإِنْ عِشْتَ مِئَةَ سَنَةٍ .

فَذَلِكَ بِالإِضَافَةِ إِلَى مُقَامِكَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَهِيَ أَبَدُ
الْآبَادِ .. قَلِيلٌ .

وَتَأَمَّلْ أَنَّكَ كَيْفَ تَتَحَمَّلُ الْمَشَقَّةَ وَالذُّلَّ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا
شَهْراً أَوْ سَنَةً رَجَاءً أَنْ تَسْتَرِيحَ بِهَا عِشْرِينَ سَنَةً مِثْلاً!!
فَكَيْفَ لَا تَتَحَمَّلُ ذَلِكَ أَيَّاماً قَلِيلاً رَجَاءً الْإِسْتِرَاحَةِ أَبَدَ
الْآبَادِ؟!

وَلَا تُطَوِّلْ أَمَلَكَ فَيَتَقَلَّ عَلَيْكَ عَمَلُكَ ، وَقَدِّرْ قُرْبَ
الْمَوْتِ ، وَقُلْ فِي نَفْسِكَ إِنِّي أَتَحَمَّلُ الْمَشَقَّةَ الْيَوْمَ ؛
فَلَعَلِّي أَمُوتُ اللَّيْلَةَ ، وَأَصْبِرُ اللَّيْلَةَ فَلَعَلِّي أَمُوتُ غَداً ، فَإِنَّ
الْمَوْتَ لَا يَهْجُمُ فِي وَقْتِ مَخْصُوصٍ وَسِنِّ مَخْصُوصٍ
وَحَالِ مَخْصُوصٍ^(١) .

(١) جاء في هامش (أ) : (في الحديث : « عَجِبْتُ لَغَافِلٍ لَا يَغْفَلُ =

وَلَا بُدَّ مِنْ هُجُومِهِ .

فَالْأَسْتِعْدَادُ لَهُ أَوَّلَى مِنْ الْأَسْتِعْدَادِ لِلدُّنْيَا ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ
أَنَّكَ لَا تَبْقَى فِيهَا إِلَّا مُدَّةً يَسِيرَةً ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَجْلِكَ
إِلَّا نَفْسٌ ، أَوْ سَاعَةٌ ، أَوْ يَوْمٌ وَاحِدٌ .. فَقَدَّرَ هَذَا فِي قَلْبِكَ
كُلَّ يَوْمٍ ، وَكَلَّفَ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمًا
فِيَوْمًا ، فَإِنَّكَ لَوْ قَدَّرْتَ الْبَقَاءَ خَمْسِينَ سَنَةً ، وَالزَّمَنَتَهَا
الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى .. نَفَرْتَ وَأَسْتَضَعَبْتَ عَلَيْكَ .

فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ .. فَرِحْتَ عِنْدَ الْمَوْتِ فَرَحًا لَا آخَرَ
لَهُ ، وَإِنْ سَوَّفْتَ وَتَسَاهَلْتَ .. جَاءَكَ الْمَوْتُ فِي وَقْتٍ لَا
تَحْتَسِبُهُ ، وَتَحَسَّرْتَ تَحَسُّرًا لَا آخَرَ لَهُ .

وَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرِيَّ ، وَعِنْدَ الْمَوْتِ
يَأْتِيكَ الْخَبَرُ الْيَقِينُ ، ﴿ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ .

= عنه ، وعجبت لمؤمل دنيا والموت يطلبه ، وعجبت لضاحك ملء فيه
ولا يدري أأرضى الله أم أسخطه « [شهاب ٥٩٤] » .

وَإِذْ قَدْ أَرْشَدْنَاكَ إِلَى تَرْتِيبِ الْأَوْرَادِ .. فَلْنَذْكُرْ كَيْفِيَّةَ
الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ ، وَآدَابَهُمَا ، وَآدَابِ الْإِمَامَةِ ، وَالْقُدُورَةِ ،
وَالْجُمُعَةِ .

* * *

آدَابُ الصَّلَاةِ

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ طَهَارَةِ الْحَدَثِ ، وَطَهَارَةِ الْحَبْثِ فِي
الْبَدَنِ وَالثِّيَابِ وَالْمَكَانِ ، وَمِنْ سَتْرِ الْعَوْرَةِ مِنَ الشَّرِّ إِلَى
الرُّكْبَةِ .. فَاسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ قَائِمًا مُرَاحًا بَيْنَ قَدَمَيْكَ ؛ بِحَيْثُ
لَا تَضُمُّهُمَا ^(١) ، وَاسْتَوِ قَائِمًا ^(٢) ، وَأَقْرَأْ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
النَّاسِ) تَحَصُّنًا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ ،
وَفَرِّغْهُ مِنَ الْوَسَاوِسِ ، وَأَنْظِرْ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ تَقُومُ وَمَنْ
تُنَاجِي ، وَاسْتَحْيِ أَنْ تُنَاجِيَ مَوْلَاكَ بِقَلْبٍ غَافِلٍ وَصَدْرٍ

(١) مُرَاحًا : مفرقًا ، ندبًا بين قدميك قدر شبر بحيث لا تضمهما .

(٢) جاء في هامش (أ) : (وليكن على ذكرك ههنا خطر المقام بين
يدي الله في هول المطلع عند التعرُّض للسؤال ، والإطراق أقرب
للخشوع وأغض للبصر . » [إحياء] « (١/١٥٢) .

مَشْحُونٍ بَوَسَاوِسِ الدُّنْيَا وَخَبَائِثِ الشَّهَوَاتِ^(١) .

وَأَعْلَمَ : أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُطَّلِعٌ عَلَى سِرِّرَتِكَ ، وَنَاطِرٌ
إِلَى قَلْبِكَ ، وَإِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ صَلَاتَكَ بِقَدْرِ خُشُوعِكَ
وَتَوَاضُعِكَ وَخُضُوعِكَ وَتَضَرُّعِكَ^(٢) .

فَاعْبُدْهُ فِي صَلَاتِكَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ ..
فَإِنَّهُ يَرَاكَ .

(١) جاء في هامش (أ) : (وعند ذلك ينبغي أن يعرق جبينك من
الخجلة ، وترتعد فرائصك من الهيبة ، ويصفرَّ وجهك من الخوف .
« إحياء » [١٦٦/١]) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (فرع : يسن أن يشرع في الصلاة بنشاط
وفراغ قلب والخشوع فيها ، وأن يديم نظر محل سجوده إلا عند إشارته
في التشهد كما مر ، ولا يكره تغميض عينيه بلا خوف ضرر ، بل إن كان
أجمع لقلبه .. فهو أولى ، وأن يتفكر في تلاوته وأفعاله وذنوبه وأمر
آخرته ، ويكره في دنياه ، والتشاؤب حتى خارج الصلاة فليرده
ما استطاع ، وسدل ثوبه ، ويسن الإصغاء لإمامه ، وأن يتأنى الإمام في
قراءته وذكره ودعائه وأفعاله ليتمكن الضعيف منها . « العباب »
[٢١٨/١]) .

فَإِنْ لَمْ يَخْضُرْ قَلْبُكَ .. فَهَذَا لِقُصُورِ مَعْرِفَتِكَ
بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى .

فَقَدَّرَ أَنَّ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ وُجُوهِ أَهْلِ بَيْتِكَ يَنْظُرُ
إِلَيْكَ ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ صَلَاتِكَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْضُرُ قَلْبُكَ ،
وَتَسْكُنُ جَوَارِحُكَ !!

ثُمَّ أَرْجِعْ عَلَى نَفْسِكَ ، وَقُلْ : (أَلَا تَسْتَحْيِي مِنْ
خَالِقِكَ وَمَوْلَاكَ ؟ !) إِذْ قَدَّرْتَ أَطْلَاعَ عَبْدٍ ذَلِيلٍ مِنْ عِبَادِهِ
عَلَيْكَ ، وَلَيْسَ بِيَدِهِ ضَرْكٌ وَلَا نَفْعُكَ ، خَشَعَتْ
جَوَارِحُكَ ، وَحَسُنَتْ صَلَاتُكَ ، ثُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمِينَ أَنَّهُ مُطْلَعٌ
عَلَيْكَ ، وَلَا تَخْشَعِينَ لِعَظَمَتِهِ !!

أَهُوَ تَعَالَى أَقَلُّ عِنْدَكَ مِنْ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ ؟ !

فَمَا أَشَدَّ طُغْيَانَكَ وَجَهْلَكَ ، وَمَا أَعْظَمَ عِدَاوَتَكَ
لِنَفْسِكَ) .

فَعَالِجُ قَلْبِكَ بِهَذِهِ الْحِيلِ ، فَعَسَاهُ أَنْ يَخْضُرَ مَعَكَ فِي

صَلَاتِكَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا عَقَلْتَ مِنْهَا .
وَأَمَّا مَا أَتَيْتَ بِهِ مَعَ الْغَفْلَةِ .. فَهُوَ إِلَى الْإِسْتِغْفَارِ
وَالْتَّكْفِيرِ أَخَوْجُ .
فَإِذَا حَضَرَ قَلْبُكَ .. فَلَا تَتْرُكِ الْإِقَامَةَ ، وَإِنْ كُنْتَ
وَحْدَكَ .

وَإِنْ أَنْتَظَرْتَ حُضُورَ جَمَاعَةٍ .. فَأَذِّنْ ، ثُمَّ أَقِمِ .
فَإِذَا أَقَمْتَ .. فَأَنْوِ^(١) بِقَلْبِكَ أَدَاءَ فَرَضِ الظُّهْرِ لِلَّهِ
تَعَالَى ، وَلْيَكُنْ ذَلِكَ حَاضِرًا فِي قَلْبِكَ عِنْدَ تَكْبِيرَةِ
الْإِحْرَامِ^(٢) ، وَلَا يَعْزُبُ ذَلِكَ عَنْكَ قَبْلَ الْفَرَاعِ مِنْ
الْتَّكْبِيرِ^(٣) ، وَارْفَعْ يَدَيْكَ عِنْدَ الْتَّكْبِيرِ بَعْدَ إِرسَالِهِمَا أَوَّلًا

(١) جاء في هامش (أ) : (عازماً على إجابة الله في امتثال أمره في الصلاة) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (فإنه هو النية ، والألفاظ مذكرات وأسباب لحضورها . « إحياء » [١٥٣/١]) .

(٣) جاء في هامش (أ) : (وإذا كبرت : فإن كان هواك أغلب عليك =

إِلَىٰ مَنْكِبَيْكَ وَهُمَا مَبْسُوطَتَانِ ، وَأَصَابِعُهُمَا مَنُشُورَةٌ ، وَلَا
تَتَكَلَّفُ ضَمَّهُمَا وَلَا تَفْرِجُهُمَا ، وَأَرْفَعُ بِحَيْثُ يُحَاذِي
إِبْهَامُكَ شَحْمَةَ أُذُنِكَ وَرُؤُوسُ أَصَابِعِكَ أَعَالِي أُذُنَيْكَ ،
وَتُحَاذِي بِكَفَيْكَ مَنْكِبَيْكَ .

فَإِذَا اسْتَقَرَّتَا فِي مَقَرِّهِمَا .. فَكَبَّرُ ، ثُمَّ أَرْسَلَهُمَا بِرَفْقٍ
وَلَا تَدْفَعُ يَدَيْكَ عِنْدَ الرَّفْعِ وَالْإِرْسَالِ إِلَىٰ قُدَّامٍ دَفْعًا ، وَلَا
إِلَىٰ خَلْفٍ ، وَلَا تَنْفُضُهُمَا يَمِينًا وَشِمَالًا .

فَإِذَا أَرْسَلْتَهُمَا .. فَاسْتَأْنِفْ رَفْعَهُمَا إِلَىٰ صَدْرِكَ .

وَأَكْرِمِ الْيَمِينَ بِوَضْعِهَا عَلَى الشِّمَالِ ، وَأَنْشُرْ أَصَابِعَ
الْيُمْنَىٰ فِي طُولِ ذِرَاعِكَ الْيُسْرَىٰ ، وَأَقْبِضْ بِهَا عَلَىٰ

= من أمر الله ، وأنت أطوع له منك لله .. فقد اتخذته إلهك وكبرته ،
فيوشك أن يكون قولك : « الله أكبر » كلاماً باللسان المجرد ، وقد
تخلف القلب عن مساعدته ، وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة
والاستغفار وحسن الظن بكرم الله وعفوه . « إحياء » [١٦٦ / ١] .

كُوعَهَا ، وَقُلْ بَعْدَ التَّكْبِيرِ : (اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
كَثِيرًا ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) .

ثُمَّ أَقْرَأُ : (وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّ صَلَاتِي
وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (١) .

ثُمَّ قُلْ : (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) .

ثُمَّ أَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ بِتَشْدِيدَاتِهَا ، وَاجْتِهَدُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ
الضَّادِ وَالظَّاءِ ، وَقُلْ : (آمِينَ) ، وَلَا تَصِلْهُ بِقَوْلِكَ :
(وَلَا الضَّالِّينَ) وَصَلًا .

وَأَجْهَرُ بِالْقِرَاءَةِ فِي الصُّبْحِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ - أَغْنِي

(١) جاء في هامش (أ) : (ثم يقول : سبحانك اللهم وبحمدك ،
تبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك . « إحياء » [١/١٥٤]) .

فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ - إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَأْمُومًا ، وَأَجْهَرُ
بِالتَّأْمِينِ .

وَأَقْرَأُ فِي الصُّبْحِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ مِنَ الشُّورِ طَوَالَ
الْمُفَصَّلِ ، وَفِي الْمَغْرِبِ مِنْ قِصَارِهِ ، وَفِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ
وَالْعِشَاءِ مِنْ أَوْسَاطِهِ ، نَحْوُ : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ)
وَمَا قَارَبَهَا . وَفِي الصُّبْحِ فِي السَّفَرِ : (قُلْ يَا أَيُّهَا
الْكَافِرُونَ) ، وَ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) .

وَلَا تَصِلْ آخِرَ السُّورَةِ بِتَكْبِيرَةِ الرُّكُوعِ ، وَلَكِنْ أَفْصِلْ
بَيْنَهُمَا بِمَقْدَارِ قَوْلِكَ : (سُبْحَانَ اللَّهِ) .

وَكُنْ فِي جَمِيعِ قِيَامِكَ مُطَرِّقًا قَاصِرًا نَظَرَكَ عَلَى
مُصَلَّاكَ ، فَذَلِكَ أَجْمَعُ لِهَمِّكَ ، وَأَجْدَرُ لِحُضُورِ
قَلْبِكَ ^(١) .

(١) جاء في هامش (أ) : (واعلم : أن من مكائد الشيطان أن يشغلك في الصلاة بفكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ؛ ليمنعك عن فهم =

وَإِيَّاكَ أَنْ تَلْتَفِتَ يَمِينًا وَشِمَالًا فِي صَلَاتِكَ .

ثُمَّ كَبَّرَ لِلرُّكُوعِ^(١) ، وَأَرْفَعَ يَدَيْكَ كَمَا سَبَقَ ، وَمُدَّ
الَّتَكْبِيرَ إِلَى الْإِنْتِهَاءِ إِلَى الرُّكُوعِ ، ثُمَّ ضَعُ رَاحَتَيْكَ عَلَى

= ما تقرأ .. فاعلم : أن كل ما يشغلك عن معاني قراءتك .. فهو

وسواس ، فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها .

وأما القراءة : فالناس فيها ثلاثة :

رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل .

ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كأنه

يسمعه من غيره ، وهذه درجة أصحاب اليمين .

ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولاً ، ثم يخدم اللسان قلبه

فيترجمه .

ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب ، أو يكون معلّم

القلب ، والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب .

« إحياء » [١٦٧/١] .

(١) جاء في هامش (أ) : (وينبغي أن تجدد عنده ذكر كبرياء الله ،

وترفع يديك مستجيراً بعفو الله من عقابه ، ومتبّعاً سنة نبيه صلى الله عليه

وسلم ، ثم تستأنف له ذلاً وتواضعاً بركوعك ، وتجتهد في ترقيق قلبك

وتجديد خشوعك ، وتستشعر ذلك وعزّ مولاك واتضاعك وعلوّ ربك .

« إحياء » [١٦٩/١] .

رُكْبَتَيْكَ وَأَصَابِعُكَ مَنْشُورَةً ، وَأَنْصِبْ رُكْبَتَيْكَ وَمُدَّ ظَهْرَكَ
وَعُنُقَكَ وَرَأْسَكَ مُسْتَوِيًّا كَالصَّفِيحَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَجَافِ
مِرْفَقَيْكَ عَنْ جَنْبَيْكَ - وَالْمَرْأَةُ لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ ^(١) - وَقُلْ :
(سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ) ثَلَاثًا .

وَإِنْ كُنْتَ مُنْفَرِدًا وَأَرَدْتَ الزِّيَادَةَ .. فَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَوْ
عَشْرًا ؛ فَإِنَّهُ حَسَنٌ .

ثُمَّ أَرْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا ، وَأَرْفَعْ يَدَيْكَ قَائِلًا :
(سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ) .

فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ .. فَقُلْ : (رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ
السَّمَاوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ) .

وَإِنْ كُنْتَ مُنْفَرِدًا فِي الصُّبْحِ .. فَأَقْرَأِ الْقُنُوتَ ^(٢) فِي

(١) بل تضم بعضها إلى بعض .

(٢) المروي بالإسناد الصحيح عن سيد شباب أهل الجنة الحسن بن
علي رضي الله عنهما وهو : « اللهم اهْدني فيمن هديت ، وعافني فيمن =

الرُّكْعَةَ الثَّانِيَةَ فِي اعْتِدَالِكَ عَنِ الرُّكُوعِ .

ثُمَّ أَسْجُدْ مُكَبِّرًا غَيْرَ رَافِعٍ يَدَيْكَ ، فَضَعْ أَوَّلًا عَلَى
الْأَرْضِ رُكْبَتَيْكَ ، ثُمَّ يَدَيْكَ ، ثُمَّ جَبْهَتَكَ مَكْشُوفَةً ، وَضَعْ
الْأَنْفَ مَعَ الْجَبْهَةِ ، وَجَافِ مِرْفَقَيْكَ عَنْ جَنْبَيْكَ ، وَأَقِلَّ
بَطْنَكَ عَنْ فَخْذَيْكَ - وَالْمَرْأَةُ لَا تَفْعَلُ ذَلِكَ - وَضَعْ يَدَيْكَ
عَلَى الْأَرْضِ حَذَوِ مَنْكِبَيْكَ ؛ وَلَا تَفْرُشْ ذِرَاعَيْكَ عَلَى
الْأَرْضِ ، وَقُلْ : (سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى ، ثَلَاثًا ، أَوْ
سَبْعًا ، أَوْ عَشْرًا) إِنْ كُنْتَ مُنْفَرِدًا ^(١) .

= عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر
ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ،
ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت » [ت ٤٦٤] .

قال الترمذي : هذا حديث حسن ، ولا نعرف عن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم في القنوت شيئاً أحسن من هذا .

قال النووي : واعلم أنه يستحب إذا كان المصلي إماماً أن يقول :
(اللهم اهدنا) بلفظ الجمع وكذلك الباقي . اهـ « أذكار » [٨٨] .

(١) جاء في هامش (أ) : (والسجود أعلى درجات الاستكانة ، =

ثُمَّ تَرَفَّعُ مِنَ السُّجُودِ مُكَبِّرًا حَتَّى تَعْتَدِلَ جَالِسًا ،
وَأَجْلِسْ عَلَى رِجْلِكَ الْيُسْرَى ، وَأَنْصِبْ قَدَمَكَ الْيُمْنَى ،
وَضَعْ يَدَيْكَ عَلَى فَخْذَيْكَ وَالْأَصَابِعُ مَنْشُورَةٌ ، وَقُلْ :
(رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَأَرْحَمْنِي ، وَأَرْزُقْنِي ، وَأَهْدِنِي ،
وَأَجْبِرْنِي ، وَعَافِنِي ، وَأَعْفُ عَنِّي) .

ثُمَّ اسْجُدْ سَجْدَةً ثَانِيَةً كَذَلِكَ .

ثُمَّ تَعْتَدِلُ جَالِسًا لِلْإِسْتِرَاحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ لَا تَشْهَدَ
عَقِبَهَا .

= فتمكّن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب ، وإن
أمكنك ألا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض .. فافعل ، فإنه
أجلب للخضوع ، وأدل على الذل . فإذا وضعت نفسك موضع الذل ..
فاعلم أنك وضعتها موضعها ، ورددت الفرع إلى أصله ، فإنك من
التراب خلقت وإليه تعود ، فعند هذا جدّد على قلبك عظمة الله تعالى ،
وقل : « سبحان ربي الأعلى » وأكده بالتكرار ؛ فإن الكثرة الواحدة
ضعيفة الأثر . « إحياء » [١٦٩/١] .

ثُمَّ تَقُومُ فَتَضَعُ أَيْدِيكَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَلَا تُقَدِّمُ إِحْدَى رِجْلَيْكَ فِي حَالَةِ الِارْتِفَاعِ ، وَأَبْتَدِئْ بِتَكْبِيرَةِ الِارْتِفَاعِ عِنْدَ الْقُرْبِ مِنْ حَدِّ جَلْسَةِ الِاسْتِرَاحَةِ ، وَمُدَّهَا إِلَى مُتَنَصِفِ ارْتِفَاعِكَ إِلَى قِيَامِكَ ، وَلِتَكُنْ هَذِهِ الْجَلْسَةُ جَلْسَةً مُخْتَطَفَةً خَفِيفَةً ، وَصَلِّ الرُّكْعَةَ الثَّانِيَةَ كَالْأُولَى ، وَأَعِدِ التَّعَوُّذَ فِي الْإِبْتِدَاءِ .

ثُمَّ تَجْلِسُ فِي الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ لِلتَّشْهِيدِ الْأَوَّلِ ، وَضَعِ أَيْدِيكَ الْيُمْنَى فِي جُلُوسِ التَّشْهِيدِ عَلَى الْفَخِذِ الْيُمْنَى مَقْبُوضَةً الْأَصَابِعِ ، إِلَّا الْمُسَبَّحَةَ وَالْإِبْهَامَ ، فَتُرْسِلُهُمَا ، وَأَشْرُ بِمُسَبَّحَةِ يُمْنَاكَ عِنْدَ قَوْلِكَ : (إِلَّا اللَّهُ) ، لَا عِنْدَ قَوْلِكَ : (لَا إِلَهَ) ، وَضَعِ أَيْدِيكَ الْيُسْرَى مَنْشُورَةً الْأَصَابِعِ عَلَى الْفَخِذِ الْأَيْسَرِ ، وَأَجْلِسْ عَلَى رِجْلِكَ الْيُسْرَى فِي هَذَا التَّشْهِيدِ كَمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ ، وَفِي التَّشْهِيدِ الْآخِرِ مُتَوَرِّكًا .

وَتَسْتَكْمِلُ الدُّعَاءَ الْمَعْرُوفَ الْمَأْثُورَ بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) ، وَأَجْلِسْ فِيهِ عَلَى
وَرِكَكَ الْأَيْسَرِ ، وَأَضْجِعْ رِجْلَكَ الْيُسْرَى خَارِجَةً مِنْ
تَحْتِكَ ، وَأَنْصِبِ الْقَدَمَ الْيُمْنَى .

ثُمَّ قُلْ بَعْدَ الْفَرَاغِ : (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ)
مَرَّتَيْنِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ ، وَالتَفَتْ بِحَيْثُ يَرَى خَدَّيْكَ مَنْ
بِجَانِبَيْكَ ، وَأَنُودِ السَّلَامَ عَلَى مَنْ بِجَانِبَيْكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
وَالْمُسْلِمِينَ .

وَهَذِهِ هَيْئَةُ صَلَاةِ الْمُتَفَرِّدِ .

وَعِمَادُ الصَّلَاةِ : الْخُشُوعُ^(٢) ، وَحُضُورُ الْقَلْبِ ، مَعَ

(١) جاء في هامش (أ) : (ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور
مع التواضع والخشوع ، والضراعة والابتهاال ، وصدق الرجاء في
الإجابة ، وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين . « إحياء »
[١٦٩ / ١]) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (قال بعضهم : ما دخلت في صلاة قط . .
فأهمني [فيها] غير ما أقول .

الْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ بِأَلْفِهِمْ^(١) .

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : (كُلُّ صَلَاةٍ لَا يَخْضُرُ فِيهَا الْقَلْبُ .. فَهِيَ إِلَى الْعُقُوبَةِ أَسْرَعُ) [فيض ٢/ ٣٣٤] .

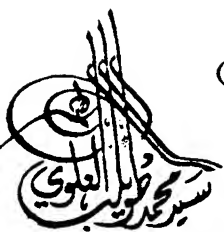
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ فَلَا يُكْتَبُ لَهُ سُدُسُهَا وَلَا عَشْرُهَا ، وَإِنَّمَا يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ .. مَا عَقَلَ مِنْهَا » [حلية ٦١/٧ بنحوه] .

* * *

= وقيل لعامر بن عبد الله : هل تجد في الصلاة شيئاً من أمور الدنيا؟ فقال : لأن تختلف عليَّ الأَسِنَّة .. أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَجِدَ فِي الصَّلَاةِ مَا تَجِدُونَ .

وقيل لبعضهم : هل تحدث نفسك بشيء من الدنيا في الصلاة؟ فقال : لا في الصلاة ، ولا في غيرها . « عوارف » [١٢٨/٢] .

(١) جاء في هامش (أ) : (وأما صلاة الغافلين .. فهي خطيرة إلا أن يتغمده الله برحمته . والرحمة واسعة والكرم فائض ، فنسأل الله تعالى أن يغفرنا برحمته ، ويتغمدنا بمغفرته ؛ إذ لا وسيلة لنا إلا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته . « إحياء » [١٧٠/١]) .



آدَابُ الْإِمَامَةِ وَالْقُدْوَةِ^(١)

يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ يُخَفِّفَ الصَّلَاةَ .

قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (مَا صَلَّيْتُ خَلْفَ أَحَدٍ أَخَفَّ صَلَاةً وَلَا أَتَمَّ .. مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) [م]

. [١٩٠/٤٦٩]

(١) جاء في هامش (أ) : (فضيلة الجماعة :

قال صلى الله عليه وسلم : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » [خ ٦٤٥] .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه : أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناساً في بعض الصلوات فقال : « لقد هممت أن آمر رجلاً أن يصلي بالناس ، ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها ، فأمر بهم ، فتحرق بحزم الحطب بيوتهم ، ولو علم أحدهم أنه يجد عظماً سميناً لشهدها . يعني : صلاة العشاء » [م ٦٥١] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من شهد العشاء .. فكأنما قام نصف ليلة ، ومن شهد الصبح .. فكأنما قام ليلة » [ط ٢٩٧] .

.....
= وقال صلى الله عليه وسلم : « من صلى صلاة في جماعة .. فقد ملأ نحره عبادة » .

وقال سعيد بن المسيب : ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد . وقال محمد بن واسع : ما أشتهي من الدنيا إلا ثلاثة : أحاً إن تعوجت أقامني ، وقوتاً من الرزق عفواً بغير تبعة ، وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها .

وروي أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوماً مرة فلما انصرف .. قال : ما زال الشيطان بي أنفأ حتى رأيت أن لي فضلاً على غيري ، لا أؤم بعدها أبداً .

وقال الحسن : لا تصلوا خلف رجل لا يختلف إلى العلماء .
وقد قال النخعي : مثل الذي يؤم الناس بغير علم .. كمثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : من سمع المنادي ثم لم يُجب .. لم يُرد خيراً ولم يُرد به .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : لأن تُملأ أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً .. خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب .

ويروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد ، فقبل له : إن الناس قد انصرفوا فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ لفضل هذه الصلوات أحب إلي من ولاية العراق . وقال صلى الله عليه وسلم : « من صلى أربعين

وَلَا يُكَبِّرُ مَا لَمْ يَفْرُغِ الْمُؤَذِّنُ مِنَ الْإِقَامَةِ ، وَمَا لَمْ تَسْتَوِ
الْصُّفُوفُ ، وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرَاتِ ، وَلَا يَرْفَعُ الْمُأْمُومُ
صَوْتَهُ إِلَّا قَدَرًا مَا يُسْمِعُ نَفْسَهُ .

وَيَتَوَيَّ الْأِمَامَةَ لِيَنَالَ الْفَضْلَ .

فَإِنْ لَمْ يَتَوَيَّ .. صَحَّتْ صَلَاةُ الْمُأْمُومِينَ إِذَا نَوَّوْا الْإِقْدَاءَ
بِهِ ، وَنَالُوا فَضْلَ الْقُدْوَةِ .

وَيُسِرُّ بِدُعَاءِ الْأِسْتِفْتَاكِحِ وَالتَّعَوُّذِ كَالْمُنْفَرِدِ ، وَيَجْهَرُ
بِالْفَاتِحَةِ وَالسُّورَةِ فِي جَمِيعِ الصُّبْحِ ، وَأَوَّلَتِي الْمَغْرِبِ
وَالْعِشَاءِ ، وَكَذَلِكَ الْمُنْفَرِدُ .

وَيَجْهَرُ بِقَوْلِهِ (آمِينَ) فِي الْجَهْرِيَّةِ ، وَكَذَلِكَ
الْمُأْمُومُ ، وَيَقْرَأُ الْمُأْمُومُ تَأْمِينَهُ بِتَأْمِينِ الْإِمَامِ مَعًا ،
لَا تَعْقِيًا .

= يوماً جماعة لا يفوته منها تكبيرة الإحرام .. كتبت له براءتان ؛ براءة من
النفاق وبراءة من النار » [ت ٢٤١] . « إحياء علوم الدين »
[١٤٨-١٤٩] .

وَيَسْكُتُ الْإِمَامُ سَكْتَةً عَقِيبَ الْفَاتِحَةِ لِيُثَوِّبَ إِلَيْهِ
نَفْسَهُ .

وَيَقْرَأُ الْمَأْمُومُ الْفَاتِحَةَ فِي الْجَهْرِيَّةِ فِي هَذِهِ السَّكْتَةِ ،
لِيَتِمَّكَنَ مِنَ الْأَسْتِمَاعِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْإِمَامِ ^(١) .

(١) جاء في هامش (أ) : (فضيلة الخشوع : قال الله تعالى :
﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ
الْقَوْلِ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصْيَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ .
وقال تعالى : ﴿ لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا
تَقُولُونَ ﴾ .

قيل سكارى من كثرة الهم ، وقيل : من حب الدنيا .
وقال وهب : إن المراد به ظاهره ، ففيه تنبيه على سكر الدنيا ؛ إذ
بيِّن فيه العلة فقال : ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ .

وكم من مصلٍّ لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلاته .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من صلى ركعتين لم يُحَدَّثْ
فيهما نفسه بشيء من الدنيا .. غفر له ما تقدم من ذنبه » [خ ١٥٨] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إنما الصلاة تمسكن وتواضع ،
وتضرع وتبأس وتنادم ، وتضع يديك فتقول : اللهم إن لم يفعل .. =

.....
= فهي خداج « [ت ٣٨٥ بنحوه] .

وروي عن الله تعالى في الكتب السالفة : « أن الله سبحانه وتعالى يقول : ليس كلُّ مصلٍّ أتقبل صلاته ، إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ، ولم يتكبر على عبادي ، وأطعم الفقير الجائع لوجهي » [حلية ١٨/٤] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما فرضت الصلاة ، وأمر بالحج والطواف ، وأشعرت المناسك .. لإقامة ذكر الله تعالى » [خز ٢٧٣٨ بنحوه] .

فإن لم يكن في قلبك للمذكور - الذي هو المقصود والمبتغى - عظمة ولا هبة .. فما قيمة ذكرك؟!

وقال صلى الله عليه وسلم للذي أوصاه : « إذا صليت .. فصلِّ صلاة مودّع » [ق ٤١٧١] .

أي : مودع لنفسه ، مودع لهواه ، مودع لعمره ، سائر إلى ربه ؛ كما قال تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَلْيَقِهِ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلاقُوهُ ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر .. لم يزد من الله إلا بعداً » [طب ٥٤/١١] . والصلاة مناجاة ؛ فكيف تكون مع الغفلة؟!

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه =

وَلَا يَقْرَأُ الْمَأْمُومُ السُّورَةَ فِي الْجَهْرِ إِلَّا إِذَا لَمْ يَسْمَعْ
صَوْتَ الْإِمَامِ .

= وسلم يحدثنا ونحدثه ، فإذا حضرت الصلاة .. فكأنه لم يعرفنا ولم
نعرفه (اشتغالا بعظمة الله .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا ينظر الله إلى صلاة لم يُحْضِرِ
الرجل فيها قلبه مع بدنه » [نوار ١٧٤/٢ بنحوه] .

وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا قام إلى
الصلاة .. سمع وجيب قلبه على ميلين .

وكان سعيد التنوخي إذا صلى .. لم تنقطع الدموع من خديه على
لحيته .

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يعبث بلحيته في
الصلاة، فقال : « لو خشع قلب هذا .. لخشعت جوارحه » [ش ٦٧٨٧] .

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه إذا حضرت
الصلاة يتزلزل ويتلون ، فقليل له : مالك يا أمير المؤمنين؟ فقال : جاء
وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال ، فأبين أن
يحملنها وأشفقن منها ، وحملتها أنا .

ويروى عن علي بن الحسين رضي الله عنه : أنه إذا توضأ .. اصفرَّ
لونه ، فيقول له أهله : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فقال :
أندرون بين يدي من أريد أقوم؟! اهـ بحمد الله .

وَلَا يَزِيدُ الْإِمَامُ عَلَى الثَّلَاثِ فِي تَسْبِيحَاتِ الرُّكُوعِ
وَالسُّجُودِ .

وَلَا يَزِيدُ فِي التَّشَهُّدِ الْأَوَّلِ بَعْدَ قَوْلِهِ : (اَللّٰهُمَّ ؛ صَلِّ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ) .

وَيَقْتَصِرُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ عَلَى الْفَاتِحَةِ ، وَلَا
يُطَوِّلُ عَلَى الْقَوْمِ ، وَلَا يَزِيدُ دُعَاءَهُ فِي التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ عَلَى
قَدْرِ تَشَهُّدِهِ وَصَلَاتِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .

وَيَنْوِي الْإِمَامُ عِنْدَ التَّسْلِيمِ السَّلَامَ عَلَى الْقَوْمِ ، وَيَنْوِي
الْقَوْمَ بِتَسْلِيمِهِمْ جَوَابَهُ .

وَيَثْبُتُ الْإِمَامُ سَاعَةً يَفْرُغُ مِنَ السَّلَامِ ، وَيُقْبَلُ عَلَى
النَّاسِ بِوَجْهِهِ ، وَلَا يَثْبُتُ إِنْ كَانَ خَلْفَهُ النِّسَاءُ لِيَنْصَرِفْنَ
أَوَّلًا ، وَلَا يَقُومُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ حَتَّى يَقُومَ الْإِمَامُ ،

وَيَنْصَرِفُ الْإِمَامُ حَيْثُ شَاءَ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ شِمَالِهِ ، وَالْيَمِينُ أَحَبُّ إِلَيَّ .

وَلَا يَخْصُصُ الْإِمَامُ نَفْسَهُ بِالذُّعَاءِ فِي قُنُوتِ الصُّبْحِ ؛ بَلْ يَقُولُ : (اَللّٰهُمَّ اهْدِنَا) ، وَيَجْهَرُ بِهِ ، وَيُؤَمِّنُ الْقَوْمُ ، وَلَا يَرْفَعُونَ الْأَيْدِيَ فَلَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ فِي الْأَخْبَارِ ^(١) ، وَيَقْرَأُ الْمَأْمُومُ بَقِيَّةَ الْقُنُوتِ مِنْ قَوْلِهِ : (فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْكَ) ، وَلَا يَقِفُ الْمَأْمُومُ وَحْدَهُ بَلْ يَدْخُلُ الصَّفَّ ، أَوْ يَجُرُّ إِلَىٰ نَفْسِهِ غَيْرَهُ ^(٢) .

وَلَا يَنْبَغِي لِلْمَأْمُومِ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى الْإِمَامِ فِي أَفْعَالِهِ أَوْ

(١) بحسب ما بلغ المصنف رضي الله عنه ، وإلا .. فالمعتمد : أنه يسن رفع اليدين فيه للإمام وغيره ، وفيه خبر ثابت عند الحاكم ، وكلام المصنف في كتاب « الإحياء » يخالف كلامه هنا ، ونصه : (وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت ، فإذا صح الحديث استُحِبَّ ذلك) .
(٢) ولا ينبغي للمأْموم الواقف في الصف أن يتأخر عن موافقة جاره الخارج عن الصف وهو وحده ، وذلك بأن يحرم بالصلاة قبل جَرِّهِ ! وذلك لأن موافقته سنة وهي من باب : (وتعاونوا على البر والتقوى) .

يُسَاوِيَهُ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَخَّرَ ، فَلَا يَهْوِي إِلَى الرُّكُوعِ إِلَّا
إِذَا أَنْتَهَى الْإِمَامُ إِلَى حَدِّ الرَّاكِعِينَ ، وَلَا يَهْوِي إِلَى السُّجُودِ
مَا لَمْ تَصِلْ جَنْبَهُ الْإِمَامُ إِلَى الْأَرْضِ .

* * *

آداب الجمعة

أَعْلَمُ : أَنَّ الْجُمُعَةَ عِيدُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ يَوْمٌ شَرِيفٌ
قَدْ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ ، وَفِيهِ سَاعَةٌ مُبْهِمَةٌ لَا
يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا حَاجَةً .. إِلَّا أَعْطَاهُ
إِيَّاهَا .

فَاسْتَعِدَّ لَهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ بِتَنْظِيفِ الثِّيَابِ ، وَبِكَثْرَةِ
التَّسْبِيحِ وَالْإِسْتِغْفَارِ عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ ، فَإِنَّهَا سَاعَةٌ تُوَازِي
فِي الْفَضْلِ سَاعَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ^(١) .

(١) جاء في هامش (أ) : (قال بعض السلف : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَضلاً
سِوَى أَرْزَاقِ الْعِبَادِ ؛ لَا يُعْطَى مِنْ ذَلِكَ الْفَضْلِ إِلَّا مَنْ سَأَلَهُ عَشِيَّةَ
الْخَمِيسِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ . « إحياء » [١٨٠ / ١]) .

وَأَنُؤِ صَوْمَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، لَكِنْ مَعَ السَّبْتِ أَوْ مَعَ
الْخَمِيسِ ، إِذْ فِي إِفْرَادِهَا نَهْيٌ .

فَإِذَا طَلَعَ عَلَيْكَ الصُّبْحُ .. فَأَغْتَسِلْ ، فَإِنَّ غُسْلَ يَوْمِ
الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ ؛ أَيُّ : ثَابِتٌ مُؤَكَّدٌ ^(١) .

ثُمَّ تَزَيَّنْ بِالثِّيَابِ الْبَيِضِ ، فَإِنَّهَا أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى .

وَأَسْتَعْمِلْ مِنَ الطَّيِّبِ أَطْيَبَ مَا عِنْدَكَ ، وَبَالِغٍ فِي
تَنْظِيفِ بَدَنِكَ بِالْحَلَقِ وَالْقَصِّ وَالتَّقْلِيمِ وَالسَّوَالِكِ وَسَائِرِ
أَنْوَاعِ النِّظَافَةِ ، وَتَطْيِيبِ الرَّائِحَةِ .

ثُمَّ بَكَّرْ إِلَى الْجَامِعِ ، وَأَسْعَ إِلَيْهَا عَلَى الْهَيْئَةِ

(١) جاء في هامش (أ) : (وبهذا يتم أدب الاستقبال ، ويخرج عن
زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا : ما هذا اليوم؟
قال بعض السلف : أوفى الناس نصيباً من الجمعة : من انتظرها
ورعاها من الأمس ، وأخفهم نصيباً : من إذا أصبح قال : أيش
اليوم؟ . « إحياء » [١٨٠ / ١]) .

وَالسَّكِينَةَ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 « مَنْ رَاحَ إِلَى الْجُمُعَةِ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى .. فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ
 بَدَنَهُ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ .. فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً ،
 وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ .. فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا ، وَمَنْ
 رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ .. فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ
 فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ .. فَكَأَنَّمَا أَهْدَى بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ
 الْإِمَامُ .. طُوِيَتِ الصُّحُفُ ، وَرُفِعَتِ الْأَقْلَامُ ، وَاجْتَمَعَتِ
 الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ » [خ ٨٨١] .

وَيُقَالُ : (إِنَّ النَّاسَ فِي قُرْبِهِمْ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ
 تَعَالَى .. عَلَى قَدْرِ بُكُورِهِمْ إِلَى الْجُمُعَةِ) .

ثُمَّ إِذَا دَخَلَتِ الْجَامِعَ .. فَاطْلُبِ الصَّفَّ الْأَوَّلَ ، وَإِذَا
 اجْتَمَعَ النَّاسُ .. فَلَا تَتَخَطَّ رِقَابَهُمْ^(١) ، وَلَا تَمُرَّ بَيْنَ

(١) جاء في هامش (أ) : (فقد ورد فيه وعيد شديد وهو : أنه يُجعل
 جسراً يوم القيامة يتخطاه الناس . « إحياء » [١٨٢/١]) .

أَيْدِيهِمْ ، وَأَجْلِسْ بِقُرْبِ حَائِطٍ أَوْ أُسْطُوَانَةٍ حَتَّى لَا يُمَرَّ بَيْنَ يَدَيْكَ ^(١) .

وَلَا تَقْعُدْ حَتَّى تُصَلِّيَ التَّحِيَّةَ ، وَحَسَنُ أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ؛ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ خَمْسِينَ مَرَّةً ؛ فَفِي الْخَبَرِ : « أَنْ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ .. لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، أَوْ يُرَى لَهُ ذَلِكَ » [لسان ٣٤/٥] .

وَلَا تَتْرُكِ التَّحِيَّةَ وَإِنْ كَانَ الْإِمَامُ يَخْطُبُ .

وَمِنَ السُّنَّةِ أَنْ تَقْرَأَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتِ سُورَةَ (الْأَنْعَامِ) ، وَ(الْكَهْفِ) ، وَ(طه) ، وَ(يس) ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ ..

(١) جاء في هامش (أ) : (ففي الحديث : « لأن يكون الرجل رماداً أو رميمًا تذرّوه الرياح .. خير له من أن يمر بين يدي المصلي » [ترغيب ٧٩٤] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه .. لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه » . [خ ٥١٠] . « إحياء » [١٨٣/١] .

فَسُورَةَ (يَس) ، وَ (اَلْمَ السَّجْدَةِ) ، وَ (حَم الدُّخَان) ،
وَ (اَلْمُلْك) .

وَلَا تَدَعُ قِرَاءَةَ هَذِهِ السُّورِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، فَفِيهَا فَضْلٌ
كَثِيرٌ .

وَمَنْ لَا يُحْسِنُ ذَلِكَ .. فَلْيُكْثِرْ قِرَاءَةَ سُورَةِ
(الْإِخْلَاصِ) .

وَأَكْثِرِ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْيَوْمِ خَاصَّةً .

وَمَهْمَا خَرَجَ الْإِمَامُ .. فَاقْطَعْ الصَّلَاةَ وَالْكَلامَ ،
وَأَشْتَغِلْ بِجَوَابِ الْمُؤَذِّنِ ، ثُمَّ بِاسْتِمَاعِ الْخُطْبَةِ وَالْإِتِّعَازِ
بِهَا ، وَدَعِ الْكَلَامَ رَأْسًا فِي الْخُطْبَةِ ، فَبِالْخَبَرِ : « أَنْ مَنْ
قَالَ لِصَاحِبِهِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ : أَنْصِتْ أَوْ صَهْ .. فَقَدْ لَغَا ،
وَمَنْ لَغَا .. فَلَا جُمُعَةَ لَهُ » أَيْ قَوْلُهُ : « أَنْصِتْ » ..
كَلَامٌ .

فَيَنْبَغِي أَنْ يَنْهَى غَيْرَهُ بِالْإِشَارَةِ لَا بِاللَّفْظِ ^(١) .

ثُمَّ أَقْتَدِ بِالْإِمَامِ كَمَا سَبَقَ .

فَإِذَا فَرَّغْتَ وَسَلَّمْتَ .. فَأَقْرَأْ (أَلْفَاتِحَةً) قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ
سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَ(الْإِخْلَاصَ) سَبْعاً ، وَ(الْمُعَوِّذَتَيْنِ)
سَبْعاً ، سَبْعاً ؛ فَذَلِكَ يَعْصِمُكَ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ ،
وَيَكُونُ حِزْزاً لَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَقُلْ بَعْدَ ذَلِكَ :
(اَللّٰهُمَّ ؛ يَا غَنِيَّ يَا حَمِيدُ ، يَا مُبْدِيَّ يَا مُعِيدُ ، يَا رَحِيمُ يَا
وَدُودُ .. اَعْنِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَبِطَاعَتِكَ عَنْ
مَعْصِيَتِكَ ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ) .

ثُمَّ صَلِّ بَعْدَ الْجُمُعَةِ رَكَعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعاً أَوْ سِتّاً ، فَكُلُّ
ذَلِكَ مَرْوِيٌّ فِي أَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ .

(١) جاء في هامش (أ) : (روي عن عثمان وعلي رضي الله
عنهما : من استمع وأنصت .. فله أجران ، ومن لم يستمع وأنصت ..
فله أجر ، ومن سمع ولغا .. فعليه وزران ، ومن لم يستمع ولغا ..
فعليه وزر واحد) .

ثُمَّ لَا زِمَ الْمَسْجِدَ إِلَى الْمَغْرِبِ أَوْ إِلَى الْعَصْرِ ، وَكُنْ
حَسَنَ الْمُرَاقِبَةِ لِلسَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ ؛ فَإِنَّهَا مُبْهَمَةٌ فِي جَمِيعِ
الْيَوْمِ ، فَعَسَاكَ أَنْ تُذَرِكَهَا وَأَنْتَ خَاشِعٌ لِلَّهِ تَعَالَى ،
مُتَضَرِّعٌ .

وَلَا تَحْضُرْ فِي الْجَامِعِ الْحَلَقَ وَلَا تُجَالِسِ الْقُصَّاصَ ؛
بَلْ مَجْلِسَ الْعِلْمِ النَّافِعِ ، وَهُوَ الَّذِي يَزِيدُ فِي خَوْفِكَ
مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَنْقُصُ مِنْ رَغْبَتِكَ فِي الدُّنْيَا ، فَكُلُّ عِلْمٍ
لَا يَدْعُوكَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ .. فَالْجَهْلُ أَعْوَدُ عَلَيْكَ
مِنْهُ ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ^(١) .

وَأَكْثَرُ الدُّعَاءِ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَعِنْدَ الزَّوَالِ ،

(١) جاء في هامش (أ) : (ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من
المساجد بحديث الدنيا .

قال صلى الله عليه وسلم : « يأتي على الناس زمان يكون حديثهم
في مساجدهم بأمر دنياهم ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم » [ش
٢٦٨/٨] . « إحياء » [١٨٥/١] .

وَعِنْدَ الْغُرُوبِ ، وَعِنْدَ الْإِقَامَةِ ، وَعِنْدَ صُعودِ الْخَطِيبِ
الْمُنْبَرِ ، وَعِنْدَ قِيَامِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَيُوشِكُ أَنْ تَكُونَ
السَّاعَةُ الشَّرِيفَةُ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ .

وَأَجْتَهِدْ أَنْ تَتَصَدَّقَ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَإِنْ
قَلَّ^(١) ، فَتَجْمَعَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالصَّوْمِ وَالْقِرَاءَةِ
وَالذِّكْرِ وَالْإِعْتِكَافِ .

وَأَجْعَلْ هَذَا الْيَوْمَ مِنَ الْأُسْبُوعِ خَاصَّةً لِآخِرَتِكَ ،
فَعَسَاهُ أَنْ يَكُونَ كَفَّارَةً لِبَقِيَّةِ الْأُسْبُوعِ .

* * *



(١) جاء في هامش (أ) : (ومن العلماء من كره الصدقة على سُؤال
الجامع الذين يتخطون رقاب الناس ؛ إلا أن يسأل قائماً أو قاعداً في
مكانٍ من غير تخطُّ . « إحياء » [١٨٨/١]) .

آدَابُ الصَّيَامِ^(١)

لَا يَنْبَغِي أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى صِيَامِ رَمَضَانَ ، فَتَتْرَكَ التَّجَارَةَ
بِالنَّوَافِلِ وَكَسْبِ الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ فِي الْفَرَادِيسِ ، فَتَتَحَسَّرَ

(١) جاء في هامش (أ) : (الحمد لله ، أما الواجبات الظاهرة ..
فسته :

الأول : مراقبة أول شهر رمضان ، وذلك يكون برؤيته الهلال ،
فإن غَمَّ .. فباستكمال شعبان ثلاثين ، ونعني بالرؤية : العلم ،
ويحصل ذلك بقول عدل ، ولا يثبت هلال شعبان إلا بقول عدلين
احتياطاً للعبادة .

ومن سمع عدلاً ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه .. لزمه
الصوم ، وإن لم يقض القاضي به .. فليتبع كل عبد من عبادته موجب
ظنه .

وإذا رئي الهلال ببلدة ولم يُرَ بأخرى وكان بينهما أقل من
مرحلتين .. وجب الصوم على الكل ، وإن كان أكثر كان لكل بلدة
حكمها ولا يتعدى الوجوب . « إحياء » معنى [١ / ٣٣٢] .

إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الصَّائِمِينَ كَمَا تَنْظُرُ إِلَى الْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ
وَهُمْ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ .

وَالْأَيَّامُ الْفَاضِلَةُ الَّتِي شَهِدْتَ الْأَخْبَارُ بِشَرَفِهَا ، وَجَزِيلِ
الثَّوَابِ فِي صِيَامِهَا : يَوْمُ عَرَفَةَ ، وَيَوْمُ عَاشُورَاءَ ، وَالْعَشْرُ
الْأَوَّلُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَالْعَشْرُ الْأَوَّلُ مِنَ الْمُحَرَّمِ ،
وَرَجَبُ ، وَشَعْبَانُ .

وَصَوْمُ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ مِنَ الْفَضَائِلِ ، وَهِيَ : ذُو
الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمِ وَرَجَبُ ، وَاحِدٌ فَرْدٌ وَثَلَاثَةٌ
سَرْدٌ ، وَهَذَا فِي السَّنَةِ .

وَأَمَّا فِي الشَّهْرِ : فَأَوَّلُهُ وَأَوْسَطُهُ وَآخِرُهُ . وَالْأَيَّامُ
الْبَيْضُ وَهِيَ : الثَّلَاثَةُ عَشَرَ وَالرَّابِعَ عَشَرَ وَالْخَامِسَ عَشَرَ .
وَأَمَّا فِي الْأُسْبُوعِ : فَالْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسُ وَالْجُمُعَةُ ،
فَكَفَّرَ ذُنُوبَ الْأُسْبُوعِ بِيَوْمِ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ .

وَكَفَّرَ ذُنُوبَ الشَّهْرِ بِالْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ وَالْيَوْمِ
الْأَوْسَطِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْأَيَّامِ الْبَيْضِ .

وَكَفَّرَ ذُنُوبُ السَّنَةِ بِصِيَامِ هَذِهِ الْأَيَّامِ وَالْأَشْهُرِ
الْمَذْكُورَةِ .

وَلَا تَظُنَّنَّ إِذَا صُمْتَ أَنَّ الصَّوْمَ هُوَ تَرْكُ الطَّعَامِ
وَالشَّرَابِ وَالْوِقَاعِ ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « كَمْ مِنْ صَائِمٍ .. لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ
وَالْعَطَشُ » [حم ٢/٤٤١] .

بَلْ تَمَامُ الصِّيَامِ بِكَفِّ الْجَوَارِحِ كُلِّهَا عَمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ
تَعَالَى ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَحْفَظَ الْعَيْنَ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْمَكَارِهِ ،
وَاللِّسَانَ عَنِ النُّطْقِ بِمَا لَا يَعْنِيكَ ، وَالْأُذُنَ عَنِ الْأَسْتِمَاعِ
إِلَى مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّ الْمُسْتَمِعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ
وَهُوَ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ .

وَكَذَلِكَ تَكْفُفُ جَمِيعِ الْجَوَارِحِ كَمَا تَكْفُفُ الْبَطْنَ

وَالْفَرْجَ^(١) ، فَفِي الْخَبَرِ : « خَمْسٌ يُفْطَرْنَ الصَّائِمَ :

(١) جاء في هامش (أ) : (فإن قلت : فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني ، فقد قال الفقهاء : صومه صحيح ، فما معناه؟ .. فاعلم : أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هي أضعف من هذه الأدلة التي أوردناها في هذه الشروط الباطنة ، لا سيما الغيبة وأمثالها .

ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكاليفات إلا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته .

وأما علماء الآخرة .. فيعنون بالصحة : القبول . وبالقبول : الوصول إلى المقصود . ويفهمون أنَّ المقصود من الصوم : التخلُّق بخلق من أخلاق الله عزَّ وجلَّ ؛ وهو : الصمديّة ، والاقتداء بالملائكة في الكفِّ عن الشهوات بحسب الإمكان ، فإنهم منزّهون عن الشهوات .

والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم ؛ لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ، ودون [رتبة] الملائكة ؛ لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلىً بمجاهدتها ، فكلما انهمك في الشهوات .. انحطَّ إلى أسفل سافلين ، والتحق بغمار البهائم ، وكلما قمع الشهوات .. ارتفع إلى أعلى عليين ، والتحق بأفق الملائكة .

والملائكة مقرَّبون من الله عزَّ وجلَّ ، والذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم .. يقرب من الله عزَّ وجلَّ كقربهم ؛ فإنَّ الشبيه من القريب قريبٌ ، وليس القرب ثمَّ بالمكان بل بالصفات ، وإذا كان هذا سرٌّ =

الْكَذِبُ ، وَالْغَيْبَةُ ، وَالنَّمِيمَةُ ، وَالْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ ، وَالنَّظَرُ
بِشَهْوَةٍ « [فر ٢٩٧٩] .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا الصَّوْمُ
جُنَّةٌ ، فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا .. فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلُ ؛
فَإِنْ أَمْرُو قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ .. فَلْيُقِلْ إِنِّي صَائِمٌ » [حم ٣٠٦/٢] .

ثُمَّ أَجْتَهَذَ أَنْ تُفْطَرَ عَلَى طَعَامٍ حَلَالٍ ، وَلَا تَسْتَكْثِرُ

= الصَّوْمُ عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب .. فأئى جدوى لتأخير أكلة
وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الآخر طول النهار ،
ولو كان لمثله جدوى .. فأئى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم : « كم
من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » [حم ٤٤١/٢] .

ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه : يا حبذا نوم الأكياس
وفطرهم ؛ كيف يغبنون صوم الحمقى وسهرهم !! ولذرة من ذي يقين
وتقوى .. أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين .

ولذلك قال بعض العلماء : كم من صائم مفطر ، وكم من مفطر
صائم ، والمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ، ويأكل
ويشرب ، والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه .
« إحياء » المؤلف [٣٣٦/١] .

فَتَزِيدَ عَلَى مَا تَأْكُلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ ، فَلَا فَرْقَ إِذَا أُسْتَوْفِيَتْ مَا
تَعْتَادُهُ .. أَنْ تَأْكُلَهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً أَوْ دَفْعَتَيْنِ ، وَإِنَّمَا
الْمَقْصُودُ كَسْرُ شَهْوَتِكَ ، وَضَعْفُ قُوَّتِكَ ؛ لِتَقْوَى بِهَا عَلَى
الْتِقْوَى^(١) .

فَإِذَا أَكَلْتَ عَشِيَّةً مَا تَدَارَكْتَ بِهِ مَا فَاتَكَ ضُحْوَةً .. فَلَا
فَائِدَةَ فِي صَوْمِكَ وَقَدْ ثَقُلْتَ عَلَى مَعِدَتِكَ ، وَمَا مِنْ وَعَاءٍ
أَبْغَضَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَطْنٍ مُلِئٍ مِنْ حَلَالٍ .

فَإِذَا عَرَفْتَ مَعْنَى الصَّوْمِ .. فَاسْتَكْثِرْ مِنْهُ مَا أُسْتَطَعْتَ ،
فَإِنَّهُ أَسَاسُ الْعِبَادَاتِ ، وَمِفْتَاحُ الْقُرْبَاتِ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى : كُلُّ حَسَنَةٍ بَعَشْرٍ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِثَّةٍ ضِعْفٍ ، إِلَّا

(١) جاء في هامش (أ) : (ومن آداب الطعام : أن يتحدثوا في حالة
أكله بالمعروف ، ويتحدثوا بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها .
« إحياء » [٧ / ٢]) .

الصَّيَّامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ « [ت ٦٩٥] .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ
الْمِسْكِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : إِنَّمَا يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ
وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي ، فَالصَّيَّامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ » ^(١) [حم ٤٦٥/٢] .

(١) جاء في هامش (أ) : (فلما كان الصبر على الصوم على
الخصوص قمعاً للشیطان ، وسدّاً لمسالكه ، وتضييقاً لمجاريه ..
استحق التخصيص بالنسبة إلى الله .

ففي قمع عدو الله نصره الله ، ونصرة الله موقوفة على النصر له .
قال الله تعالى : ﴿ إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ .

فالبداية : بالجهد من العبد ، والجزاء : بالهداية من الله تعالى ؛
ولذلك قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ .

وإنما التغير كسر الشهوات فهي مراتع الشياطين ومرعاهم ، فما
دامت مخضبة .. لم يزالوا يترددون إليها ، وما داموا يترددون إليها ..
فلا ينكشف للعبد جلال الله سبحانه ، وكان محجوباً عن لقائه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لولا أن الشياطين يحومون على =

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِلْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ :
الرَّيَّانُ ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ ، فَإِذَا دَخَلُوهُ .. أُغْلِقَ »
[طب ٦/١٨٤] .

فَهَذَا الْقَدْرُ مِنْ شَرْحِ الطَّاعَاتِ يَكْفِيكَ فِي بَدَايَةِ
الْهُدَايَةِ .

فَإِنْ أُرِيدَ إِلَى الزَّكَاةِ أَوْ الْحَجِّ أَوْ إِلَى مَزِيدٍ فِي شَرْحِ
الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ .. فَاطْلُبْهُ مِمَّا أوردناه فِي كِتَابِ « إَحْيَاءِ
عُلُومِ الدِّينِ » تَجِدُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

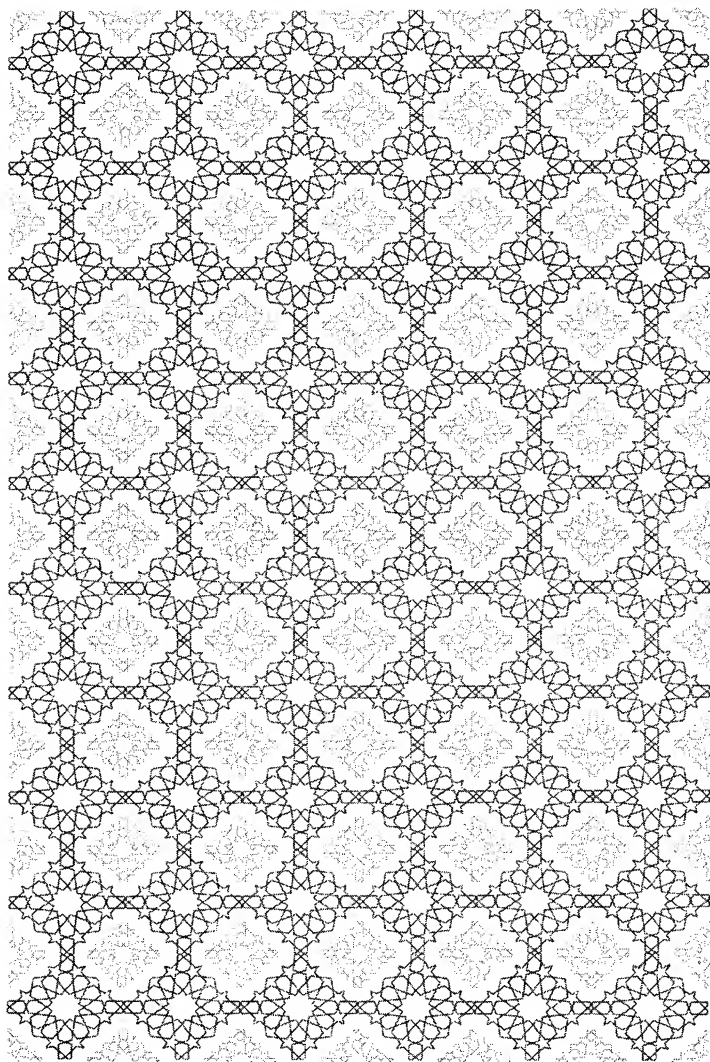
* * *

= قلوب بني آدم .. لنظروا إلى ملكوت السماوات » [حم ٢/٣٥٣] .
« إَحْيَاءِ » [٢٣٢/١]) .



القِسْمُ الثَّانِي

الْقَوْلُ فِي رَجَائِبِ الْمَعَاصِي



القسم الثاني

القول في تجنب المعاصي

أَعْلَمُ : أَنَّ الدِّينَ شَطْرَانِ :

أَحَدُهُمَا : تَرْكُ الْمَعَاصِي . وَالْآخَرُ : فِعْلُ
الطَّاعَاتِ . وَتَرْكُ الْمَنَاهِي هُوَ الْأَشَدُّ .

فَالطَّاعَةُ يَقْدَرُ عَلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ ، وَتَرْكُ الشَّهَوَاتِ لَا يَقْدَرُ
عَلَيْهِ إِلَّا الصَّادِقُونَ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ
هُوَ » [حم ٢٠٦/٢ بنحوه] .

وَأَعْلَمُ : أَنَّكَ إِنَّمَا تَعْصِي اللَّهَ تَعَالَى بِجَوَارِحِكَ ، وَهِيَ
نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَأَمَانَةٌ لَدَيْكَ ، فَاسْتِعَانْتُكَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ

تَعَالَى عَلَى مَعْصِيَتِهِ غَايَةُ الْكُفْرَانِ ، وَخِيَانَتِكَ فِي أَمَانَةٍ
أَوْدَعَكَهَا اللَّهُ غَايَةُ الطُّغْيَانِ ، فَإِنَّ أَعْضَاءَكَ رَعَايَاكَ ، فَانْظُرْ
كَيْفَ تَرْعَاهَا .

فَكُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .

وَأَعْلَمُ : أَنَّ جَمِيعَ أَعْضَائِكَ سَتَشْهَدُ عَلَيْكَ فِي
عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ بِلِسَانِ ذَلِكِ^(١) ، يَفْضَحُكَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى
مَلَأَ مِنَ الْخَلَائِقِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ
وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

فَاحْفَظْ جَمِيعَ بَدَنِكَ ، وَخُصُوصاً أَعْضَاءَكَ السَّبْعَةَ ؛

(١) ذَلِكِ : فَصِيح .

فَإِنَّ جَهَنَّمَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ، لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ،
وَلَا يَتَعَيَّنُ لَيْتَكَ الْأَبْوَابُ إِلَّا مَنْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى بِهَذِهِ
الْأَعْضَاءِ ، وَهِيَ : الْعَيْنُ ، وَالْأُذُنُ ، وَاللِّسَانُ ،
وَالْبَطْنُ ، وَالْفَرْجُ ، وَالْيَدُ ، وَالرَّجُلُ .

أَمَّا الْعَيْنُ : فَإِنَّمَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَهْتَدِيَ بِهَا فِي الظُّلُمَاتِ ،
وَتَسْتَعِينَ بِهَا فِي الْحَاجَاتِ ، وَتَنْظُرَ بِهَا إِلَى عَجَائِبِ مَلَكُوتِ
الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ^(١) ، وَتَعْتَبِرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْآيَاتِ .

(١) جاء في هامش (أ) : (قال قتادة رحمه الله : ملكوت
السموات : الشمس والقمر والنجوم ، وملكوت الأرض : الجبال
والأشجار والبحار .

والملكوت بمنزلة الملك ، إلا أن التاء زيدت للمبالغة ؛
كالرغبوت والرهبوت . « واحد » .

وليس المراد النظر إلى الدنيا بعين الاختيار ، وإنما أراد النظر إليها
بعين الاعتبار كما حكى أن يوسف بن أسباط أتى له بجوهرة فأخذها ،
وقبلها ، ووضعها على عينيه ، ثم وضعها بين يديه ، وقال : إن الدنيا
لم تخلق للنظر إليها إنما خلقت للنظر بها إلى الآخرة . « رياض الأنس »
[(خ) روضة الأنس للمنيين معنى] .

فَاحْفَظْهَا عَنْ ثَلَاثَةٍ :

- أَنْ تَنْظُرَ بِهَا إِلَى غَيْرِ مُحَرَّمٍ ، وَإِلَى صُورَةِ مَلِيحَةٍ
بِشَهْوَةِ نَفْسٍ .

- أَوْ تَنْظُرَ بِهَا إِلَى مُسْلِمٍ بَعَيْنِ الْأَخْتِقَارِ .

- أَوْ تَطْلُعَ بِهَا إِلَى عَيْنِ مُسْلِمٍ .



وَأَمَّا الْأَذُنُ : فَاحْفَظْهَا عَنْ أَنْ تُصْنِيَ بِهَا إِلَى الْبِدْعَةِ أَوْ
الْغَيْبَةِ أَوْ الْفُحْشِ ، أَوْ الْخَوْضِ فِي الْبَاطِلِ ، أَوْ ذِكْرِ
مَسَاوِي النَّاسِ ؛ فَإِنَّمَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَسْمَعَ بِهَا كَلَامَ اللَّهِ
تَعَالَى ، وَسُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحِكْمَةَ
أَوْلِيَائِهِ ، وَتَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى اسْتِفَادَةِ الْعِلْمِ ؛ لِتَنَالَ بِهَا
الْمُلْكَ الْمُقِيمَ وَالنَّعِيمَ الدَّائِمَ .

فَإِذَا أَصْغَيْتَ بِهَا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَكَارِهِ .. صَارَ مَا كَانَ

لَكَ عَلَيْكَ ، وَأُنْقَلَبَ مَا كَانَ سَبَبَ فَوْزِكَ .. فَصَارَ سَبَبَ
هَلَاكِكَ .

وَهَذَا غَايَةُ الْخُسْرَانِ .

وَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ الْإِثْمَ يَخْتَصُّ بِهِ الْقَائِلُ دُونَ الْمُسْتَمِعِ ،
فَفِي الْخَبَرِ : (إِنَّ الْمُسْتَمِعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ ، وَهُوَ أَحَدُ
الْمُغْتَابِينَ) ^(١) [فيض ٤٦٠/٣] .

* * *



(١) جاء في هامش (أ) : (قال بعضهم :

تحرَّ من الطرق أوساطها وعدَّ عن الجانب المشتبه
وسمعتُ صُنْ عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فإنك عند سماع القبيح شريك لقائله فانتبه

وروي عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه : أنه دعي إلى وليمة ،
فحضر ، فذكروا رجلاً لم يأتهم ، فقالوا : إنه ثقیل . فقال إبراهيم : أنا
فعلت هذا بنفسی ؛ حيث حضرت موضعاً يُغتاب فيه الناس . فخرَجَ
ولم يأكل ثلاثة أيام . « أذکار » [٤٢٢-٤٢٣] .

وَأَمَّا اللِّسَانُ^(١) : فَإِنَّمَا خُلِقَ لَكَ لِتُكْثِرَ بِهِ ذِكْرَ اللَّهِ
تَعَالَى ، وَتِلَاوَةَ كِتَابِهِ ، وَتُرْشِدَ بِهِ خَلْقَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى

(١) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ
العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً . . يرفعه الله بها
درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً . .
يهوي بها في جهنم » [خ ٥٩٩٧] .

وقال : « سبَاب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » [خ ٤٦] .
وقال : « إن العبد ليقول الكلمة ، لا يقولها إلا ليضحك بها
الناس . . يهوي بها أبعد ما بين السماء والأرض ، وإنه ليزل عن لسانه
أشد مما يزل على قدمه » [زهدبا ٧٣٤] .

وقال : « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع » [م ٥] .
وقال : « من صمت . . نجا » [ت ٢٥٠١] .
وقال عقبة بن عامر رضي الله عنه : لقيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فقلت : ما النجاة؟ قال : « يا عقبة ؛ أمسك عليك لسانك ،
وليسعك بيتك ، وإبك على خطيئتك » [ت ٢٤٠٦] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا ميمونة ؛ تعوذى بالله من
عذاب القبر ، [وإن من أشد عذاب القبر يا ميمونة] : الغيبة والبول »
[هـب ٦٧٣١] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن عذاب القبر من ثلاثة : الغيبة
والنميمة والبول ، فإياكم وذلك » .

طَرِيقِهِ ، وَتُظْهِرَ بِهِ مَا فِي ضَمِيرِكَ مِنْ حَاجَاتِ دِينِكَ
وَدُنْيَاكَ .

فَإِذَا أَسْتَعْمَلْتَهُ لِغَيْرِ مَا خُلِقَ لَكَ .. فَقَدْ كَفَرْتَ
بِنِعْمَةِ اللَّهِ ، وَهُوَ أَغْلَبُ أَعْضَائِكَ عَلَيْكَ وَعَلَى سَائِرِ
الْخَلْقِ .

وَلَا يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ
الْسِّتَةِ^(١) .

فَاسْتَظْهَرُ عَلَيْهِ بِغَايَةِ قُوَّتِكَ حَتَّى لَا يَكْبُكَ فِي قَعْرِ
جَهَنَّمَ ، فَفِي الْحَدِيثِ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ ،
فَيَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفاً » [ق ٣٩٧٠] .

وَقُتِلَ شَهِيدٌ فِي الْمَعْرَكَةِ ، فَقَالَ قَائِلٌ : هَنِئْنَا لَهُ

(١) قال [الشافعي رضي الله عنه] :

احذر لسانك أيها الإنسان لا يلدغك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الأقران

الْجَنَّةُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَا يُذْرِيكَ ؛
لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ ، وَيَبْخُلُ بِمَا لَا يُغْنِيهِ ؟ » [مب

. [١٠٨٣٦

فَأَحْفَظُ لِسَانَكَ مِنْ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ :

الْأَوَّلُ : الْكَذِبُ^(١) .

فَأَحْفَظُ لِسَانَكَ مِنْهُ فِي الْجِدِّ وَالْهَزْلِ ، وَلَا تُعَوِّذُ نَفْسَكَ
الْكَذِبَ هَزْلاً^(٢) ؛ فَيَتَدَاعَى إِلَى الْجِدِّ ، فَالْكَذِبُ مِنْ

(١) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « عليكم
بالصدق ؛ فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ،
وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً .
وإياكم والكذب ؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي
إلى النار ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله
كذاباً » [م ٢٦٠٧] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا كذب العبد تباعد الملك ميلاً
من نتن ما جاء به » [ت ١٨٩٥] .

(٢) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « ويل لمن =

أُمّهَاتِ الْكِبَائِرِ ، ثُمَّ إِنَّكَ إِذَا عُرِفْتَ بِذَلِكَ .. سَقَطَتِ الثُّقَّةُ
بِقَوْلِكَ ، وَتَزْدَرِيكَ الْأَعْيُنُ وَتَحْتَقِرُكَ .

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ قُبْحَ الْكَذِبِ مِنْ نَفْسِكَ .. فَانْظُرْ
إِلَى كَذِبِ غَيْرِكَ وَإِلَى نَفَرَةِ نَفْسِكَ عَنْهُ ، وَأَسْتَحْقَارِكَ
لِصَاحِبِهِ ، وَأَسْتِقْبَاحِكَ لَهُ ، وَكَذَلِكَ فَافْعَلْ فِي جَمِيعِ
عُيُوبِ نَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي قُبْحَ عُيُوبِكَ مِنْ نَفْسِكَ بَلْ
مِنْ غَيْرِكَ ، فَمَا أَسْتَقْبَحْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ فَيَسْتَقْبَحُهُ غَيْرُكَ مِنْكَ
لَا مَحَالَةَ ، فَلَا تَرْضَ لِنَفْسِكَ بِذَلِكَ .

الثَّانِي : الْخُلْفُ فِي الْوَعْدِ .

فَإِيَّاكَ أَنْ تَعْدَ بِشَيْءٍ إِلَّا وَتَفِي بِهِ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
إِحْسَانُكَ لِلنَّاسِ فِعْلًا بِلَا قَوْلٍ .

فَإِذَا اضْطَرَّرْتَ إِلَى الْوَعْدِ .. فَإِيَّاكَ أَنْ تُخْلِفَ إِلَّا لِعَجْزٍ

= يحدث فيكذب ؛ ليضحك القوم ، ويل له ، ويل له « [د ٤٩٥١]) .

أَوْ ضَرُورَةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَمَارَاتِ النِّفَاقِ وَخَبَائِثِ
الْأَخْلَاقِ^(١) .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ
فِيهِ .. فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى^(٢) : مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ،
وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ »^(٣) [حم ٥٣٦/٢] .

(١) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « إذا وعد
الرجل أخاه ومن نيته أن يفي له فلم يَف ، ولم يجيء .. فلا إثم عليه » [د
٤٩٥٦]) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (في الحديث : « أربعة جواهر في جسم
ابن آدم يزيلها أربعة أشياء . أما الجواهر : فالعقل والدين والحياء
والعمل الصالح .

فالفقر يزيل العقل ، والحسد يزيل الدين ، والطمع يزيل الحياء ،
والغيبة تزيل العمل الصالح » والله أعلم) .

(٣) جاء في هامش (أ) : (الخلق في الأمانة خمسة أصناف :
أحدهم : العلماء ؛ وأمانتهم : النصيحة للخلق مع قطع الطمع
منهم .

الثاني : الأمراء ؛ وأمانتهم : العدل بين الناس .

الثالث : التجار ؛ وأمانتهم : إنصاف الناس من أنفسهم ، =

الثالث : الْغِيْبَةُ .

أَحْفَظُ لِسَانَكَ مِنَ الْغِيْبَةِ^(١) ، فَالْغِيْبَةُ أَشَدُّ مِنْ ثَلَاثَيْنِ
زَنِيَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ ، كَذَلِكَ الْخَبَرُ .

وَمَعْنَى الْغِيْبَةِ : أَنْ تَذْكُرَ إِنْسَانًا بِمَا يَكْرَهُهُ لَوْ سَمِعَهُ ،
فَأَنْتَ مُغْتَابٌ ظَالِمٌ وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا^(٢) .

= واجتناب النجش في مكائيلهم وموازينهم .

الرابع : الفقراء ؛ وأمانتهم : كتمان الشدة ، وترك الشكاية
للأغنياء .

الخامس : الأغنياء ؛ وأمانتهم : أداء الحقوق التي في أموالهم ،
والشكر لله عز وجل في جميع الأحوال .

من « رياض الأنس » لأبي سعيد الحسن الواعظ نفع الله به [خ
روضة الأنس للمتوكلين] .

(١) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « من اغتاب
جاره المسلم .. حول الله قلبه إلى دبره يوم القيامة » ، « بركة »
[١٤٠]) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (ويقال : البريء جريء ، والخائن
خائف . ويقال : من خان .. فلا كان .

وَإِيَّاكَ وَغِيْبَةَ الْقُرَّاءِ الْمُرَائِينَ ، وَهُوَ : بِأَنْ تُفْهِمَ
 الْمَقْصُودَ مِنْكَ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ فَتَقُولَ : أَصْلَحَهُ اللَّهُ وَقَدْ
 سَاءَ نِي مَا جَرَى عَلَيْهِ وَغَمَّنِي ، فَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَنَا
 وَإِيَّاهُ .

فَإِنَّ هَذَا جَمْعٌ بَيْنَ خَبِيثَيْنِ :
 أَحَدُهُمَا : الْغِيْبَةُ ، إِذْ حَصَلَ بِهِ الْتَفَهُمٌ .
 وَالْآخَرُ : تَزْكِيَةُ النَّفْسِ وَالْثَنَاءُ عَلَيْهَا بِالتَّحَرُّجِ وَالصَّلَاحِ .
 وَلَكِنْ إِنْ كَانَ مَقْصُودُكَ مِنْ قَوْلِكَ :
 (أَصْلَحَهُ اللَّهُ) .. الدُّعَاءُ ؛ فَادْعُ لَهُ فِي السِّرِّ .
 وَإِنْ اُعْتَمَمْتَ بِسَبَبِهِ .. فَعَلَامَتُهُ أَنَّكَ لَا تُرِيدُ فَضِيحَتَهُ
 وَإِظْهَارَ عَيْبِهِ^(١) .

= وفي بعض الأخبار : « إياكم والخيانة ؛ فإنها بثت البطانة » ، منه
 [(خ) روضة الأنس للمتوكلين] .
 (١) جاء في هامش (أ) : (وأما الرحمة على إثمه .. فذلك حسن ، =

وَفِي إِظْهَارِكَ الْغَمِّ بَعِيْبِهِ .. إِظْهَارٌ لِعَيْنِهِ ، وَيَكْفِيكَ
زَاجِرًا عَنِ الْغِيَةِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا
أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ .

فَقَدْ شَبَّهَكَ اللَّهُ بِأَكْلِ الْمَيْتَةِ !! فَمَا أَجْدَرَكَ أَنْ تَحْتَزَرَ
مِنْهَا .

وَيَمْنَعُكَ مِنْ غِيَةِ الْمُسْلِمِينَ أَمْرٌ لَوْ تَفَكَّرْتَ فِيهِ ؛ وَهُوَ
أَنْ تَنْظُرَ إِلَى نَفْسِكَ : هَلْ فِيكَ عَيْبٌ ظَاهِرٌ أَوْ بَاطِنٌ ، وَهَلْ

= ولكن حسدك إبليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من
رحمتك له فيخرج عن كونه مرحوماً ، وتنقلب أنت مستحقاً لأن تكون
مرحوماً ؛ إذ أحبط أجرك ونقص من حسناتك .

وكذلك الغضب لله لا يوجب الغيبة فإنما الشيطان حُبب إليك
الغيبة ؛ ليحبط أجر غضبك وتصير معرضاً لغضب الله تعالى بالغيبة .
وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة : فينبغي أن تتعجب من
نفسك أنت ، كيف أهلك دينك بدين غيرك أو بدنياه ، وأنت مع ذلك
لا تأمن عقوبة الدنيا ؛ وهو أن يهتك الله سترك كما هتكت ستر أخيك
بالتعجب . « إحياء » (١٥٠ / ٣) .

أَنْتَ مُقَارِفٌ مَعْصِيَةٌ سِرًّا أَوْ جَهْرًا؟

فَإِنْ عَرَفْتَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ .. فَأَعْلَمْ أَنَّ عَجْزَهُ عَنِ
الْتَّزُّهِ عَمَّا نَسَبَتْهُ إِلَيْهِ كَعَجْزِكَ ، وَعُذْرُهُ كَعُذْرِكَ .

وَكَمَا تَكْرَهُ أَنْ تُفْضَحَ وَتُذَكَّرَ عُيُوبُكَ .. فَهُوَ أَيْضًا
يَكْرَهُهُ .

فَإِنْ سَتَرْتَهُ .. سَتَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكَ .

وَإِنْ فَضَحْتَهُ .. سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكَ أَلْسِنَةَ حَدَادَا ، يُمَزُّقُونَ
عَرْضَكَ فِي الدُّنْيَا ، ثُمَّ يَفْضَحُكَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ عَلَى
رُؤُوسِ الْمَلَأِ^(١) .

(١) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « من أغتیب
عنده أخوه المسلم ، وهو يقدر على نصره فنصره .. نصره الله في الدنيا
والآخرة ، فإن لم ينصره وهو يقدر على نصره .. أدركه الله بها في الدنيا
والآخرة » [خذ ٧٣٤ بنحوه] .

وقال : « ما من امرئٍ يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه
حرمته ، ويتنقص فيه من عرضه .. إلا خذله الله تعالى في موطن يحب =

وَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ فَلَمْ تَطَّلِعْ فِيهِمَا عَلَى
عَيْبٍ وَنَقْصٍ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا .. فَأَعْلَمَ أَنَّ جَهْلَكَ بِعُيُوبِ
نَفْسِكَ أَقْبَحُ أَنْوَاعِ الْحِمَاقَةِ ، وَلَا عَيْبَ أَعْظَمُ مِنَ الْحُمْقِ .

وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِكَ خَيْرًا .. لَبَصَّرَكَ بِعُيُوبِ
نَفْسِكَ ، فَرُؤْيَاكَ نَفْسَكَ بِعَيْنِ الرِّضَا غَايَةُ غَبَاوَتِكَ وَمُنْتَهَى
جَهْلِكَ .

ثُمَّ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي ظَنِّكَ .. فَاشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى

= فيه نصرته ، وما من امرئ مسلم ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من
عرضه ، وينتهك فيه من حرمة .. إلا نصره الله تعالى في موطن يحب
فيه نصرته « [٤٨٥٠ د] .

وقال : « من رأى عورة فسترها .. كان كمن أحيا موءودة » [د
٤٨٥٥] .

وقال : « من حمى مؤمناً من منافق يعيبه .. بعث الله ملكاً يحمي
لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مسلماً بشيء يريد شينه ..
حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال » [د ٤٨٤٩ - حم ٣/٤٤١] .
« مصابيح » [٣/٣٧٢-٣٧٤] .

عَلَيْهِ ، وَلَا تُفْسِدُهُ بِثَلْبِ النَّاسِ وَالتَّمْضُضِ بِأَعْرَاضِهِمْ ؛
فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْعُيُوبِ .

الرَّابِعُ : الْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ وَمُنَاقَشَةُ النَّاسِ فِي الْكَلَامِ .

فَذَلِكَ فِيهِ إِيْذَاءٌ لِلْمُخَاطَبِ ، وَتَجْهِيلٌ لَهُ ، وَطَعْنٌ
فِيهِ ، وَفِيهِ ثَنَاءٌ عَلَى النَّفْسِ وَتَرْكِیَّةٌ لَهَا بِمَزِيدِ الْفِطْنَةِ
وَالْعِلْمِ .

ثُمَّ هُوَ مُشَوِّشٌ لِلْعَيْشِ ؛ لِأَنَّكَ إِنْ مَارَيْتَ سَفِيهَاً ..
أَذَاكَ ، وَإِنْ مَارَيْتَ حَلِيمًا .. قَلَاكَ وَحَقَّدَ عَلَيْكَ ؛ وَقَدْ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ
مُبْطِلٌ .. بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ
وَهُوَ مُحِقٌّ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ » [ق ٥١ بنحوه] .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْدَعَكَ الشَّيْطَانُ وَيَقُولَ لَكَ : أَظْهَرَ
الْحَقِّ وَلَا تُدَاهِنُ فِيهِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ أَبَدًا يَسْتَجِرُّ الْحَمَقَى
إِلَى الشَّرِّ فِي مَعْرِضِ الْخَيْرِ ، فَلَا تَكُنْ ضُحْكَةً لِلشَّيْطَانِ

يَسْخَرُ بِكَ ، فَإِظْهَارُ الْحَقِّ .. حَسَنٌ مَعَ مَنْ يَقْبَلُ مِنْكَ ،
وَذَلِكَ بِطَرِيقِ النَّصِيحَةِ فِي الْحَقِيقَةِ لَا بِطَرِيقِ الْمُمَارَاةِ ^(١) .
وَلِلنَّصِيحَةِ صِغَةً وَهَيْئَةً ، وَيُحْتَاجُ فِيهَا إِلَى التَّلَطُّفِ ،
وِإِلَّا .. صَارَتْ فَضِيحَةً ، وَكَانَ فَسَادُهَا أَكْثَرَ مِنْ
صَلَاحِهَا .

وَمَنْ خَالَطَ مُتَفَقِّهَةَ الْعَصْرِ .. غَلَبَ عَلَى طَبْعِهِ الْمِرَاءُ ،
وَعَسَرَ عَلَيْهِ الصَّمْتُ ، إِذْ أَلْقَى إِلَيْهِمُ الْعُلَمَاءُ السُّوءَ أَنَّ ذَلِكَ
هُوَ الْفَضْلُ ، وَأَنَّ الْقُدْرَةَ عَلَى الْمُجَادَلَةِ وَالْمُنَاقَشَةِ هُوَ
الَّذِي يُمْتَدِّحُ بِهِ ، فَفِرَّ مِنْهُمْ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ ، وَأَعْلَمَ أَنَّ
الْمِرَاءَ سَبَبُ الْمَقْتِ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الْخَلْقِ .

الْخَامِسُ : تَرْكِهَ النَّفْسِ .

فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ .

(١) النصيحة تكون واجبة إذا غلب على الظن قبولها ، وتكون جائزة
عند توهمه .

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَا الصَّدْقُ الْقَبِيحُ؟ فَقَالَ :
ثَنَاءُ الْمَرْءِ عَلَى نَفْسِهِ^(١) .

فَيَاكَ أَنْ تَتَعَوَّدَ ذَلِكَ .

وَأَعْلَمَ : أَنَّ ذَلِكَ يَنْقُصُ مِنْ قَدْرِكَ عِنْدَ النَّاسِ ،
وَيُوجِبُ مَقْتَكَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ ثَنَاءَكَ عَلَى نَفْسِكَ لَا يَزِيدُ فِي

(١) جاء في هامش (أ) : (اعلم أن ذكر محاسنه ضربان : مذموم ،
ومحبوب .

فالمذموم : أن يذكره للافتخار ، وإظهار الارتفاع ، والتميز على
الأقران ، وشبه ذلك .

والمحبوب : أن يكون فيه مصلحة دينية ؛ وذلك بأن يكون أمراً
بمعروف ، أو ناهياً عن منكر ، أو ناصحاً ، أو مشيراً بمصلحة ، أو
معلماً ، أو مؤدباً ، أو واعظاً ، أو مذكراً ، أو مصلحاً بين اثنين ، أو
يدفع عن نفسه شراً ، أو نحو ذلك ؛ فيذكر محاسنه ناوياً بذلك أن يكون
هذا أقرب إلى قبول قوله ، واعتماد ما يذكره ، أو أن هذا الكلام الذي
أقوله لا تجدونه عند غيري ؛ فاحتفظوا به ، أو نحو ذلك . « أذكار »
[٣٥٠] .

قَدْرِكَ عِنْدَ غَيْرِكَ .. فَانْظُرْ إِلَى أَقْرَانِكَ إِذَا أَثْنَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ
بِالْفَضْلِ وَالْجَاهِ وَالْمَالِ ، كَيْفَ يَسْتَنْكِرُهُ قَلْبُكَ ، وَيَسْتَقْبِلُهُ
طَبْعُكَ ، وَكَيْفَ تَذْمُهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَارَقْتَهُمْ .. فَأَعْلَمْ أَنَّهُمْ
أَيْضاً فِي حَالِ تَزْكِيَّتِكَ نَفْسِكَ يَذْمُونَكَ بِقُلُوبِهِمْ ،
وَيُظْهِرُونَهُ^(١) بِاللِّسَانِ إِذَا فَارَقْتَهُمْ .

السادس : اللَّعْنُ .

فَإِيَّاكَ أَنْ تَلْعَنَ شَيْئاً مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حَيَوَانٍ أَوْ
طَعَامٍ أَوْ إِنْسَانٍ بَعِيْنِهِ^(٢) ، أَوْ تَقْطَعَ شَهَادَتَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ

(١) في (أ) : (ويستظهرونه) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « لعن
المؤمن كقتله » [خ ٦١٠٥] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا ينبغي للصديق أن يكون لعاناً »
[م ٢٥٩٧] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من لعن شيئاً ليس له بأهل ..
رجعت اللعنة عليه » [ت ١٩٧٨] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « لعن المؤمن كقتله » أي : في =

أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِشْرِكٍ أَوْ كُفْرٍ أَوْ نِفَاقٍ ، فَإِنَّ الْمُطَّلِعَ عَلَى
السَّرَائِرِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَلَا تَدْخُلْ بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ .

وَأَعْلَمْ : أَنَّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُقَالُ لَكَ : لِمَ لَمْ تَلْعَنَ
فُلَانًا ، أَوْ لِمَ سَكَتَ عَنْهُ ؟!

بَلْ لَوْ لَمْ تَلْعَنَ إِبْلِيسَ طُولَ عُمْرِكَ ، وَلَمْ تَشْغَلْ لِسَانَكَ
بِذِكْرِهِ .. لَمْ تُسْأَلْ عَنْهُ .

وَإِذَا لَعَنْتَ أَحَدًا .. طَوَّلْتَ بِهِ ، وَسُئِلْتَ عَنْهُ!!

وَلَا تَذُمَّنَّ شَيْئًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَذُمُّ الطَّعَامَ الرَّدِيءَ قَطُّ ، وَكَانَ إِذَا
أَشْتَهَى شَيْئًا .. أَكَلَهُ ، وَإِلَّا .. تَرَكَهُ . [م ٢٠٦٤] .

السَّابِعُ : الدُّعَاءُ عَلَى الْخَلْقِ .

= الإثم ؛ لهذا هو الأظهر كما ذكره في « شرح مسلم » [١٦/١٤٩] .

أَحْفَظُ لِسَانَكَ عَنِ الدُّعَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ
تَعَالَى ؛ وَإِنْ ظَلَمَكَ ^(١) ، وَكِلَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَفِي
الْحَدِيثِ : « إِنَّ الْمَظْلُومَ لَيَدْعُو عَلَى ظَالِمِهِ حَتَّى يُكَافِئَهُ ،
ثُمَّ يَبْقَى لِلظَّالِمِ فَضْلٌ عِنْدَهُ يُطَالِبُهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَطَوَّلَ بَعْضُ النَّاسِ لِسَانَهُ فِي الْحَجَّاجِ .. فَقَالَ لَهُ
بَعْضُ السَّلَفِ : (إِنَّ اللَّهَ لَيَنْتَقِمُ لِلْحَجَّاجِ مِمَّنْ تَعَرَّضَ لَهُ
بِلِسَانِهِ ، كَمَا يَنْتَقِمُ مِنَ الْحَجَّاجِ لِمَنْ ظَلَمَهُ) .

(١) جاء في هامش (أ) : (ويجوز الدعاء على من ظلمه ، أو ظلم
غيره .

قال النووي : وعلى من خالف الحكم الشرعي .
قلت : وترك الدعاء على من ظلمه أولى ؛ قال صلى الله عليه
وسلم : « من دعا على من ظلمه .. فقد انتصر » [فتح ٢/٢٤١] .
قلت : وشبيهة باللعن .. قولك : « قاتله الله » ، ونحوه .
ومن هذا الفن : الدعاء على النفس والأهل والمال ؛ إذا خرج
الدعاء من جدٍّ ، فأما إذا سبق على اللسان من غير قلب .. فالرجوى أنه
من اللغو الذي لا يؤاخذ الله به . « بركة » معني .

الثَّامِنُ : الْمِزَاحُ ^(١) ، وَالسُّخْرِيَّةُ ، وَالْأَسْتِهْزَاءُ بِالنَّاسِ ^(٢) .

(١) جاء في هامش (أ) : (المزح وأصله منهى عنه إلا قدراً يسيراً فيستثنى منه . « إحياء » [١٢٧/٣]) .

وجاء في هامش (أ) أيضاً : (الذي فيه إفراط ويداوم عليه حتى يورث الضحك والقسوة ، وقد يُؤدِّك إلى الإيذاء والحقد ويسقط المهابة والوقار .

ولا بأس باليسير منه في بعض الأوقات سيما في السفر ، ومع النساء والصبيان ؛ تطيباً لقلوبهم ؛ فذلك سنة فعله النبي صلى الله عليه وسلم . « بركة » ملخصاً [ص ١٣٣-١٣٤]) .

(٢) جاء في هامش (أ) : (وهذا محرم ما كان مؤذياً ؛ قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ ﴾ الآية .

ومعنى السخرية : الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه الضحك منه ، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول ، وقد يكون بالإشارة والإيماء .

وإذا كان بحضرة المستهزأ به . . لم يسمَّ ذلك غيبة ، وفيه معنى الغيبة .

وقال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ مَا لَ هَذَا الْكُتِّبِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ ؛ الصغيرة : التبسم بالاستهزاء بالمؤمن ، =

فَاحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يُرِيقُ مَاءَ الْوَجْهِ ، وَيُسْقِطُ
الْمَهَابَةَ ، وَيَسْتَجِرُّ الْوَحْشَةَ ، وَيُؤْذِي الْقُلُوبَ .

وَهُوَ مَبْدَأُ اللَّجَاجِ وَالْتَّصَارُمِ ، وَمَغْرِسُ الْحِقْدِ فِي
الْقُلُوبِ ، فَلَا تُمَازِحْ أَحَدًا .

وَإِنْ مَازَحَكَ غَيْرُكَ .. فَلَا تُجِبْهُ ، وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى
يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ .

وَكُنْ مِنَ الَّذِينَ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ .. مَرُّوا كِرَامًا^(١) .

= والكبيرة : القهقهة بذلك .

وهذا فيه الإشارة إلى أن الضحك على الناس من الجرائم
والذنوب . « إحياء » [١٣١ / ٣] .

(١) جاء في هامش (أ) : (وقال عمر رضي الله عنه : « من كثر
مزحه .. قلت هيئته ، ومن مزح .. استخف به ، ومن أكثر من شيء ..
عُرف به ، ومن كثر كلامه .. كثر سقطه ، ومن كثر سقطه .. قلَّ
حياؤه ، ومن قلَّ حياؤه .. قلَّ ورعه ، ومن قلَّ ورعه .. مات قلبه » ؛
لأن الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم .. لبكيتم =

فَهَذِهِ مَجَامِعُ آفَاتِ اللِّسَانِ ، وَلَا يُعِينُكَ عَلَيْهَا إِلَّا
 الْعُزْلَةُ ، أَوْ مُلَازِمَةُ الصَّمْتِ إِلَّا بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ ؛ فَقَدْ كَانَ
 أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَضَعُ حَجَرًا فِي فِيهِ
 يَمْنَعُهُ مِنَ الْكَلَامِ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ ، وَيُشِيرُ إِلَى لِسَانِهِ وَيَقُولُ :
 (هَذَا الَّذِي أُرَدِّنِي الْمَوَارِدَ) [ط ١٨٥٥] .

فَاحْتَرِزْ مِنْهُ غَايَةَ جَهْدِكَ ، فَإِنَّهُ أَقْوَى أَسْبَابِ هَلَاكِكَ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .



وَأَمَّا الْبَطْنُ : فَاحْفَظْهُ عَنْ تَنَاوُلِ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ ،
 وَأَحْرِصْ عَلَى طَلَبِ الْحَلَالِ .

فَإِذَا وَجَدْتَهُ .. فَاحْرِصْ عَلَى أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى مَا دُونَ
 الشَّبَعِ ، فَإِنَّ الشَّبَعَ يُقْسِي الْقَلْبَ وَيُفْسِدُ الذَّهْنَ ، وَيُبْطِلُ

= كَثِيرًا ، وَلِضَحَكْتُمْ قَلِيلًا » [خ ٦٦٣١] . « إحياء » [١٢٨ / ٣] .

الْحِفْظَ ، وَيُثَقِّلُ الْأَعْضَاءَ عَنِ الْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ ، وَيُقَوِّي
الشَّهَوَاتِ ، وَيَنْصُرُ جُنُودَ الشَّيْطَانِ ، وَالشَّبْعُ مِنَ الْحَلَالِ
مَبْدَأُ كُلِّ شَرٍّ ، فَكَيْفَ مِنَ الْحَرَامِ؟!

وَطَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، وَالْعِبَادَةُ
وَالْعِلْمُ مَعَ أَكْلِ الْحَرَامِ كَالْبِنَاءِ عَلَى السَّرَجِينِ - وَهُوَ
الزَّبْلُ^(١) .

فَإِذَا قَنِعْتَ فِي السَّنَةِ بِقَمِيصٍ خَشِنٍ ، وَفِي الْيَوْمِ بِرَغِيفَيْنِ
مِنَ الْخُشْكَارِ^(٢) ، وَتَرَكْتَ التَّلَذُّذَ بِأَطْيَابِ الْأَدَمِ^(٣) .. لَمْ

(١) الزَّبْلُ : الروث . والمراد : البناء على النجس الذي لا تصح
العبادة معه .

(٢) الْخُشْكَار - كلمة فارسية معربة - وهي : دقيق لم تفصل عنه
النخالة .

(٣) جاء في هامش (أ) : [عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :
كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً ؛ إنما هو التمر والماء ، إلا أن
يؤتى باللحم . وقالت : ما شبع آل محمد من خبز بر إلا وأحدهما
تمر . وقالت : ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى =

يُعْوزُّكَ مِنَ الْحَلَالِ مَا يَكْفِيكَ ، فَالْحَلَالُ كَثِيرٌ^(١) .

= قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما شبعنا من الأسودين .
وقال أبو هريرة رضي الله عنه : خرج النبي صلى الله عليه وسلم
من الدنيا وما شبع من خبز الشعير .

وقال النعمان بن بشير : ألتئم في طعام وشرابٍ ما شتئم؟! لقد
رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه .
وعن أم هانئ رضي الله عنها قالت : دخل النبي صلى الله عليه
وسلم فقال : « أعندي شيء؟ » قالت : لا ، إلا خبز يابس وخل ،
فقال : « هاتي ، ما أفقر بيتٌ من آدم فيه خلٌّ » [ت ١٨٤٢] .

وعن يوسف بن عبد الله بن سلام قال : رأيت النبي صلى الله عليه
وسلم أخذ كسرةً من خبز الشعير فوضع عليها تمرَةً وقال : « هذه إدام
هذه » ، وأكلَ . [د ٨٠] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « وددت أن عندي خبزة بيضاء ، من بُرّة سمراء ، مُلَبَّقةً بسمينٍ
ولبنٍ » ، فقام رجل من القوم فاتخذها ، فجاء به ، فقال : « في أي شيء
كان هذا السمن؟ » ، قال : في عكّة ضبّ ، قال : « ارفعه » [د
٢٨١٤] . « مصابيح » ملخصاً [٣/١٥٥-١٦٧] .

(١) جاء في هامش (أ) : (وإن الأرض لا تخلو من الحلال ؛
لأن الله تعالى لم يطالب الخلق إلا بما يمكن حصوله ، إلا أنه يكثر في
مواضع ، ويقل في مواضع ، فمن كان ظاهره جميلاً .. فلا يُتهم في ماله =

وَلَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَيَقَّنَ بَاطِنَ الْأُمُورِ ، بَلْ عَلَيْكَ أَنْ
تَحْتَزِرَ مِمَّا تَعْلَمُ أَنَّهُ حَرَامٌ ، أَوْ تَظُنُّ أَنَّهُ حَرَامٌ ظَنًّا^(١) ، مَعَ
مَا حَصَلَ مِنْ عِلَالَةٍ نَاجِزَةٍ لِعِلَّةٍ مَقْرُونَةٍ بِالْمَالِ .

فَأَمَّا الْمَعْلُومُ : فَظَاهِرٌ .

وَأَمَّا الْمَظْنُونُ بِعِلَالَةٍ : فَهُوَ مَالُ السُّلْطَانِ وَعُمَالِهِ ،
وَمَالُ مَنْ لَا كَسْبَ لَهُ إِلَّا مِنَ النَّيَاحَةِ أَوْ بَيْعِ الْخَمْرِ أَوْ الرِّبَا
أَوْ الْمَزَامِيرِ ، حَتَّى عَلِمْتَ أَنَّ أَكْثَرَ مَالِهِ حَرَامٌ قَطْعاً فَمَا

= ومكسبه . ذكره الشهرُوردي نفع الله به) .

(١) جاء في هامش (أ) : (قال السيد السَّمهودي في « فتاويه » :
المنقول في المذهب : كراهة الأكل من يد المتلَطَّخ بالحرام ، ومجرّد
الكراهة لا يقتضي المؤاخذه في الآخرة مع عدم العلم ودلالة اليد على
الملك ، وقد استدلل في « شرح المذهب » وغيره بدلالة اليد على الملك
كما نقله الأصحاب من أنَّ من أكثر ماله الحرام إذا لم تتحقّق أنَّ ما باعه
من الحرام .. لا تحرم مبايعته ؛ لإمكان الحلال وعدم دليل ، ولكن
يكراه خوفاً من الوقوع في الحرام . « فتاوى ابن زياد » . نفع الله به [بغية
١٢٦-١٢٧] .

تَأْخُذُهُ مِنْ يَدِهِ ، وَإِنْ أَمَكْنَ أَنْ يَكُونَ حَلَالاً نَادِراً .. فَهُوَ
حَرَامٌ ؛ لِأَنَّهُ الْغَالِبُ عَلَى الظَّنِّ .

وَمِنْ الْحَرَامِ الْمَحْضِ : مَا يُؤْكَلُ مِنَ الْأَوْقَافِ مِنْ غَيْرِ
شَرْطِ الْوَاقِفِ ، فَمَنْ لَمْ يَشْتَغِلْ بِالتَّفَقُّهِ .. فَمَا يَأْخُذُهُ مِنَ
الْمَدَارِسِ حَرَامٌ ، وَمَنْ أَرْتَكَبَ مَعْصِيَةً تُرَدُّ بِهَا الشَّهَادَةُ ..
فَمَا يَأْخُذُهُ بِأَسْمِ الصُّوفِيَّةِ مِنْ وَقْفٍ أَوْ غَيْرِهِ حَرَامٌ .

وَقَدْ ذَكَرْنَا مَدَاحِلَ الشُّبُهَاتِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فِي
كِتَابِ مُفْرَدٍ مِنْ كُتُبِ « إَحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ » ، فَعَلَيْكَ
بِطَلَبِهِ ؛ فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْحَلَالِ وَطَلَبَهُ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ .



وَأَمَّا الْفَرْجُ : فَاحْفَظْهُ عَنْ كُلِّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكُنْ
كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ

حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مَلُومِينَ *

وَلَا تَصِلُ إِلَىٰ حِفْظِ الْفَرْجِ إِلَّا بِحِفْظِ الْعَيْنِ عَنِ النَّظَرِ ،
وَحِفْظِ الْقَلْبِ عَنِ الْفِكْرِ ، وَحِفْظِ الْبَطْنِ عَنِ الشُّبْهَةِ وَعَنِ
الشَّبَعِ ، فَإِنَّ هَذِهِ مُحَرَّكَاتُ الشَّهْوَةِ وَمَغَارِسُهَا .

* * *

وَأَمَّا أَلْيَدَانِ : فَاحْفَظْهُمَا عَنْ أَنْ تَضْرِبَ بِهِمَا مُسْلِمًا ،
أَوْ تَتَنَاوَلَ بِهِمَا مَالًا حَرَامًا ، أَوْ تُؤْذِيَ بِهِمَا أَحَدًا مِنْ
خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ تَخُونَ بِهِمَا مُسْلِمًا فِي أَمَانَةٍ أَوْ
وَدِيعَةٍ ، أَوْ تَكْتُبَ بِهِمَا مَا لَا يَجُوزُ النُّطْقُ بِهِ ؛ فَإِنَّ الْقَلَمَ
أَحَدُ اللَّسَانَيْنِ ، فَاحْفَظِ الْقَلَمَ عَمَّا يَجِبُ حِفْظُ اللَّسَانِ
عَنْهُ .

* * *

وَأَمَّا الرَّجُلَانِ : فَأَحْفَظْهُمَا عَنْ أَنْ تَمْشِيَ بِهِمَا إِلَى حَرَامٍ ، أَوْ تَسْعَى بِهِمَا إِلَى بَابِ سُلْطَانٍ ظَالِمٍ ، فَالْمَشْيُ إِلَى السَّلَاطِينِ الظَّلَمَةِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ وَإِرْهَاقٍ^(١) .. مَعْصِيَةٌ ، فَإِنَّهُ تَوَاضَعُ وَإِكْرَامٌ لَهُمْ ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ^(٢) .

وَهُوَ تَكْثِيرٌ لِسَوَادِهِمْ ، وَإِعَانَةٌ لَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لَطَلَبِ أَمْوَالِهِمْ .. فَهُوَ سَعْيٌ إِلَى حَرَامٍ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَوَاضَعَ لِعِنِّي صَالِحٌ لِعِنَاهُ .. ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ » [هـ ١٠٠٤٣] .

وَهَذَا فِي غِنَى صَالِحٍ ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْغِنَى الظَّالِمِ؟!

(١) إرهاق : أي ضرورة لزمته وحملته على غشيان السلاطين الظلمة أو نوابهم .

(٢) في مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزْكُوتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُُمُ النَّارُ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا ﴾ .

وَعَلَى الْجُمْلَةِ : فَحَرَكَاتُكَ وَسَكَنَاتُكَ بِأَعْضَائِكَ نِعْمَةٌ
 مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ، فَلَا تُحَرِّكْ شَيْئاً مِنْهَا فِي
 مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَصْلاً ، وَاسْتَعْمِلْهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ
 تَعَالَى .

وَأَعْلَمْ : أَنَّكَ إِنْ قَصَرْتَ .. فَإِلَيْكَ يَرْجِعُ وَبَالُهُ ، وَإِنْ
 شَمَرْتَ .. فَإِلَيْكَ تَعُودُ ثَمَرَتُهُ ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْكَ وَعَنْ
 عَمَلِكَ ، وَإِنَّمَا كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ .

وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَرِيمٌ رَحِيمٌ يَغْفِرُ ذُنُوبَ
 الْعُصَاةِ ، فَإِنَّ هَذِهِ كَلِمَةٌ حَقٌّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ ، وَصَاحِبُهَا
 مُلَقَّبٌ بِالْحِمَاقَةِ بِتَلْقِيبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 حَيْثُ قَالَ : « الْكَيْسُ : مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ
 الْمَوْتِ . وَالْأَحْمَقُ : مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى
 عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ » [ت ٢٤٥٩] .

وَأَعْلَمْ : أَنَّ قَوْلَكَ هَذَا يُضَاهِي قَوْلَ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَصِيرَ

فَقِيهَا فِي عُلُومِ الدِّينِ وَأَشْتَغَلَ بِالْبَطَالَةِ وَقَالَ : (إِنَّ اللَّهَ
كَرِيمٌ رَحِيمٌ ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُفِيضَ عَلَى قَلْبِي مِنَ الْعُلُومِ مَا
أَفَاضَهُ عَلَى قُلُوبِ أَنْبِيَائِهِ مِنْ غَيْرِ جُهِدٍ وَتَكَرُّارٍ وَتَعْلِيقٍ) ،
فَهُوَ كَقَوْلِ مَنْ يُرِيدُ مَالاً ، وَتَرَكَ الْحِرَاثَةَ وَالْتِجَارَةَ
وَالْكَسْبَ وَتَعَطَّلَ وَقَالَ : (إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ ، وَلَهُ خَزَائِنُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُطْلِعَنِي عَلَى كَنْزٍ
مِنَ الْكُنُوزِ فَأَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنِ الْكَسْبِ ؛ فَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ بِبَعْضِ
عِبَادِهِ) .

فَأَنْتَ إِذَا سَمِعْتَ كَلَامَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اسْتَحْمَقْتُهُمَا ،
وَسَخِرْتَ مِنْهُمَا ، وَإِنْ كَانَ مَا وَصَفَاهُ مِنْ كَرَمِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ
حَقًّا وَصِدْقًا ، فَكَذَلِكَ يَضْحَكُ عَلَيْكَ أَرْبَابُ الْبَصَائِرِ فِي
الدِّينِ إِذَا طَلَبْتَ الْمَغْفِرَةَ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ لَهَا .

وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ لَكَ : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا
سَعَى ﴾ .

وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ .

وَإِذَا لَمْ يَتْرُكِ الْإِنْسَانُ السَّعْيَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْمَالِ
اعْتِمَاداً عَلَى كَرَمِهِ عَزَّ وَجَلَّ .. فَكَذَلِكَ لَا يَتْرُكُ التَّزَوُّدَ
لِلْآخِرَةِ ، وَلَا تَغْتَرَّ فَإِنَّ رَبَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاحِدٌ ، وَهُوَ
فِيهِمَا كَرِيمٌ رَحِيمٌ ، وَلَيْسَ يَزِيدُ لَهُ كَرَمٌ بِمُؤْنِكَ ، وَإِنَّمَا
كَرَّمُهُ أَنْ يُسَهِّلَ عَلَيْكَ طَرِيقَ الْوُصُولِ إِلَى الْمُلْكِ الْمُقِيمِ ،
الْمُخَلَّدِ بِالصَّبْرِ عَلَى تَرْكِ الشَّهَوَاتِ أَيَّاماً قَلِيلًا ، وَهَذَا
نَهَايَةُ الْكَرَمِ ، فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِهَوَسَاتِ الْبَطَالِينِ ، وَاقْتَدِ
بِأُولِي الْحَزْمِ وَالنُّهَى مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّدِّيقِينَ وَالصَّالِحِينَ ،
وَلَا تَطْمَعْ فِي أَنْ تَحْصُدَ مَا لَمْ تَزْرَعْ ، وَلَيْتَ مَنْ صَلَّى
وَصَامَ وَجَاهَدَ وَاتَّقَى .. غُفِرَ لَهُ .

وَهَذِهِ جُمْلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ تَحْفَظَ عَنْهُ جَوَارِحَكَ

الظَّاهِرَةَ ، وَأَعْمَالُ هَذِهِ الْجَوَارِحِ إِنَّمَا تَتَرَشَّحُ مِنْ صِفَاتِ
الْقَلْبِ^(١) .

(١) جاء في هامش (أ) : (فَإِنْ قُلْتَ : فَأَيْنَ الْغُلُطُ فِي قَوْلِ الْعَصَاةِ
وَالْفَجَّارِ : « إِنْ اللَّهَ كَرِيمٌ وَإِنَّا نَرْجُو رَحْمَتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ ، وَقَدْ قَالَ : أَنَا عِنْدَ
ظَنِّ عَبْدِ بِي . . فليظن بي خيراً » فما هذا إلا كلام صحيح مقبول الظاهر
في القلوب؟ . . فاعلم أن الشيطان لا يغوي الإنسان إلا بكلام مقبول
الظاهر ، مردود الباطن ، ولولا حسن ظاهره . . لما انخدعت به
القلوب ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف فقال : « الكيس :
مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا
وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ » [حم ٤/١٢٤] .

وهذا هو التمني على الله تعالى ، غيَّرَ الشيطان اسمه فسماه :
« رجاء » ، ثم خدع به الجهال .

وقد قال الله تعالى في شرح الرجاء : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ
هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ يعني : أن الرجاء
بهم يليق ، وهذا لأنه دليل على أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على
الأعمال ؛ قال الله تعالى : ﴿ جَزَاءُ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، وقال تعالى :
﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ .

قليل للحسن : قوم يقولون : نرجو الله ، ويضيعون العمل؟
فقال : هيهات هيهات ؛ تلك أمانهم يترجحون فيها ، من رجا شيئاً .. =

فَإِنْ أَرَدْتَ حِفْظَ الْجَوَارِحِ .. فَعَلَيْكَ بِتَطْهِيرِ الْقَلْبِ ،
فَهُوَ التَّقْوَى الْبَاطِنُ .

وَالْقَلْبُ هُوَ الْمُضْغَةُ الَّتِي إِذَا صَلَحَتْ .. صَلَحَ بِهَا
سَائِرُ الْجَسَدِ ، وَإِذَا فَسَدَتْ .. فَسَدَ بِهَا سَائِرُ الْجَسَدِ ؛
فَأَسْتَغِلْ بِإِصْلَاحِهِ لِتُصْلِحَ بِهِ جَوَارِحَكَ .

= طلبه ، ومن خاف شيئاً .. هرب منه .

وكما أن الذي يرجو في الدنيا ولداً ، وهو بعد لم ينكح .. فهو
معتوه ، فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن ، أو آمن ولم يعمل
صالحاً ، أو عمل ولم يترك المعاصي .. فهو مغرور ، فكما أنه إذا نكح
وجامع وأنزل بقي متردداً بين الخوف والرجاء في الولد ؛ يخاف ويرجو
فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم ..
فهو كيّس ، فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات ، وترك السيئات ، وبقي
متردداً بين الخوف والرجاء ؛ يخاف أن لا يقبل منه ، ولا يدوم عليه ،
وأن يختم له بالسوء ، ويرجو من فضل الله تعالى أن يثبتته بالقول
الثابت ، ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على
التوحيد ، ويحرس قلبه عن الميل إلى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل
إلى المعاصي .. فهو كيّس ، وما عدا هؤلاء .. فهم المغرورون .
« إحياء » ملخصاً (٣ / ٣٨٥) .

الْقَوْلُ فِي مَعَايِ الْقَلْبِ

أَعْلَمُ : أَنَّ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةَ فِي الْقَلْبِ كَثِيرَةٌ ،
وَطَرِيقُ تَطْهِيرِ الْقَلْبِ مِنْ رَذَائِلِهَا طَوِيلَةٌ ، وَسَبِيلُ الْعِلَاجِ
فِيهَا غَامِضٌ ، وَقَدْ أُنْدَرَسَ بِالْكُلِّيَّةِ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ لِغَفْلَةِ
الْخَلْقِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَاشْتَغَالِهِمْ بِزَخَارِفِ الدُّنْيَا .

وَقَدْ اسْتَقْصَيْنَا ذَلِكَ فِي كِتَابِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ » فِي
(رُبْعِ الْمُهْلِكَاتِ) وَ (رُبْعِ الْمُنْجِيَّاتِ) .

وَلَكِنَّا نَحْذَرُكَ الْآنَ ثَلَاثًا مِنْ خَبَائِثِ الْقَلْبِ هِيَ الْغَالِبَةُ
عَلَى مُتَفَقِّهَةِ الْعَصْرِ ؛ لِتَأْخُذَ حِذْرَكَ مِنْهَا ، فَإِنَّهَا مُهْلِكَاتٌ
فِي أَنْفُسِهَا ، وَهِيَ أُمَّهَاتٌ لِجُمْلَةٍ مِنَ الْخَبَائِثِ سِوَاهَا ،
وَهِيَ : (الْحَسَدُ ، وَالرِّيَاءُ ، وَالْعُجْبُ) .

فَاجْتَهِدْ فِي تَطْهِيرِ قَلْبِكَ مِنْهَا ، فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَيْهَا ..
فَتَعَلَّمْ كَيْفِيَّةَ الْحَذَرِ مِنْ بَقِيَّتِهَا مِنْ (رُبْعِ الْمُهْلِكَاتِ) ، فَإِنْ
عَجَزْتَ عَنْ هَذِهِ .. فَأَنْتَ عَنْ غَيْرِهَا أَعْجُزُ .

وَلَا تَظَنَّ أَنَّهُ تَسَلَّمَ لَكَ نِيَّةٌ صَالِحَةٌ فِي تَعَلُّمِ الْعِلْمِ وَفِي
قَلْبِكَ شَيْءٌ مِنَ الْحَسَدِ وَالرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ ، وَقَدْ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثُ مُهْلِكَاتٍ : شُحٌّ
مُطَاعٌ ، وَهَوًى مَتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » [طس ٥٤٤٨] .

أَمَّا الْحَسَدُ : فَهُوَ مَتَشَعَّبٌ مِنَ الشُّحِّ ، فَإِنَّ الْبَخِيلَ هُوَ
الَّذِي يَبْخُلُ بِمَا فِي يَدِهِ عَلَى غَيْرِهِ ، وَالَّذِي يَبْخُلُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَهِيَ فِي خِزَانَةِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَا فِي خِزَانَتِهِ عَلَى
عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى .. فَشُحُّهُ أَعْظَمُ .

وَالْحَسُودُ : هُوَ الَّذِي يَشْقُ عَلَيْهِ إِنْعَامُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ
خِزَانَةِ قُدْرَتِهِ عَلَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ بِمَالٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ مَحَبَّةٍ فِي
قُلُوبِ النَّاسِ ، أَوْ حَظٍّ مِنَ الْحُظُوظِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُحِبُّ

زَوَالَهَا عَنْهُ ، وَإِنْ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ .. فَهَذَا مُنْتَهَى الْخُبْثِ ،
وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْحَسَدُ يَأْكُلُ
الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ » [ق ٤٢١٠] .

وَالْحَسُودُ : هُوَ الْمُعَذَّبُ الَّذِي لَا يُرْحَمُ ، وَلَا يَزَالُ فِي
عَذَابٍ دَائِمٍ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَا تَخْلُو قَطُّ عَنْ خَلْقٍ كَثِيرٍ مِنْ
أَقْرَانِهِ وَمَعَارِفِهِ مِمَّنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ ،
فَلَا يَزَالُ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ فِي الدُّنْيَا إِلَى مَوْتِهِ ، وَلِعَذَابٍ
الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَكْبَرُ .

بَلْ لَا يَصِلُ الْعَبْدُ إِلَى حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ مَا لَمْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ
وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .

بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُسَاهِمَ الْمُسْلِمِينَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ .
وَالْمُسْلِمُونَ كَالْبُنْيَانِ الْوَاحِدِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ،
وَكَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا أَشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ .. أَشْتَكَى سَائِرُ
الْجَسَدِ .

فَإِنْ كُنْتَ لَا تُصَادِفُ هَذَا مِنْ قَلْبِكَ .. فَاسْتِغَالِكَ
بَطْلَبِ الْمَخْلَصِ عَنِ الْهَلَاكِ أَهَمُّ مِنْ اسْتِغَالِكَ بِنَوَادِرِ
الْفُرُوعِ وَعِلْمِ الْخُصُومَاتِ .

وَأَمَّا الرِّيَاءُ : فَهُوَ الشَّرْكُ الْخَفِيُّ ، وَهُوَ أَحَدُ
الشَّرَكَيْنِ ، وَذَلِكَ طَلَبُكَ الْمَنْزِلَةَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ لِتَنَالَ بِهِ
الْجَاهَ وَالْحِشْمَةَ ، وَحُبُّ الْجَاهِ مِنَ الْهَوَى الْمُتَّبِعِ
الْمُهْلِكِ ، وَفِيهِ هَلَكَ أَكْثَرُ النَّاسِ ، فَمَا أَهْلَكَ النَّاسَ إِلَّا
النَّاسُ .

وَلَوْ أَنْصَفَ أَكْثَرُ النَّاسِ .. لَعَلِمُوا أَنَّ أَكْثَرَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ
الْعُلُومِ وَالْعِبَادَاتِ فَضْلاً عَنْ أَعْمَالِ الْعَادَاتِ .. لَيْسَ
يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهَا إِلَّا مُرَاعَاةُ النَّاسِ ، وَهِيَ مُحْبِطَاتُ
الْأَعْمَالِ ، حَتَّى وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ : « إِنَّ الشَّهِيدَ يُؤْمَرُ بِهِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى النَّارِ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ اسْتَشْهَدْتُ فِي
سَبِيلِكَ ، فَيَقُولُ : أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : إِنَّكَ شُجَاعٌ ، وَقَدْ قِيلَ

ذَلِكَ ، وَذَلِكَ أَجْرُكَ » [م ١٩٠٥] .

وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِلْعَالِمِ وَالْحَاجِّ وَالْغَازِي وَالْقَارِيءِ .

وَأَمَّا الْعُجْبُ وَالْكِبْرُ وَالْفَخْرُ : فَهُوَ الْدَّاءُ الْغُضَالُ ،
وَهُوَ نَظَرُ الْعَبْدِ إِلَى نَفْسِهِ بِعَيْنِ الْعِزِّ وَالْأَسْتِعْظَامِ وَنَظَرُهُ إِلَى
غَيْرِهِ بِعَيْنِ الذُّلِّ وَالْأَسْتِحْقَارِ ^(١) .

وَتَبَيَّجَتْهُ عَلَى اللِّسَانِ أَنْ يَقُولَ : (أَنَا وَأَنَا) ، كَمَا قَالَ
إِبْلِيسُ اللَّعِينُ : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ .

(١) جاء في هامش (أ) : (روي عن أبي هريرة ، عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ
مَاتُوا ، وَإِنَّمَا هُمْ فَحَمٌ مِنْ جَهَنَّمَ ، أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ
الَّذِي يَدْهِيهِ الْخُرءُ بِأَنْفِهِ ، إِنْ اللَّهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُيْبَةُ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا
بِالْآبَاءِ ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُوا آدَمَ ، وَآدَمُ
مِنْ تَرَابٍ » [ت ٣٩٥٥ بنحوه] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الْحَسْبُ : الْمَالُ ، وَالْكَرَمُ :
التَّقْوَى » [ت ٣٢٧١] . « مَصَابِيحُ » [٣/ ٣٤١-٣٤٢] .

وَتَمَرَّتُهُ فِي الْمَجَالِسِ : التَّرَفُّعُ وَالْتَقَدُّمُ ، وَطَلَبُ
الْتَّصَدُّرِ فِي الْمَحَافِلِ .

وَفِي الْمُحَاوَرَةِ : الْأُسْتِنْكَافُ مِنْ أَنْ يُرَدَّ كَلَامُهُ عَلَيْهِ .

وَالْمُتَكَبَّرُ : هُوَ الَّذِي إِذَا وُعِظَ أَنْفَ ، وَإِذَا وَعَظَ
عَنَّفَ ، وَكُلُّ مَنْ يَرَى نَفْسَهُ خَيْرًا مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ .. فَهُوَ مُتَكَبَّرٌ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْخَيْرَ مَنْ هُوَ
خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَذَلِكَ غَيْبٌ ، وَهُوَ
مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَاتِمَةِ .

وَأَعْتَقَادُكَ فِي نَفْسِكَ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ غَيْرِكَ .. جَهْلٌ
مَحْضٌ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ لَا تَنْظُرَ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا وَتَرَى أَنَّهُ خَيْرٌ
مِنْكَ ، وَأَنَّ الْفَضْلَ لَهُ عَلَيْكَ وَتَزْدَرِي نَفْسَكَ .

فَإِنْ رَأَيْتَ صَغِيرًا .. قُلْتَ : هَذَا لَمْ يَعْصِ اللَّهَ وَأَنَا
عَصَيْتُهُ ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنِّي .

وَإِنْ رَأَيْتَ كَبِيرًا .. قُلْتَ : هَذَا خَيْرٌ مِنِّي ، عَبْدَ اللَّهِ
قَبْلِي .

وَإِنْ رَأَيْتَ عَالِمًا .. قُلْتَ : هَذَا قَدْ أُعْطِيَ مَا لَمْ
أُعْطَ ، وَبَلَغَ مَا لَمْ أَبْلُغْ ، وَعَلِمَ مَا جَهِلْتُ ، فَكَيْفَ أَكُونُ
مِثْلَهُ؟!!

وَإِنْ كَانَ جَاهِلًا .. قُلْتَ : هَذَا عَصَى اللَّهَ تَعَالَى
بِجَهْلٍ وَأَنَا عَصَيْتُ اللَّهَ بِعِلْمٍ ، فَحُجَّةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ
أَكْبَرُ ، وَمَا أَذْرِي بِمَ يُخْتَمُ لِي وَبِمَ يُخْتَمُ لَهُ؟!!

وَإِنْ رَأَيْتَ كَافِرًا .. قُلْتَ : لَا أَذْرِي ، عَسَى أَنْ يُسَلِّمَ
وَيُخْتَمَ لَهُ بِخَيْرِ الْعَمَلِ ، وَيَنْسَلَ بِإِسْلَامِهِ مِنْ ذُنُوبِهِ كَمَا
تَنْسَلُ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ ، وَأَمَّا أَنَا فَعَسَى أَنْ يُضِلَّنِي اللَّهُ
فَأَكْفُرَ ؛ فَيُخْتَمَ لِي بِسُوءِ الْعَمَلِ ، فَيَكُونُ هُوَ غَدًا مِنَ
الْمُقَرَّبِينَ وَأَكُونُ أَنَا مِنَ الْمُبْعَدِينَ .

فَلَا يَخْرُجُ الْكِبَرُ مِنْ قَلْبِكَ إِلَّا بِأَنْ تَعْرِفَ أَنَّ الْكَبِيرَ مَنْ

هُوَ كَبِيرٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَذَلِكَ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَاتِمَةِ ،
 وَهُوَ مَشْكُوكٌ فِيهِ ، فَيَشْغَلُكَ خَوْفُ سُوءِ الْخَاتِمَةِ عَنْ أَنْ
 تَتَكَبَّرَ مَعَ الشَّكِّ فِيهَا عَلَى عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَقِينُكَ
 وَإِيمَانُكَ فِي الْحَالِ لَا يُنَاقِضُ تَجْوِيزَكَ التَّغْيِيرَ فِي
 الْإِسْتِقْبَالِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مُقَلِّبُ الْقُلُوبِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ
 مَنْ يَشَاءُ .

وَالْأَخْبَارُ فِي الْحَسَدِ وَالرِّيَاءِ وَالْكِبْرِ كَثِيرَةٌ ، وَيَكْفِيكَ
 مِنْهَا حَدِيثٌ وَاحِدٌ جَامِعٌ ، فَقَدْ رَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ بِإِسْنَادِهِ
 عَنْ رَجُلٍ أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا مُعَاذُ ؛
 حَدَّثْنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 قَالَ : فَبَكَى مُعَاذٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا
 يَسْكُتُ ، ثُمَّ سَكَتَ ، ثُمَّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يَا مُعَاذُ ؛ إِنِّي مُحَدِّثُكَ
 بِحَدِيثٍ إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَهُ . . نَفَعَكَ ، وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَهُ وَلَمْ

تَحْفَظُهُ .. أَنْقَطَعَتْ حُجَّتُكَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

يَا مُعَاذُ ؛ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ سَبْعَةَ أَمْلَاقٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ، فَجَعَلَ لِكُلِّ
سَمَاءٍ مِنَ السَّبْعِ مَلَكًا بَوَّابًا عَلَيْهَا ، فَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ
الْعَبْدِ مِنْ حِينَ يُصْبِحُ إِلَى حِينَ يُمَسِي ، لَهُ نُورٌ كَنُورِ
الشَّمْسِ ، حَتَّى إِذَا صَعِدَتْ بِهِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا .. زَكَّاهُ
وَكَثَّرَتْهُ ، فَيَقُولُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا لِلْحَفَظَةِ : أَضْرِبُوا
بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، فَأَنَا صَاحِبُ الْغَيْبَةِ ؛ أَمْرِنِي
رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلٍ مِنَ أَغْتَابَ النَّاسَ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي .

قَالَ : ثُمَّ تَأْتِي الْحَفَظَةُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ مِنْ أَعْمَالِ الْعَبْدِ
فَتَزَكِّيهِ وَتُكَثِّرُهُ حَتَّى تَبْلُغَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ
الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِالسَّمَاءِ الثَّانِيَةِ : قِفُوا وَأَضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ
وَجْهَ صَاحِبِهِ ، أَنَا مَلِكُ الْفَخْرِ ، إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ هَذَا عَرْضَ
الدُّنْيَا ؛ أَمْرِنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي ؛

إِنَّهُ كَانَ يَفْتَخِرُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ .

قَالَ : وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ يَبْتَهِجُ نُوراً مِنْ
صَدَقَةٍ وَصِيَامٍ وَصَلَاةٍ قَدْ أَعْجَبَ الْحَفَظَةَ ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ
إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُؤَكَّلُ بِهَا : قِفُوا
وَأَضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، أَنَا مَلِكُ الْكِبَرِ ؛
أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي ؛ إِنَّهُ كَانَ
يَتَكَبَّرُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ .

قَالَ : وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ يَزْهَرُ كَمَا يَزْهَرُ
الْكَوْكَبُ الدَّرِّيُّ وَلَهُ دَوِيٌّ مِنْ تَسْبِيحٍ وَصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ
وَعُمْرَةٍ حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ
الْمَلِكُ الْمُؤَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَأَضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ
صَاحِبِهِ وَظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ، أَنَا صَاحِبُ الْعُجْبِ ؛ أَمَرَنِي رَبِّي
أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي ، إِنَّهُ كَانَ إِذَا عَمِلَ
عَمَلًا .. أَدْخَلَ الْعُجْبَ فِيهِ .

قَالَ : وَتَضَعْدُ الْحَفَظَةَ بِعَمَلِ الْعَبْدِ حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى
السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ ، كَأَنَّهُ الْعُرْسُ الْمَرْفُوفَةُ إِلَى أَهْلِهَا ،
فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَأَضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ
وَجَهَ صَاحِبِهِ وَظَهْرَهُ وَأَحْمِلُوهُ عَلَى عَاتِقِهِ ، أَنَا مَلِكُ
الْحَسَدِ ، إِنَّهُ كَانَ يَحْسُدُ مَنْ يَتَعَلَّمُ وَيَعْمَلُ بِمِثْلِ عَمَلِهِ ، وَكُلُّ
مَنْ كَانَ يَأْخُذُ فَضْلاً مِنَ الْعِبَادَاتِ .. كَانَ يَحْسُدُهُمْ وَيَقَعُ
فِيهِمْ ؛ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي .

قَالَ : وَتَضَعْدُ الْحَفَظَةَ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ ،
وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ،
فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَأَضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ
وَجَهَ صَاحِبِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَرْحَمُ إِنْسَاناً قَطُّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ
أَصَابَهُ بَلَاءٌ أَوْ ضَرْبٌ ، بَلْ كَانَ يَشْمَتُ بِهِ ، أَنَا مَلِكُ الرَّحْمَةِ ؛
أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي ^(١) .

(١) جاء في هامش (أ) : (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قبل =

= رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن عليٍّ ومعه الأقرع بن حابس ، فقال الأقرع : إن لي عشرة أولاد ما قبّلت منهم أحداً ، فنظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « من لا يرحم .. لا يُرحم » [خ ٥٩٩٧] . « مصابيح » [٢٨٠/٣] .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصبيٍّ فقَبَّله ، وقال : « أما إنهم مبخلةٌ مجبنةٌ ، وإنهم من ريحان الله » [ق ٣٦٦٦ بنحوه] ، قوله : « ريحان الله » أي : رزقه تعالى ، منه [٢٨٥/٣] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يرحم الله .. من لا يرحم الناس » [خ ٧٣٧٦] .
وقال : « أنا وكافل اليتيم في الجنة » هكذا وأشار بإصبعيه [خ ٥٣٠٤] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفّق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال » [م ٢٨٦٥] .
وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تُنزع الرحمة إلا من شقي » [ت ١٩٢٣] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض .. يرحمكم من في السماء » [ت ١٩٢١] . =

قَالَ : وَتَصَعَّدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ ،
وَنَفَقَةٍ وَجِهَادٍ وَوَرَعٍ ، لَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيٍّ النَّحْلِ ، وَضَوْءٌ
كَضَوْءِ الشَّمْسِ ، مَعَهُ ثَلَاثَةُ آلَافٍ مَلَكٍ ، فَيَجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى
السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا
وَأَضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَأَضْرِبُوا بِهِ
جَوَارِحَهُ ، وَأَقْفِلُوا عَلَى قَلْبِهِ ، إِنِّي أَخْجُبُ عَنْ رَبِّي كُلَّ
عَمَلٍ لَمْ يُرِدْ بِهِ وَجْهَ رَبِّي ، إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ ، إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ رِفْعَةً عِنْدَ الْفُقَهَاءِ ، وَذِكْرًا عِنْدَ

= وقال صلى الله عليه وسلم : « خير بيت في المسلمين : بيت فيه يتيم
يُحْسَنُ إِلَيْهِ ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ : بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ » [طس
٩٩/٥] .

وقال : « مَنْ آوَى يَتِيمًا إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ .. أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ الْجَنَّةَ
الْبَتَّةَ إِلَّا أَنْ يَعْمَلَ ذَنْبًا لَا يُغْفَرُ » [يعلى ١٢٤٥٧ بنحوه] .
وقال : « مَنْ كَانَتْ لَهُ أَنْثَى فَلَمْ يَتَّخِذْهَا ، وَلَمْ يُهْنِهَا ، وَلَمْ يُوْثِرْ وَلَدَهُ
عَلَيْهَا - يَعْنِي : الذَّكَورَ - .. أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ » [٥١٠٣د] . « مَصَابِيحُ »
ملخصاً [٢٨٥-٢٨١/٢] .

الْعُلَمَاءُ ، وَصِيَتًا فِي الْمَدَائِنِ ؛ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ
يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي ، وَكُلُّ عَمَلٍ لَمْ يَكُنْ خَالِصًا لِلَّهِ تَعَالَى
فَهُوَ رِيَاءٌ ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلَ الْمُرَائِينَ (١) .

(١) جاء في هامش (أ) : (والإخلاص : تصفية الأعمال عن رؤية
الخلق ؛ فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله
تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه
غيري معي .. فأنا بريء منه ومن عمله » ، ولا يصح له الإخلاص إلا
بمعرفة مقادير الخلق وضعفهم ، وقلة نفعهم وضرهم ، كما وصفه
الخليل عليه السلام : ﴿ لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يجد أحدكم حلاوة
الإيمان .. حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن
ليصيبه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن من ضعف الإيمان : أن تُرضي
الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على ما لم
يؤتلك الله ، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يدفعه كراهية
كاره » [طب ١٠/٢١٥] .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ
وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ . « آداب المريدين » معنى [٥٨-
٥٩] .

قَالَ : وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ ،
وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ ، وَخُلُقٍ حَسَنِ ، وَصَمْتٍ وَذِكْرِ اللَّهِ ،
وَتُشَيِّعُهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ حَتَّى يَقْطَعُوا الْحُجُبَ كُلَّهَا
إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيَقْفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَشْهَدُونَ لَهُ بِالْعَمَلِ
الصَّالِحِ الْمُخْلِصِ لِلَّهِ تَعَالَى ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنْتُمْ
الْحَفَظَةُ عَلَى عَمَلِ عَبْدِي ، وَأَنَا الرَّقِيبُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ،
إِنَّهُ لَمْ يُرِدْنِي بِهَذَا الْعَمَلِ ، وَأَرَادَ بِهِ غَيْرِي فَعَلَيْهِ لِعَنْتِي ،
فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهَا : (عَلَيْهِ لَعْنَتُكَ وَلَعْنَتُنَا) ، وَتَلْعَنُهُ
السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ .

قَالَ مُعَاذٌ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا
مُعَاذٌ فَكَيْفَ لِي بِالْخَلَاصِ وَالنَّجَاةِ؟

قَالَ : « أَفْتَدِي بِي ، وَإِنْ كَانَ فِي عَمَلِكَ نَقْصٌ
يَا مُعَاذُ .. فَاحْفَظْ لِسَانَكَ مِنَ الْوَقِيعَةِ فِي إِخْوَانِكَ مِنْ حَمَلَةِ
الْقُرْآنِ ، وَأَحْمِلْ ذُنُوبَكَ عَلَيْكَ وَلَا تَحْمِلْهَا عَلَيْهِمْ ، وَلَا

تُرِكَ نَفْسَكَ بِذَمِّهِمْ ، وَلَا تَرْفَعْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا تُدْخِلْ
 عَمَلَ الدُّنْيَا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَلَا تَتَكَبَّرْ فِي مَجْلِسِكَ لَكِنِّي
 يَحْذَرُ النَّاسُ مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ ، وَلَا تُنَاجِ رَجُلًا وَعِنْدَكَ
 آخَرُ ، وَلَا تَتَعَظَّمْ عَلَى النَّاسِ فَيَنْقَطِعَ عَنْكَ خَيْرُ الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ ، وَلَا تُمَزِّقِ النَّاسَ بِلِسَانِكَ فَتُمَزَّقَكَ كِلَابُ النَّارِ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالنَّشِيطُ نَشَاطًا ﴾
 هَلْ تَدْرِي مَا هُنَّ يَا مُعَاذُ ؟ » .

قَالَ : قُلْتُ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ مَا هُنَّ ؟
 قَالَ : « كِلَابُ فِي النَّارِ تَنْشِطُ اللَّحْمَ مِنَ الْعَظْمِ » .
 قُلْتُ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَمَنْ يُطِيقُ هَذِهِ
 الْخِصَالَ وَمَنْ يَنْجُو مِنْهَا ؟

قَالَ : « يَا مُعَاذُ ، إِنَّهُ لَيْسِيرٌ لِمَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ » .
 قَالَ الرَّاوي : فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تِلَاوَةً لِلْقُرْآنِ مِنْ
 مُعَاذٍ لِهَذَا الْحَدِيثِ [زهد مبا ٤٥٢] .

فَتَأْمَلْ أَيُّهَا الرَّاعِبُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ هَذِهِ الْخِصَالِ .
وَأَعْلَمْ : أَنَّ أَعْظَمَ الْأَسْبَابِ فِي رُسُوخِ هَذِهِ الْخَبَائِثِ
فِي الْقَلْبِ طَلَبُ الْعِلْمِ لِأَجْلِ الْمُبَاهَاةِ وَالْمُنَافَسَةِ ^(١) ،
وَالْعَامِّيِّ بِمَعْزِلٍ عَنْ أَكْثَرِ هَذِهِ الْخِصَالِ ، وَالْمُتَفَقِّهُ
مُسْتَهْدَفٌ لَهَا وَهُوَ مُعَرَّضٌ لِلْهَلَاكِ بِسَبَبِهَا .

(١) جاء في هامش (أ) : (وأما علماء الدنيا .. فإنهم يتبعون غرائب
التفريعات في الحكومات والأقضية ، ويتبعون في وضع صور تنقضي
الدهور ولا تقع أبداً ، وإن وقعت فإنما تقع لغيرهم لا لهم ، وإذا وقعت
كان في القائمين بها كثرة ، ويتركون ما يلزمهم ويتكرر عليهم آناء الليل
والنهار في خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم .
وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بهم غيره النادر
إيثاراً للتقرب والقبول من الخلق على القرب من الله تعالى ، وشرهاً في
أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلاً محققاً عالماً بالدقائق؟ وجزاء
من الله أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق ، بل يتكدر عليه صفوه بنوائب
الزمان ، ثم يَرُدُّ يوم القيامة مفلساً متحسراً على ما يشاهده من ربح
العاملين وفوز المقربين ، وذلك الخسران المبين « إحياء » المؤلف
جزاه الله عنا وعن الدين أفضل الجزاء .. آمين آمين . [١٠٩/١]) .

فَانْظُرْ : هَلْ أَهَمُّ أُمُورِكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ كَيْفِيَّةَ الْحَذَرِ مِنْ هَذِهِ
 الْمُهْلِكَاتِ ، وَتَشْتَغَلَ بِإِصْلَاحِ قَلْبِكَ وَعِمَارَةِ آخِرَتِكَ ^(١) ،
 أَمْ الْأَهَمُّ أَنْ تَخُوضَ مَعَ الْخَائِضِينَ ، وَتَطْلُبَ مِنَ الْعِلْمِ مَا
 هُوَ سَبَبُ زِيَادَةِ الْكِبَرِ وَالرِّيَاءِ وَالْحَسَدِ وَالْعُجْبِ حَتَّى تَهْلِكَ
 مَعَ الْهَالِكِينَ ؟ !

وَأَعْلَمْ : أَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ الثَّلَاثَةَ مِنْ أُمّهَاتِ خَبَائِثِ
 الْقَلْبِ ، وَلَهَا مَغْرَسٌ وَاحِدٌ وَهُوَ حُبُّ الدُّنْيَا ، وَلِذَلِكَ قَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حُبُّ الدُّنْيَا .. رَأْسُ
 كُلِّ خَطِيئَةٍ » [مب ١٠٥٠١] .

(١) جاء في هامش (أ) : (وعلى الجملة : فلا يميل أكثر الخلق إلا
 إلى الأسهل والأوفق لطباعهم ، فإن الحق مرّ ، والوقوف عليه صعب ،
 وإدراكه شديد وطرقه مستوعرة ، لا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره
 عن الأخلاق المذمومة ، فإن ذلك نزع للروح على الدوام ، وصاحبه
 ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء ، وينزل منزلة
 من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت ،
 ومتى تكثر الرغبة في مثل هذه الطريق . « إحياء علوم الدين » [١/ ١١٠] .

وَمَعَ هَذَا فَالْدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ الْآخِرَةُ ، فَمَنْ أَخَذَ مِنَ الدُّنْيَا
بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى الْآخِرَةِ .. فَالْدُّنْيَا
مَزْرَعَةٌ^(١) ، وَمَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا لِيَتَّعَمَّ بِهَا .. فَالْدُّنْيَا مَهْلَكَتُهُ^(٢) .

فَهَذِهِ نُبْذَةٌ يَسِيرَةٌ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمِ التَّقْوَى ، وَهِيَ بِدَايَةُ

(١) جاء في هامش (أ) : (قال أنس رضي الله عنه : ما أعلم أن
النبي صلى الله عليه وسلم رأى رغيماً مرققاً حتى لحق بالله ، ولا رأى
شاةً سميماً بعينه قط .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : ما رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي من حين ابتعثه الله تعالى حتى
قبضه الله . وقال : ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منخلًا من
حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله ، قيل : كيف كنتم تأكلون الشعير
غير منخول؟ قال : كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقي ثريناه
فأكلناه [خ ٥٤١٣] . « مصابيح » [١٥٠/٣]) .

(٢) وقد صدق المصنف في ذلك ؛ فالدنيا صفاؤها كدر ، وأهلها
منها على حذر ؛ كما قال الشاعر - نسأل الله الانتعاض والانتفاع - :

هي الدنيا تقول بِمَلٍّ فيها حذارٍ حذارٍ من بطشي وفتكي
فلا يغرركم مني ابتسام فقولني مضحك والفعل مبكي

الْهِدَايَةِ ، فَإِنْ جَرَّبْتَ فِيهَا نَفْسَكَ فَطَاوَعْتَكَ عَلَيْهَا ..
فَعَلَيْكَ بِكِتَابِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ » لِتَعْرِفَ كَيْفِيَّةَ الْوُصُولِ
إِلَى بَاطِنِ التَّقْوَى .

فَإِذَا عَمَرْتَ بِالتَّقْوَى بَاطِنَ قَلْبِكَ .. فَعِنْدَ ذَلِكَ تَرْتَفِعُ
الْحُجُبُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ ، وَتُنْكَشِفُ لَكَ أَنْوَارُ الْمَعَارِفِ ،
وَتَتَفَجَّرُ مِنْ قَلْبِكَ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ ، وَتَتَضَحُّ لَكَ أَسْرَارُ
الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ ، وَيَتَيَسَّرُ لَكَ مِنَ الْعُلُومِ مَا تَسْتَحِقُّ بِهِ
هَذِهِ الْعُلُومَ الْمُحَدَّثَةَ الَّتِي لَمْ يَكُنْ لَهَا ذِكْرٌ فِي زَمَنِ
الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ^(١) .

وَإِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ الْمَعْرِفَةَ مِنَ الْقِلِيلِ وَالْقَلَالِ وَالْمِرَاءِ
وَالْجِدَالِ .. فَمَا أَعْظَمَ مُصِيبَتَكَ ، وَمَا أَطْوَلَ تَعَبَكَ ، وَمَا

(١) مراد المصنف : هو ذم العلوم المحدثّة التي لم تكن في زمن
الصحابة والتابعين ، لا ذم كل المحدثات ؛ لأنها تجري فيها الأحكام
الخمسية . ومقصود المصنف الأعظم : رفع الهمّة إلى سلوك معارج
المتقين .

أَعْظَمَ حِرْمَانِكَ وَخُسْرَانِكَ^(١) .

فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا الَّتِي تَطْلُبُهَا بِالْدِّينِ لَا
تَسْلَمُ لَكَ ، وَالْآخِرَةُ تُسَلَبُ مِنْكَ .

فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِالْدِّينِ .. خَسِرَهُمَا جَمِيعاً ، وَمَنْ
تَرَكَ الدُّنْيَا لِلدِّينِ .. رَبِحَهُمَا جَمِيعاً .

فَهَذِهِ جُمْلُ الْهِدَايَةِ إِلَى بِدَايَةِ الطَّرِيقِ فِي مُعَامَلَتِكَ
مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَدَاءِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ .

وَنُشِيرُ الْآنَ عَلَيْكَ بِجُمْلٍ مِنَ الْأَدَابِ لِتُؤَاخِذَ بِهَا نَفْسَكَ
فِي مُخَالَطَتِكَ مَعَ عِبَادِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصُحْبَتِكَ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا .

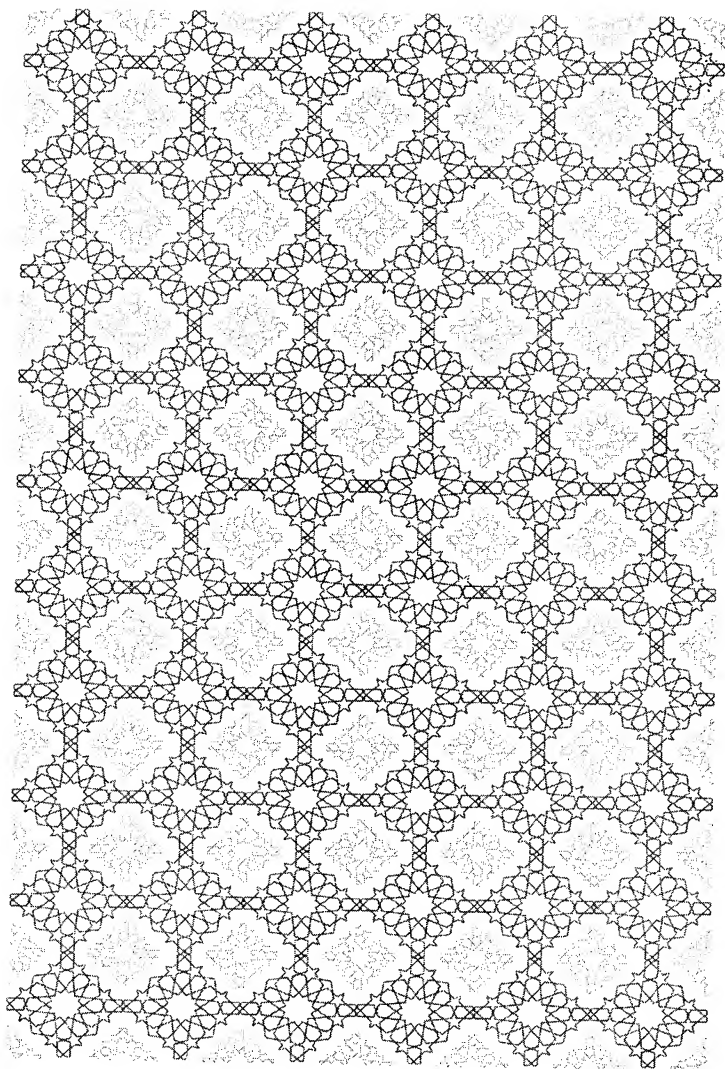


(١) جاء في هامش (أ) : (قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله
يغض [البليغ] من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تخلل البقرة بلسانها »
[د ٤٩٦٦] . « مصابيح » [٣١٦/٣]) .

الْقِسْمُ الثَّالِثُ

الْقَوْلُ فِي رَأْيِ الصَّحْبِ وَالْمُعَاشِرَةِ

مَعَ الْخَالِقِ وَالْخَلْقِ





القِسْمُ الثَّالِثُ

الْقَوْلُ فِي أَحَادِيثِ الصَّحْبِ وَالْعَاشِرَةِ

مَعَ الْخَالِقِ وَالْخَلْقِ

أَعْلَمْ : أَنَّ صَاحِبَكَ الَّذِي لَا يُفَارِقُكَ فِي حَضْرِكَ
وَسَفَرِكَ ، وَنَوْمِكَ وَيَقْظَتِكَ ، بَلْ فِي حَيَاتِكَ وَمَوْتِكَ .. هُوَ
رَبُّكَ وَمَوْلَاكَ وَسَيِّدُكَ وَخَالِقُكَ .

وَمَهْمَا ذَكَرْتَهُ فَهُوَ جَلِيسُكَ ؛ إِذْ قَالَ تَعَالَى : « أَنَا
جَلِيسٌ مَنْ ذَكَرَنِي » .

وَمَهْمَا أَنْكَسَرَ قَلْبُكَ حُزْنًا عَلَى تَقْصِيرِكَ فِي حَقِّ
رَبِّكَ^(١) .. فَهُوَ صَاحِبُكَ وَمُلَاذِمُكَ ؛ إِذْ قَالَ رَبُّكَ تَعَالَى :

(١) فِي نَسْخَةٍ : (دِينُكَ) .

« أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي » .

فَلَوْ عَرَفْتُهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ .. لَأَتَّخَذْتُهُ صَاحِبًا ، وَتَرَكْتُ
النَّاسَ جَانِبًا .

فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِكَ .. فَإِيَّاكَ أَنْ
تُخْلِيَ لِنَفْسِكَ وَنَهَارِكَ عَنْ وَقْتٍ تَخْلُو فِيهِ بِمَوْلَاكَ ، وَتَتَلَذَّذُ
بِمُنَاجَاتِهِ .

وَعِنْدَ ذَلِكَ : فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ آدَابَ الصُّحْبَةِ مَعَ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ .

وَأَدَابُهَا : إِطْرَاقُ الطَّرْفِ ، وَجَمْعُ الْهَمِّ ، وَدَوَامُ
الصَّمْتِ ، وَسُكُونُ الْجَوَارِحِ ، وَمُبَادَرَةُ الْأَمْرِ ، وَاجْتِنَابُ
النَّهْيِ ، وَقِلَّةُ الْأَعْتِرَاضِ عَلَى الْقَدَرِ ، وَدَوَامُ الذِّكْرِ ،
وَمُلَازِمَةُ الْفِكْرِ ، وَإِيثَارُ الْحَقِّ وَالْإِيَّاسُ مِنَ الْخَلْقِ ،
وَالْخُضُوعُ تَحْتَ الْهَيْبَةِ ، وَالْإِنْكِسَارُ تَحْتَ الْحَيَاءِ ،

وَالسُّكُونُ عَنْ حِيلِ الْكَسْبِ ثِقَةً بِالضَّمَانِ^(١) ، وَالتَّوَكُّلُ
عَلَى فَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعْرِفَةً بِحُسْنِ الْإِخْتِيَارِ .

وَهَذَا كُلُّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ شِعَارَكَ فِي جَمِيعِ لَيْلِكَ
وَنَهَارِكَ ؛ فَإِنَّهُ أَدَبُ الصُّحْبَةِ مَعَ صَاحِبٍ لَا يُفَارِقُكَ ،
وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ يُفَارِقُونَكَ فِي بَعْضِ أَوْقَاتِكَ^(٢) .

(١) في نسخة : (بالضامن) . وجاء في هامش (أ) : [وهي
أن الله تعالى ضمن لك رزقاً حيث] قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ . وأقسم عليه فقال : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ
لَحَقٌّ ﴾ .

ولا ينبغي أن تتهمه في ضمانه ، وترتاب في وفائه بوعده :

أَتُذَمِّنُ عَصِيَاناً وَفَحشاً وَرِيئَةً وتصبح من خوف العواقب آمناً
وترضى بصرفٍ وإن كان مشركاً ضميناً ولا ترضى بربك ضامناً

« رياض الأنس » [(خ) روضة الأنس للصادقين] .

(٢) جاء في هامش (أ) : (وقال بعض المشايخ : يا معشر
الفقراء ؛ إنكم تعرفون بالله ، وتكرمون بالله ؛ فإذا خلوتهم .. فانظروا
كيف تكونون معه . « رياض » [(خ) روضة الأنس للراجين]) .

فَإِنْ كُنْتَ عَالِمًا^(١) .. فَأَدَّبُ الْعَالِمَ : سَعَةُ الْأَحْتِمَالِ ،
وَلُزُومُ الْحِلْمِ^(٢) ، وَالْجُلُوسُ بِالْهَيْبَةِ عَلَى سَمْتِ الْوَقَارِ مَعَ

(١) جاء في هامش (أ) : (وروي أن أصحاب الصُّفَّة أهدى إلى واحد منهم رأس مشوي وهو في غاية الضر فأهداه إلى آخر ، وأهداه الآخر إلى آخر ، وهكذا دار بينهم حتى عاد إلى الأول ؛ فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء وصار المهروب عنه مطلوباً والمطلوب مهروباً عنه .
وقال بعضهم : كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء : الإمامة والوديعة والوصية والفتوى .

وقال بعضهم : كان أسرعهم إلى الفتوى أقلهم علماً ، وأشدهم دفعا لها أروعهم ، وكان شغل الصحابة والتابعين في خمس : قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وذلك لما سمعوا من قوله صلى الله عليه وسلم : « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاث : أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر ، أو ذكر الله تعالى » .

قال الله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ « إحياء » بالمعنى [٧٠/١] .

(٢) جاء في هامش (أ) : (وفي بعض الأخبار : وكاد الحليم أن يكون نبياً . « رياض » [خ] روضة الأنس للمتوكلين) .

النَّاسِ^(١) ، وَتَرَكُ التَّكْبِيرَ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ إِلَّا عَلَى

(١) جاء في هامش (أ) : (قال الله عز وجل : ﴿ وَوَكَّلَ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ ، وذلك أنك إذا توكلت على من يموت كان إذا مات بقيت ضائعاً ، ولكن ينبغي أن تتوكل على الحي الذي لا يموت ؛ ليكفيك إذا حييت ، ويرحمك إذا فنيت .

وأما التهافت في الكلام والتشديق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق : فكل ذلك من آثار البطر والأشر والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله وشديد سخطه ، وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله تعالى دون العلماء به ، وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل الشُّسْتَرِي :

عالم بأمر الله لا بأيام الله ، وهم المفتون في الحلال والحرام ، وهذا العلم لا يورث الخشية .

وعالم بالله لا بأمر الله ولا بأيام الله تعالى ، وهم عموم المؤمنين .
وعالم بالله وبأيام الله وبأمر الله ، وهم الصديقون . والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم .

وأراد بـ «أيام الله» : أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي أفاضها الله تعالى على القرون السالفة واللاحقة .

فمن أحاط علمه بذلك .. عظم خوفه ، وظهر خشوعه .

ويقال : ما أتى الله عبداً علماً .. إلا آتاه معه حليماً وتواضعاً وحسن

خلق ورفقاً ، فذلك هو العلم النافع .

الظُّلْمَةِ ؛ زَجْرًا لَهُمْ عَنِ الظُّلْمِ ، وَإِثَارُ التَّوَاضُّعِ فِي
 الْمَحَافِلِ وَالْمَجَالِسِ ، وَتَرْكُ الْهَزْلِ وَالذُّعَابَةِ ، وَالرَّفْقُ
 بِالْمُتَعَلِّمِ ، وَالتَّائِي بِالْمُتَعَجِّرِ ، وَإِصْلَاحُ الْبَلِيدِ بِحُسْنِ
 الْإِرْشَادِ ، وَتَرْكُ الْحَرَدِ عَلَيْهِ ، وَتَرْكُ الْأَنْفَةِ مِنْ قَوْلِ (لَا
 أَذْرِي) ، وَصَرْفُ الْهِمَّةِ إِلَى السَّائِلِ ، وَتَفَهُمُ سُؤَالِهِ ،
 وَقَبُولُ الْحُجَّةِ ، وَالْإِنْقِيَادُ لِلْحَقِّ وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِ عِنْدَ
 الْهَفْوَةِ ، وَمَنْعُ الْمُتَعَلِّمِ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ يَضُرُّهُ ، وَزَجْرُهُ عَنْ أَنْ
 يُرِيدَ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَصَدُّ الْمُتَعَلِّمِ عَنْ
 أَنْ يَشْتَغَلَ بِفَرْضِ الْكِفَايَةِ قَبْلَ الْفَرَاغِ مِنْ فَرْضِ الْعَيْنِ ،
 وَفَرْضُ عَيْنِهِ إِصْلَاحُ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ بِالتَّقْوَى^(١) ، وَمُواخَذَتُهُ

= وفي الأثر : من آتاه الله عزوجل علماً وزهداً وتواضعاً وحسن
 خلق .. فهو إمام المتقين . « إحياء » ملخصاً [١/٧٥] .

(١) جاء في هامش (أ) : (وكان يقال : العلماء إذا علموا ..
 عملوا ، فإذا عملوا .. شغلوا ، فإذا شغلوا .. فُقدوا ، فإذا فُقدوا ..
 طُلبوا ، فإذا طُلبوا .. هربوا . « إحياء » [١/٦٩]) .

نَفْسُهُ أَوَّلًا بِالتَّقْوَى ؛ لِيَقْتَدِيَ الْمُتَعَلِّمُ أَوَّلًا بِأَعْمَالِهِ ،
وَيَسْتَفِيدَ ثَانِيًا مِنْ أَقْوَالِهِ ^(١) .

وَإِنْ كُنْتَ مُتَعَلِّمًا .. فَادَّبِ الْمُتَعَلِّمَ مَعَ الْعَالِمِ : أَنْ
يَبْدَأَهُ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ ، وَأَنْ يُقْلَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْكَلَامَ ، وَلَا
يَتَكَلَّمَ مَا لَمْ يَسْأَلْهُ أُسْتَاذُهُ ، وَلَا يَسْأَلَ مَا لَمْ يَسْتَأْذِنْ أَوَّلًا ،
وَلَا يَقُولَ - فِي مُعَارَضَةِ قَوْلِهِ - : قَالَ فَلَانٌ بِخِلَافِ مَا
قُلْتَ ، وَلَا يُشِيرُ عَلَيْهِ بِخِلَافِ رَأْيِهِ ، فَيَرَى أَنَّهُ أَعْلَمُ

(١) جاء في هامش (أ) : (فمن علم وعمل وعلم .. فهو الذي
يدعى عظيماً في ملكوت السماوات والأرض ؛ فإنه كالشمس تضيء
لغيرها وهي مضيئة ، وكالمسك الذي يطيب به وهو طيب .
والذي يعلم ولا يعمل .. كالدفتري الذي يفيد غيره وهو خال عن
العلم ، وكالمسنن الذي يشهد غيره ولا يقطع ، والإبرة التي تكسو
غيرها وهي عارية ، وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق . قال
الشاعر :

صرت كاني ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق
ومهما اشتغل بالتعليم .. فقد تقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً ،
فليحفظ آدابه ووظائفه . « إحياء » [٥٥ / ١] .

بِالصَّوَابِ مِنْ أَسْتَاذِهِ وَلَا يُسَارَّ جَلِيسَهُ فِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا يَلْتَفِتَ إِلَى الْجَوَانِبِ .. بَلْ يَجْلِسُ مُتَأَدِّبًا مُطَرِّقًا كَأَنَّهُ فِي الصَّلَاةِ ، وَلَا يُكْثِرُ عَلَيْهِ عِنْدَ مَلَالِهِ ، وَإِذَا قَامَ قَامَ لَهُ ، وَلَا يَتَّبِعُهُ بِكَلَامِهِ وَسُؤَالِهِ ، وَلَا يَسْأَلُهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ مَنْزِلَهُ ، وَلَا يُسِيءُ الظَّنَّ بِهِ فِي أَفْعَالٍ ظَاهِرُهَا مُنْكَرَةٌ عِنْدَهُ ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِأَسْرَارِهِ ، وَلِيَذْكُرَ عِنْدَ ذَلِكَ قَوْلَ مُوسَى لِلْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : ﴿ قَالَ أَخَرَقَهَا لِلنُّعْرِقِ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ ، وَكَوْنُهُ مُخْطِئًا فِي إِنْكَارِهِ اعْتِمَادًا عَلَى الظَّاهِرِ ^(١) .

(١) جاء في هامش (أ) : (فائدة من « الإحياء » ولفظها : « الوظيفة التاسعة : أن يكون قصد المتعلم في الحال : تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة ، وفي المال : القرب من الله سبحانه والترقي إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين ، ولا يَقْصِدُ به الرياسة والمال ، وممارسة السفهاء ، ومباهاة الأقران ، وإذا كان هذا مقصده .. طلب لا محالة الأقرب إلى مقصوده ؛ وهو علم الآخرة .

ومع هذا فلا ينبغي أن ينظر بعين الحقدارة إلى سائر العلوم ؛ أعني : علم الفتاوى ، وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة ، وغير ذلك . =

وَإِنْ كَانَ لَكَ وَالِدَانِ .. فَأَدْبُ الْوَلَدَ مَعَ الْوَالِدَيْنِ : أَنْ
يَسْمَعَ كَلَامَهُمَا ، وَيَقُومَ لِقِيَامِهِمَا ، وَيَمْتَثِلَ أَمْرَهُمَا ، وَلَا
يَمْشِي أَمَامَهُمَا ، وَلَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ أَصْوَاتِهِمَا ، وَيُلَبِّي
دَعْوَتَهُمَا ، وَيَخْرِصَ عَلَى طَلَبِ مَرْضَاتِهِمَا ، وَيَخْفِضَ
لَهُمَا الْجَنَاحَ ، وَلَا يَمْنُنَ عَلَيْهِمَا بِالْبِرِّ لَهُمَا وَلَا بِالْقِيَامِ
بَأْمْرِهِمَا ، وَلَا يَنْظُرَ إِلَيْهِمَا شَرْراً ، وَلَا يُقَطِّبَ وَجْهَهُ فِي

= ولا تفهم من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم ؛
فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور ، والمرابطين بها ، والغزاة
يجاهدون في سبيل الله ؛ فمنهم المقاتل ، ومنهم الرَّدءُ ، ومنهم الذي
يسقيهم الماء ، ومنهم الذي يحفظ أدواتهم ويتعهدهم ، ولا ينفك
[أحد] منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله دون حيازة الغنائم ،
فكذلك العلماء ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ . وقال عز وجل : ﴿ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ .

وبالجملة : فمن يعمل مثقال ذرة .. خيراً يره ، ومن يعمل مثال
ذرة .. شراً يره ، ومن قصد الله عز وجل بالعلم - أي : علم كان .. -
نفعه ورفعته لا محالة . « إحياء » اهـ ملخصاً [٥٣/١] .



وُجُوهَهُمَا ، وَلَا يُسَافِرُ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا ^(١) .

وَأَعْلَمَ : أَنَّ النَّاسَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ فِي حَقِّكَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :
إِمَّا أَصْدِقَاءُ ، وَإِمَّا مَعَارِفُ ، وَإِمَّا مَجَاهِيلُ .

فَإِنْ بُلِّيتَ بِالْعَوَامِّ الْمَجْهُولِينَ .. فَأَدْبُ مُجَالَسَةِ
الْعَامَّةِ : تَرْكُ الْخَوْصِ مَعَهُمْ فِي حَدِيثِهِمْ ، وَقِلَّةُ الْأَصْغَاءِ
إِلَى أَرَاجِيفِهِمْ ، وَالتَّغَافُلُ عَمَّا يَجْرِي مِنْ سُوءِ أَلْفَاطِهِمْ ،
وَالْإِحْتِرَازُ عَنْ كَثْرَةِ لِقَائِهِمْ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ ، وَالتَّنْبِيهُ لَهُمْ
عَلَى مُنْكَرَاتِهِمْ بِاللُّطْفِ وَالنُّصْحِ عِنْدَ رَجَاءِ الْقَبُولِ مِنْهُمْ .

(١) جاء في هامش (أ) : (قال رجلٌ : يا رسول الله ؛ من أحقُّ
بحسن صحابتي؟ فقال : « أمك » ، قال : ثم من؟ قال : « أمك » ،
قال : ثم من؟ قال : « أمك » ، قلت : ثم من؟ قال : « أبوك » [خ
٥٩٧١] ، ويروى : « أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك » [م ٢٥٤٨] .
وقال : « إن الله حرَّم عليكم : عقوق الأمهات ، ووَاد البنات ،
ومنعاً وهات . وكره لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة
المال » [خ ٥٩٧٥] . « مصابيح » [٣/٣٤٩٤٨] .

وَأَمَّا الْإِخْوَةُ وَالْأَصْدِقَاءُ .. فَعَلَيْكَ فِيهِمْ وَظِيفَتَانِ :

● أَحَدُهُمَا : أَنْ تَطْلُبَ أَوَّلًا شُرُوطَ الصُّحْبَةِ
وَالصَّدَاقَةِ ، فَلَا تُؤَاخِ إِلَّا مَنْ يَصْلُحُ لِلْإِخْوَةِ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمَرْءُ عَلَى
دِينِ خَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ » [ت ٢٣٧٨] .

فَإِذَا طَلَبْتَ رَفِيقًا لِيَكُونَ شَرِيكَكَ فِي التَّعَلُّمِ ،
وَصَاحِبَكَ فِي أَمْرِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ .. فَرَاعِ فِيهِ خَمْسَ خِصَالٍ :

الأُولَى - الْعَقْلُ :

فَلَا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ الْأَحْمَقِ^(١) ، فَإِلَى الْوَحْشَةِ
وَالْقَطِيعَةِ يَرْجِعُ آخِرُهَا ، وَقَدْ يَضُرُّكَ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ ،
وَالْعَدُوُّ الْعَاقِلُ خَيْرٌ مِنَ الصَّدِيقِ الْأَحْمَقِ .

(١) جاء في هامش (أ) : (وقيل : إن قلب الأحمق في فيه ،
ولسانه في قلبه) .

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَلَا تَصْحَبْ أَخَا الْجَهْلِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرَدَى حَلِيمًا حِينَ وَآخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا هُوَ مَا شَاءُ
وَلِلشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ مَقَايِيسٌ وَأَشْبَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

الثَّانِيَةُ - حُسْنُ الْخُلُقِ :

فَلَا تَصْحَبْ مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ^(١) ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَمْلِكُ
نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ .

وَقَدْ جَمَعَهُ عُلُقَمَةُ الْعُطَارِدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي وَصِيَّتِهِ لِابْنِهِ

(١) جاء في هامش (أ) : (وسئل سهل بن عبد الله رضي الله عنه عن حسن الخُلُق فقال : أدناه الاحتمال ، وترك المكافأة ، والرحمة للظالم ، والدعاء له . وهذه أخلاق المتصوفين . « آداب المريدين » [ص ٤٢]) .

لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَقَالَ : (يَا بُنَيَّ ؛ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصْحَبَ
 إِنْسَانًا .. فَأَصْحَبْ مَنْ إِذَا خَدَمْتَهُ صَانَكَ ، وَإِذَا صَحِبْتَهُ
 زَانَكَ ، وَإِنْ قَعَدْتَ بِكَ مَوْنَةً مَانَكَ .

أَصْحَبْ مَنْ إِذَا مَدَدْتَ يَدَكَ إِلَيْ خَيْرٍ مَدَّهَا ، وَإِنْ رَأَى
 مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا ، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ سَيِّئَةً سَدَّهَا .

أَصْحَبْ مَنْ إِذَا قُلْتَ صَدَقَكَ ، وَإِذَا حَاوَلْتَ أَمْرًا
 أَمَرَكَ ، وَإِنْ تَنَازَعْتُمَا فِي شَيْءٍ أَثَرَكْ)^(١) [إحياء ١٧١/٢] .

(١) جاء في هامش (أ) : (وكان أبو سعيد الثوري يقول : إذا أردت
 أن تواخي أخاً .. فأغضبه ، ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك ،
 فإن قال خيراً وكنتم سرك .. فاصحبه .

ومن أفسى السر عند الغضب .. فهو اللئيم .
 وقد قيل في ذلك :

وترى الكريم إذا تصرَّم وصله	يخفي القبيح ويظهر الإحسانا
وترى اللئيم إذا تقضى وصله	يخفي الجميل ويظهر البهتانا

« إحياء » [٢٢٣/٢] .

وَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجَزاً :

إِنَّ أَخَاكَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَّكَ شَتَّتَ فِيهِ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ^(١)

الْثَالِثَةُ - الصَّلَاحُ :

فَلَا تَصْحَبْ فَاسِقاً مُصِراً عَلَى مَعْصِيَةٍ كَبِيرَةٍ ؛ لِأَنَّ مَنْ
يَخَافُ اللَّهَ لَا يُصِرُّ عَلَى كَبِيرَةٍ ، وَمَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ لَا تُؤْمَنُ
غَائِلَتُهُ ، بَلْ يَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِ الْأَغْرَاضِ .

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَلَا
تُطْعَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ .

(١) جاء في هامش (أ) : (وقيل : كل أحد يعرف بقرنائه ، وينسب
إلى خلطائه .

روي أنه وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قوم فقال : « ألا
أخبركم بخيركم من شركم؟ خيركم مَنْ يرجى خيره ويؤمن شره ،
وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره » [ت ٢٢٦٣] .

فَأَخَذَ صُحْبَةَ الْفَاسِقِ ، فَإِنَّ مُشَاهَدَةَ الْفَاسِقِ
وَالْمَعْصِيَةِ عَلَى الدَّوَامِ تُزِيلُ عَنْ قَلْبِكَ وَقَعَ الْمَعْصِيَةِ ،
وَتُهَوِّنُ عَلَيْكَ أَمْرَهَا .. وَلِذَلِكَ هَانَ عَلَى الْقُلُوبِ مَعْصِيَةُ
الْغِيَةِ لِإِنْفِهِمْ لَهَا ، وَلَوْ رَأَوْا خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ أَوْ مَلْبُوسًا مِنْ
حَرِيرٍ عَلَى فِقِيهِ .. لَأَشْتَدَّ انْكَارُهُمْ عَلَيْهِ ، وَالْغِيَةُ أَشَدُّ مِنْ
ذَلِكَ .

الرَّابِعَةُ - الْحَرِصُ :

فَلَا تَصَحَبْ حَرِيصًا عَلَى الدُّنْيَا ؛ فَصُحْبَةُ الْحَرِيصِ
عَلَى الدُّنْيَا .. سُمْ قَاتِلٌ ؛ لِأَنَّ الطَّبَاعَ مَجْبُولَةٌ عَلَى التَّشَبُّهِ
وَالْإِقْتِدَاءِ ، بَلِ الطَّبَعُ يَسْرِقُ مِنَ الطَّبَعِ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي .
فَمُجَالَسَةُ الْحَرِيصِ .. تَزِيدُ فِي حِرْصِكَ ، وَمُجَالَسَةُ
الزَّاهِدِ فِي الدُّنْيَا .. تَزِيدُ فِي زُهْدِكَ^(١) .

(١) جاء في هامش (أ) : (الزهد : هو ترك الحلال من الدنيا ، =

الْخَامِسَةُ - الصَّدَقُ :

فَلَا تَصْحَبْ كَذَابًا ؛ فَإِنَّكَ مِنْهُ عَلَى غُرُورٍ ، وَهُوَ مِثْلُ
السَّرَابِ يُقَرِّبُ مِنْكَ الْبَعِيدَ وَيُبْعِدُ مِنْكَ الْقَرِيبَ .

وَلَعَلَّكَ تَعْدَمُ اجْتِمَاعَ هَذِهِ الْخِصَالِ فِي سُكَّانِ
الْمَدَارِسِ وَالْمَجَالِسِ وَالْمَسَاجِدِ .

فَعَلَيْكَ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ :

إِمَّا : الْعُزْلَةَ وَالْإِنْفِرَادِ ؛ فَفِيهَا سَلَامَتُكَ .

وَأَمَّا : أَنْ تَكُونَ مُخَالَطَتِكَ مَعَ شُرَكَائِكَ بِقَدْرِ صَالِحِ
خِصَالِهِمْ ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْإِخْوَةَ ثَلَاثَةٌ :

- أَخٌ لِأَخِرَتِكَ ؛ فَلَا تُرَاعِ فِيهِ إِلَّا الدِّينَ .

- وَأَخٌ لِدُنْيَاكَ ؛ فَلَا تُرَاعِ فِيهِ إِلَّا الْخُلُقَ الْحَسَنَ .

= والعزوف عنها ، وعن شهواتها . « آداب » [ص ٤٣] .

- وَأَخْ لِسْتَأْنِسَ بِهِ ؛ فَلَا تُرَاعِ فِيهِ إِلَّا السَّلَامَةَ مِنْ حُبِّهِ
وَشَرِّهِ .

وَالنَّاسُ ثَلَاثَةٌ :

- أَحَدُهُمْ : مَثَلُهُ مَثَلُ الْغِذَاءِ لَا يُسْتَعْنَى عَنْهُ .

- وَالْآخَرُ : مَثَلُهُ مَثَلُ الدَّوَاءِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي وَقْتِ دُونَ
وَقْتٍ .

- وَالثَّالِثُ : مَثَلُهُ مَثَلُ الدَّاءِ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ قَطُّ^(١) ،
وَلَكِنَّ الْعَبْدَ قَدْ يُبْتَلَى بِهِ ، وَهُوَ الَّذِي لَا أُنْسَ فِيهِ وَلَا نَفْعَ
مَعَهُ ، فَتَجِبُ مُدَارَاتُهُ إِلَى الْخَلَاصِ مِنْهُ .

وَفِي مُشَاهَدَتِهِ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ إِنَّ وَفَّقْتَ لَهَا ؛ وَهُوَ أَنْ

(١) جاء في هامش (أ) : (وقد قيل : مصاحبة الأشرار خطر ، ومن
صاحبهم .. فقد بالغ في الغرر ، وإنما مثله كمثل راكب البحر ؛ إن
سلم بيده من التلف .. لم يسلم بقلبه من الحذر . « آداب المريدين »
[ص ٨٣]) .

تُشَاهِدَ مِنْ خَبَائِثِهِ وَأَحْوَالِهِ مَا تَسْتَفْبِحُهُ فَتَجْتَنِبُهُ ، فَالْسَّعِيدُ
مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مِنْ مِرَاةِ الْمُؤْمِنِ .

وَقِيلَ لِعِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : مَنْ
أَدَّبَكَ؟ فَقَالَ : (مَا أَدَّبَنِي أَحَدٌ ، وَلَكِنْ رَأَيْتُ جَهْلَ
الْجَاهِلِ فَتَجَنَّبْتُهُ) [فيض ١/ ٦٥] .

وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .
فَلَوْ اجْتَنَبَ النَّاسُ مَا يَكْرَهُونَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ .. لَكَمَلْتُ
آدَابُهُمْ وَأَسْتَغْنَوْا عَنِ الْمُؤَدِّبِ .

● الْوُظَيْفَةُ الثَّانِيَةُ : مُرَاعَاةُ حُقُوقِ الصُّحْبَةِ ؛ فَمَهْمَا
أَنْعَقَدَتِ الشَّرَكَةُ ، وَأَنْتَظَمْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَرِيكَكَ
الصُّحْبَةَ .. فَعَلَيْكَ حُقُوقُ يُوجِبُهَا عَقْدُ الصُّحْبَةِ ، وَفِي
الْقِيَامِ بِهَا آدَابٌ .

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلُ
الْأَخَوَيْنِ مَثَلُ الْيَدَيْنِ .. تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى » .

وَدَخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْمَةً^(١) ، فَاجْتَنَى مِنْهَا
سَوَاكِينِ ، أَحَدَهُمَا مُعَوِّجٌ ، وَالْآخَرُ مُسْتَقِيمٌ ، وَكَانَ مَعَهُ
بَعْضُ أَصْحَابِهِ ، فَأَعْطَاهُ الْمُسْتَقِيمَ وَأَمْسَكَ لِنَفْسِهِ الْمُعَوِّجَ ،
فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَنْتَ كُنْتَ أَحَقَّ بِالْمُسْتَقِيمِ مِنِّي ،
فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ
صَاحِبًا وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ .. إِلَّا وَسَّيَلَ عَنْ صُحْبَتِهِ ، هَلْ
أَقَامَ فِيهَا حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى ، أَمْ أَضَاعَهُ ؟ ! » [طبري ٥٣/٥] .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَصْطَحَبَ اثْنَانِ قَطُّ
إِلَّا وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَرْفَقَهُمَا بِصَاحِبِهِ » [طس
٢٨٩٩ بنحوه] .

فَادَابُ الصُّحْبَةِ : الْإِيثَارُ بِالْمَالِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا ..
فَيَنْزِلُ الْفَضْلُ مِنَ الْمَالِ عِنْدَ الْحَاجَةِ . وَالْإِعَانَةُ بِالنَّفْسِ فِي

(١) الأجمة : الشجر الكثيف الملتف .

الْحَاجَاتِ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَادَرَةِ مِنْ غَيْرِ إِخْوَاجٍ إِلَى
 الْإِلْتِمَاسِ ، وَكِتْمَانِ السِّرِّ ، وَسَتْرِ الْعُيُوبِ ، وَالسُّكُوتِ
 عَنْ تَبْلِيغِ مَا يَسُوؤُهُ مِنْ مَذَمَّةِ النَّاسِ إِيَّاهُ ، وَإِبْلَاحِ مَا يَسْرُهُ
 مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ ، وَحُسْنِ الْإِصْغَاءِ عِنْدَ الْحَدِيثِ ،
 وَتَرْكِ الْمُمَارَاةِ لَهُ ، وَأَنْ يَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ ^(١) ،

(١) جاء في هامش (أ) : (ويستحب إجابة من ناداك بـ « لبيك
 وسعديك » ، أو « لبيك » وحدها . ويستحب أن يقول لمن ورد عليه :
 « مرحبا » ، وأن يقول لمن أحسن إليه أو رأى منه فعلاً جميلاً :
 « حفظك الله » أو : « جزاك الله خيراً » ، وما أشبهه . « أذكار »
 [ص ٣٥٢] .

ويجوز للإنسان ذكر من يتبعه من ولد أو غلام أو متعلم أو نحوهم
 باسم قبيح ليزجره ويؤدبه عن القبيح ويروض نفسه ؛ كقوله صلى الله
 عليه وسلم لعبد الله بن بُسر - بضم الباء الموحدة وإسكان المهملة - لما
 أكل من قطف العنب قبل أن يُبَلِّغَهُ إياه فأخذ بإذنه وقال : « يا غُدر »
 [سني ٤٠١] .

قال في « الأذكار » [ص ٤٥٣] : ومن الألفاظ المذمومة المستعملة
 في العادة قوله لمن يخاصمه : « يا حمار ، يا كلب ، يا تيس » ونحو
 ذلك . . فهذا قبيح لوجهين ؛ أحدهما : أنه كذب ، والآخر : أنه =

وَأَنْ يُثْنِيَ عَلَيْهِ بِمَا يَعْرِفُ مِنْ مَحَاسِنِهِ ، وَأَنْ يَشْكُرَهُ عَلَى صَنِيعِهِ فِي حَقِّهِ ، وَأَنْ يَذُبَّ عَنْهُ فِي غَيْبَتِهِ إِذَا تَعَرَّضَ لِعَرْضِهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَنْ يَنْصَحَهُ بِاللُّطْفِ وَالتَّعْرِيضِ إِذَا أَحْتَاجَ إِلَيْهِ ، وَأَنْ يَعْفُوَ عَنْ زَلَّتِهِ وَهَفْوَتِهِ وَلَا يَعْتَبَ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَدْعُوَ لَهُ فِي صَلَاتِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ ، وَأَنْ يُحْسِنَ الْوَفَاءَ مَعَ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَأَنْ يُؤَثِّرَ التَّخْفِيفَ عَنْهُ فَلَا يُكَلِّفُهُ شَيْئاً مِنْ حَاجَاتِهِ ، فَيُرَوِّحَ سِرَّهُ عَنْ مُهِمَّاتِهِ ، وَأَنْ يُظْهِرَ الْفَرَحَ بِجَمِيعِ مَا يَنَالُهُ لَهُ مِنْ مَسَرَّاتِهِ ، وَالْحُزْنَ بِمَا يَنَالُهُ مِنْ مَكَارِهِهِ ، وَأَنْ يُضْمِرَ لَهُ مِثْلَ مَا يُظْهِرُ ؛ فَيَكُونَ صَادِقاً فِي حُبِّهِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً ، وَأَنْ يَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ عِنْدَ إِقْبَالِهِ ، وَأَنْ يُوسِّعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ ، وَأَنْ يَخْرُجَ لَهُ عَنْ

= بَدَأَ ، وهو بخلاف قوله : « يا ظالم » ونحوه ؛ فإن ذلك يتسامح به لضرورة المخاصمة ، مع أنه يصدق غالباً ، فقلَّ إنسانٌ إلا وهو ظالم لنفسه) .

مَكَانِهِ ، وَأَنْ يُشَيِّعَهُ عِنْدَ قِيَامِهِ ، وَأَنْ يَضُمْتَ عِنْدَ كَلَامِهِ
حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خِطَابِهِ ، وَأَنْ يَتْرَكَ الْمُدَاخَلَةَ فِي كَلَامِهِ .

وَعَلَى الْجُمْلَةِ : فَيَعَامِلُهُ بِمَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ .
فَمَنْ لَا يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .. فَأُخُوَّتُهُ نِفَاقٌ ،
وَهُوَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَبَالٌ .

فَهَذَا أَدَبُكَ فِي حَقِّ الْعَوَامِّ الْمَجْهُولِينَ ، وَفِي حَقِّ
الْأَصْدِقَاءِ الْمُؤَاخِينَ .

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّالِثُ - وَهُمْ الْمَعَارِفُ - .. فَأَخَذَ مِنْهُمْ ،
فَإِنَّكَ لَا تَرَى الشَّرَّ إِلَّا مِمَّنْ تَعْرِفُهُ .

أَمَّا الصَّدِيقُ .. فَيَعِينُكَ ، وَأَمَّا الْمَجْهُولُ .. فَلَا
يَتَعَرَّضُ لَكَ ، وَإِنَّمَا الشَّرُّ كُلُّهُ مِنَ الْمَعَارِفِ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ
الصَّدَاقَةَ بِالسِّتَةِ .

فَاقْلِلْ مِنَ الْمَعَارِفِ مَا قَدَرْتَ .

فَإِذَا بَلَّيْتَ بِهِمْ فِي مَدْرَسَةٍ أَوْ جَامِعٍ أَوْ مَسْجِدٍ أَوْ سُوقٍ

أَوْ بَلَدٍ .. فَيَجِبُ أَنْ لَا تَسْتَصْغِرَ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَإِنَّكَ لَا
تَذَرِي لَعَلَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ ، وَلَا تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ التَّعْظِيمِ لَهُمْ
فِي حَالِ دُنْيَاهُمْ فَتَهْلِكَ ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ عِنْدَ اللَّهِ صَغِيرٌ
مَا فِيهَا ، وَمَهْمَا عَظُمَ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي قَلْبِكَ .. فَقَدْ سَقَطَتْ
مِنْ عَيْنِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَإِيَّاكَ أَنْ تَبْذُلَ لَهُمْ دِينَكَ لِتَنَالَ دُنْيَاهُمْ ، فَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ
أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا صَغُرَ فِي أَعْيُنِهِمْ ، ثُمَّ حُرِمَ مَا عِنْدَهُمْ .

وَإِنْ عَادَوْكَ .. فَلَا تُقَابِلْهُمْ بِالْعَدَاوَةِ ، فَإِنَّكَ لَا تُطِيقُ
الصَّبْرَ عَلَى مُكَافَأَتِهِمْ ، فَيَذْهَبَ دِينُكَ فِيهِمْ ، وَيَطُولَ
عَنَاؤُكَ مَعَهُمْ .

وَلَا تَسْكُنْ إِلَيْهِمْ فِي حَالِ إِكْرَامِهِمْ إِيَّاكَ وَثَنَائِهِمْ عَلَيْكَ
فِي وَجْهِكَ ، وَإِظْهَارِهِمُ الْمَوَدَّةَ لَكَ ، فَإِنَّكَ لَوْ طَلَبْتَ
حَقِيقَةَ ذَلِكَ لَمْ تَجِدْ فِي الْمِثَّةِ إِلَّا وَاحِدًا ، وَلَا تَطْمَعُ أَنْ
يَكُونُوا لَكَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ وَاحِدًا ، وَلَا تَتَعَجَّبَ إِنْ ثَلَبُوكَ

فِي الْغَيْبَةِ ، وَلَا تَغْضَبْ مِنْهُمْ ؛ فَإِنَّكَ لَوْ أَنْصَفْتَ وَجَدْتَ
 مِنْ نَفْسِكَ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى فِي أَصْدِقَائِكَ وَأَقَارِبِكَ ؛ بَلْ فِي
 أَسْتَاذِكَ وَوَالِدَيْكَ ، فَإِنَّكَ تَذْكُرُهُمْ فِي الْغَيْبَةِ بِمَا لَا
 تُشَافَهُهُمْ بِهِ ، فَأَقْطَعْ طَمَعَكَ عَنْ مَالِهِمْ وَجَاهِهِمْ
 وَمَعُونَتِهِمْ ، فَإِنَّ الطَّامِعَ فِي الْأَكْثَرِ خَائِبٌ فِي أَلْمَالِ ، وَهُوَ
 ذَلِيلٌ لَا مَحَالَةَ فِي الْحَالِ .

وَإِذَا سَأَلْتَ وَاحِدًا حَاجَةً فَقَضَاهَا .. فَأَشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى
 وَأَشْكُرْهُ ، وَإِنْ قَصَرَ .. فَلَا تُعَاتِبْهُ ، وَلَا تَشْكِهِ فَتَصِيرَ
 عَدَاوَةً .

وَكُنْ كَالْمُؤْمِنِ يَطْلُبُ الْمَعَادِيرَ ، وَلَا تَكُنْ كَالْمُنَافِقِ
 يَطْلُبُ الْعُيُوبَ .

فَقُلْ لَعَلَّهُ قَصَرَ لِعُذْرٍ لَهُ لَمْ أَطْلِعْ عَلَيْهِ .

وَلَا تَعِظَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ مَا لَمْ تَتَوَسَّمْ فِيهِ أَوَّلًا مَخَايِلَ
 الْقَبُولِ ، وَإِلَّا .. لَمْ يُسْمَعْ مِنْكَ ، وَصَارَ خَصْمًا عَلَيْكَ .

وَإِذَا أَخْطَأُوا فِي مَسْأَلَةٍ ، وَكَانُوا يَأْنِفُونَ عَنِ التَّعْلِيمِ مِنْ
كُلِّ أَحَدٍ .. فَلَا تَعْلَمُهُمْ ، فَإِنَّهُمْ يَسْتَفِيدُونَ مِنْكَ عِلْمًا ،
وَيُضْبِحُونَ لَكَ أَعْدَاءً ، إِلَّا إِذَا تَعَلَّقَ ذَلِكَ بِمَعْصِيَةٍ
يُقَارِفُونَهَا عَنْ جَهْلِ ، فَأَذْكَرِ الْحَقَّ بِلُطْفٍ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ .
وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ كَرَامَةً وَخَيْرًا .. فَأَشْكُرِ اللَّهَ الَّذِي
حَبَّبَكَ إِلَيْهِمْ .

وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ شَرًّا .. فَكِلْهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
وَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِمْ ، وَلَا تُعَاتِبْهُمْ ، وَلَا تَقُلْ لَهُمْ :
(لِمَ لَمْ تَعْرِفُوا حَقِّي) وَ(أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ) ، وَ(أَنَا
الْفَاضِلُ فِي الْعُلُومِ) ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ كَلَامُ الْحَمَقَى ، وَأَشَدُّ
النَّاسِ حِمَاقَةً مَنْ يُزَكِّي نَفْسَهُ وَيُثْنِي عَلَيْهَا .

وَأَعْلَمْ : أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُسَلِّطْهُمْ عَلَيْكَ إِلَّا لِذَنْبٍ
سَبَقَ مِنْكَ ، فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ مِنْ ذَنْبِكَ ، وَأَعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ عُقُوبَةٌ
مِنَ اللَّهِ لَكَ .

وَكُنْ فِيمَا بَيْنَهُمْ سَمِيعًا لِحَقِّهِمْ ، أَصَمَّ عَنْ بَاطِلِهِمْ ،
نَطَوِقًا بِمَحَاسِنِهِمْ ، صَمُوتًا عَنْ مَسَاوِيهِمْ .

وَأَحْذَرْ مُخَالَطَةَ مُتَفَقِّهَةِ الزَّمَانِ ، لَا سِيَّمَا الْمُشْتَغِلِينَ
بِالْخِلَافِ وَالْجِدَالِ مِنْهُمْ ، فَإِنَّهُمْ يَتَرَبَّصُونَ بِكَ لِحَسَدِهِمْ
رَيْبَ الْمُنُونِ ، وَيَقْطَعُونَ عَلَيْكَ بِالظُّنُونِ ، وَيَتَغَامَزُونَ
عَلَيْكَ بِالْعُيُونِ ، وَيُحْصُونَ عَلَيْكَ عَثَرَاتِكَ فِي حَالِ
عِشْرَتِهِمْ ، حَتَّى يَجْهُوكَ بِهَا فِي غَضَبِهِمْ وَمُنَاطَرَتِهِمْ ، لَا
يَقِيلُونَ لَكَ عَثْرَةً ، وَلَا يَغْفِرُونَ لَكَ زَلَّةً ، وَلَا يَسْتُرُونَ لَكَ
عَوْرَةً .

يُحَاسِبُونَ عَلَى النَّقِيرِ وَالْقَطْمِيرِ ، وَيَحْسُدُونَ عَلَى
الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ ، وَيُحَرِّضُونَ عَلَيْكَ الْأِخْوَانَ بِالنَّمِيمَةِ
وَالْبَلَاغَاتِ وَالْبُهْتَانِ .

إِنْ رَضُوا .. فَظَاهَرُهُمُ الْمَلِكُ ، وَإِنْ سَخَطُوا ..
فَبَاطِنُهُمُ الْحَقُّ .

ظَاهِرُهُمْ ثِيَابٌ ، وَبَاطِنُهُمْ ذَنَابٌ .

هَذَا مَا قَطَعْتَ بِهِ الْمُشَاهَدَةَ مِنْ أَكْثَرِهِمْ إِلَّا مَنْ
عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَصُحِبَتْهُمْ خُسْرَانٌ ، وَمُعَاشَرَتُهُمْ خِذْلَانٌ .

هَذَا حُكْمٌ مَنْ يُظْهِرُ لَكَ الصَّدَاقَةَ .. فَكَيْفَ مَنْ
يُجَاهِرُكَ بِالْعَدَاوَةِ؟

وَكُنْ كَمَا قِيلَ [في « بتيمة الدهر » ١٢٧/٣ من مجزوء الكامل] :

أَحْذَرُ عَدُوَّكَ مَرَّةً وَأَحْذَرُ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّةٍ
فَلَرُبَّمَا أُنْقَلَبَ الصَّدِيدُ قُفْ فَكَانَ أَعْرَفَ بِالْمَضَرَّةِ

كَذَلِكَ قِيلَ [في « المثل السائر » ٣١٥/١ من الوافر] :

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصَّحَابِ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ

وَكُنْ كَمَا قَالَ هِلَالُ بْنُ أَلْعَلَاءِ الرَّقِّيَّ [من البسيط] :

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ

إِنِّي أَحْيِي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيِيهِ لَأَذْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ
 وَأُظْهِرُ الْبَشَرَ لِلْإِنْسَانِ أُبْغِضُهُ كَأَنَّهُ قَدْ مَلَأَ قَلْبِي مَسَرَّاتِ
 وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْأُمُودَاتِ
 النَّاسُ دَاءٌ ، دَوَاءُ النَّاسِ تَرْكُهُمْ وَفِي الْجَفَاءِ لَهُمْ قَطْعُ الْأُخُوتِ
 فَسَالِمِ النَّاسِ تَسْلَمُ مِنْ غَوَائِلِهِمْ وَكُنْ حَرِيصاً عَلَى كَسْبِ الْمُرُواتِ
 فَخَالِقِ النَّاسَ وَأَصْبِرْ مَا بَقِيَتْ لَهُمْ أَصَمَّ أَبْكُمْ أَعْمَى ذَا تَقِيَّاتِ

وَكُنْ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : (اِلْقَ صَدِيقَكَ وَعَدُوَّكَ
 بِوَجْهِهِ وَاحِدٍ وَهُوَ الرِّضَا ، مِنْ غَيْرِ مَذَلَّةٍ لَهُمْ وَلَا هَيْبَةٍ
 مِنْهُمْ ، وَتَوَقَّرْ مِنْ غَيْرِ كِبَرٍ ، وَتَوَاضَعَ مِنْ غَيْرِ مَذَلَّةٍ ، وَكُنْ
 فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فِي أَوْسَطِهَا ، فَكَلَّا طَرَفِي قَصْدِ الْأُمُورِ
 ذَمِيمٌ ^(١) ، وَلَا تَنْظُرْ فِي عِطْفَيْكَ ، وَلَا تُكْثِرِ الْإِلْتِفَاتَ ، وَلَا

(١) كما قيل :

عليك بأوساط الأمور فإنها طريق إلى نهج الصراط قويم
 ولا تك فيها مفرطاً أو مفرطاً فإن كلا حال الأمور ذميم

تَقِفْ عَلَى الْجَمَاعَاتِ ، وَإِذَا جَلَسْتَ .. فَلَا تَسْتَوْفِرْ ،
وَتَحَفِّظْ مَنْ تَشِيكَ أَصَابِعُكَ ، وَالْعَبَثِ بِلَحِيَّتِكَ
وَوَخَاتِمِكَ ، وَتَخْلِيلِ أَسْنَانِكَ ، وَإِدْخَالِ إِصْبِعِكَ فِي
أَنْفِكَ ، وَكَثْرَةِ بُصَاقِكَ وَتَنَخُّمِكَ ، وَطَرْدِ الذُّبَابِ عَنْ
وَجْهِكَ ، وَكَثْرَةِ التَّمْطِي وَالتَّثَاؤُبِ فِي وُجُوهِ النَّاسِ ، وَفِي
الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا .

وَلْيَكُنْ مَجْلِسُكَ هَادِئًا ، وَحَدِيثُكَ مَنْظُومًا مُرْتَبًّا .

وَأَصْغِ إِلَى الْكَلَامِ الْحَسَنِ مِمَّنْ حَدَّثَكَ مِنْ غَيْرِ إِظْهَارِ
تَعْجُبٍ مُفْرِطٍ ، وَلَا تَسْأَلْهُ إِعَادَتَهُ ، وَأَسْكُتْ عَنْ
الْمُضَاحِكِ وَالْحِكَايَاتِ ، وَلَا تُحَدِّثْ عَنْ إِعْجَابِكَ بِوَلَدِكَ
وَشِعْرِكَ وَكَلَامِكَ وَتَصْنِيفِكَ وَسَائِرِ مَا يَخُصُّكَ .

وَلَا تَتَصَنَّعْ تَصْنَعُ الْمَرْأَةِ فِي التَّرَازِينِ ، وَلَا تَتَبَدَّلَ تَبَدُّلَ
الْعَبْدِ ، وَتَتَوَقَّ كَثْرَةَ الْكُحْلِ وَالْإِسْرَافَ فِي الدُّهْنِ .

وَلَا تُلِحَّ فِي الْحَاجَاتِ ، وَلَا تُشْجِعْ أَحَدًا عَلَى الظُّلْمِ ،

وَلَا تُعْلِمِ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ - فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمْ - مِقْدَارَ مَالِكَ ،
فَإِنَّهُمْ إِنْ رَأَوْهُ قَلِيلاً .. هُنْتَ عَلَيْهِمْ ، وَإِنْ كَانَ كَثِيراً .. لَمْ
تَبْلُغْ قَطُّ رِضَاهُمْ ، وَأَجْفُهُمْ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ ، وَلِنْ لَهُمْ مِنْ
غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَلَا تُهَازِلْ أَمَتَكَ وَلَا عَبْدَكَ فَيَسْقُطَ وَقَارُكَ .

وَإِذَا خَاصَمْتَ .. فَتَوَقَّ وَتَحَفَّظْ مِنْ جَهْلِكَ
وَعَجَلَتِكَ ، وَتَفَكَّرْ فِي حُجَّتِكَ ، وَلَا تُكْثِرِ الْإِشَارَةَ بِيَدِكَ ،
وَلَا تُكْثِرِ الْإِلْتِفَاتَ إِلَى مَنْ وَرَاءَكَ ، وَلَا تَجْثُ عَلَى
رُكْبَتَيْكَ .

فَإِذَا هَدَأَ غَضَبُكَ .. فَتَكَلَّمْ . وَإِذَا قَرَّبَكَ السُّلْطَانُ ..
فَكُنْ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ حَدِّ السَّنَانِ^(١) .

(١) جاء في هامش (أ) : (وقال أبو ذر لسلمة : يا سلمة ؛ لا تغش
أبواب السلاطين ؛ فإنك لا تصيب [شيئاً] من دنياهم .. إلا أصابوا من
دينك أفضل منه .

وهذه فتنة عظيمة للعلماء ، وذريعة صعبة للشيطان عليهم ،
لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو ؛ فلا يزال الشيطان يلقي إليه : =

.....

= أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يردهم عن الظلم ، وقيم شعائر الشرع . إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين ، ثم إذا دخل .. لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويداهن ، ويخوض في الثناء والإطراء ، وفيه هلاك الدين .

ولم يزل السلف - مثل الحسن ، والثوري ، وابن المبارك ، والفضيل ، وإبراهيم بن أدهم ، ويوسف بن أسباط - يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما لميلهم إلى الدنيا ، وإما لمخالطتهم السلاطين . « إحياء » المؤلف [٦٩/١] .

وأما مجانبة السُّلطان : فلأن مخالطته تدعو إلى موافقته في ظلمه ، وتصديقه على كذبه .

ثم يحشر صاحب هذه الصِّفة معهم ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ اخْشَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ قيل : معناه : وأعاونهم [وأشياهم] .

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيكونُ بعدي أمراء ، فمن دخل عليهم فصدَّقهم بكذبهم ، وأعانهم على ظلمهم .. فليس مني ولا أنا منه ، ولا يَرِدُ الحوض » [حب ٢٨٤] .

وفي بعض الأخبار : شرار العلماء .. أقربهم إلى الأمراء ، وخيار الأمراء .. أقربهم إلى العلماء . اهـ

وأما مخالفة الظُّلم والظَّلمة : فلقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَمْسَكُوا النَّارَ ﴾ فإن كان الرُّكون إلى الظَّالِمين مورثاً للنَّار ..

وَإِيَّاكَ وَصَدِيقَ الْعَافِيَةِ ؛ فَإِنَّهُ أَعْدَى الْأَعْدَاءِ ، وَلَا
تَجْعَلْ مَالَكَ أَكْرَمَ مِنْ عِرْضِكَ ([إحياء ١٩٢/٢] .

※ ※ ※

فَهَذَا الْقَدَرُ يَا فَتَى يَكْفِيكَ فِي بَدَايَةِ الْهِدَايَةِ ، فَجَرَّبَ
بِهَا نَفْسَكَ فَإِنَّهَا ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :

قِسْمٌ فِي أَدَاءِ الطَّاعَاتِ ، وَقِسْمٌ فِي تَرْكِ الْمَعَاصِي ،
وَقِسْمٌ فِي مُخَالَطَةِ الْخَلْقِ .

وَهِيَ جَامِعَةٌ لِجُمْلِ مُعَامَلَةِ الْعَبْدِ مَعَ الْخَالِقِ وَالْخَلْقِ .

= فأولى أن تكون مخالفتهم مورثة لدار القرار .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ ؛ فَإِنْ
الظُّلْمُ ظَلَمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » [حم ١٠٥/٢] .

وقال سلمان لرجلٍ من أصحابه : أتدري ما ظلمة يوم القيامة؟
قال : لا . قال : ظلمة يوم القيامة من ظلم الخلق . منه [خ] روضة
الأنس للمخلصين] .

فَإِنْ رَأَيْتَهَا مُنَاسِبَةً لِنَفْسِكَ ، وَرَأَيْتَ قَلْبَكَ مَائِلًا إِلَيْهَا ،
رَاجِبًا فِي الْعَمَلِ بِهَا .. فَأَعْلَمْ أَنَّكَ عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ
قَلْبَكَ ، وَشَرَحَ لَهُ صَدْرَكَ .

وَتَحَقَّقْ أَنَّ لِهَذِهِ الْبِدَايَةِ نِهَايَةً ، وَوَرَاءَهَا أَسْرَارٌ وَأَغْوَارٌ
وَعُلُومٌ وَمُكَاشَفَاتٌ ، وَقَدْ أَوْدَعْنَاهَا كِتَابَ « إِحْيَاءِ عُلُومِ
الدِّينِ » ، فَاشْتَغِلْ بِتَخْصِيلِهِ .

وَإِنْ رَأَيْتَ نَفْسَكَ تَسْتَقِلُّ الْعَمَلَ بِهَذِهِ الْوُظَائِفِ ،
وَتَسْتَكْثِرُ هَذَا الْفَنَّ مِنَ الْعِلْمِ ، وَتَقُولُ لَكَ أَنِّي يَنْفَعُكَ هَذَا
الْعِلْمُ فِي مَحَافِلِ الْعُلَمَاءِ ، وَمَتَى يُقَدِّمُكَ هَذَا عَلَى الْأَقْرَانِ
وَالنُّظَرَاءِ ، وَكَيْفَ يَرْفَعُ مَنْصِبَكَ فِي مَجَالِسِ الْأُمَرَاءِ
وَالْوُزَرَاءِ ، وَكَيْفَ لَهُ أَنْ يُوصِلَكَ إِلَى الصَّلَةِ وَالْأَرْزَاقِ
وَوِلَايَةِ الْأَوْقَافِ وَالْقَضَاءِ؟ .. فَأَعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَغْوَاكَ
وَأَنْسَاكَ مُنْقَلَبَكَ وَمَثْوَاكَ .

فَاطْلُبْ شَيْطَاناً مِثْلَكَ لِيُعَلِّمَكَ مَا تَظُنُّ أَنَّهُ يُوصِلُكَ إِلَى
بُغْيَتِكَ .

ثُمَّ أَعْلَمَ : أَنَّهُ قَطُّ لَا يَصْفُو لَكَ الْمُلْكُ فِي مَحَلَّتِكَ ،
فَضْلاً عَنْ قَرْنَيْتِكَ أَوْ بَلَدِكَ ، ثُمَّ يَفُوتُكَ بِهِ الْمُلْكُ الْمُقِيمُ
وَالنَّعِيمُ الدَّائِمُ فِي جِوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

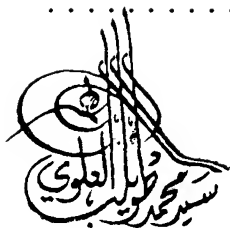
وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً
كَثِيراً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ^(١) .

(١) جاء في خاتمة النسخة (أ) : (ووافق الفراغ من نسخه يوم
الجمعة السادس عشر من ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمس مئة .
والحمد لله على إحسانه .

كتبه العبد الفقير إلى رحمة الله عبد العزيز بن هبة الله بن عساكر
القيسراني حامداً لله ومصلياً على نبيه محمد وآله ومسلماً) .

وجاء في خاتمة النسخة (ب) : (تم « بداية الهداية » بعون الله
وحسن توفيقه ، والحمد لله رب العالمين) .

وجاء في خاتمة المجموع للنسخة (ب) : (قد وقع الفراغ في =



= استنساخ هذا الكتاب الشريف في يوم الأحد من شهر جمادى الأول ،
في زمان سليم كراي خان بن بهادر كراي خان ، خلد الله دولته ، سنة
سبع وثمانين وألف من الهجرة النبوية للنبي محمد صلى الله عليه وآله
وسلم) .

وجاء في خاتمة النسخة (د) : (تم كتاب « بداية الهداية »
بحمد الله ولطفه وحسن توفيقه ، بتاريخ يوم الأحد الرابع عشر في
رمضان سنة ثلاث وتسع مئة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل
الصلاة والسلام .

بخط الفقير إلى كرم الله اللطيف الخبير ، المعترف بالذنب
والتقصير : عبد الله بن أبي بكر لطف الله به وغفر له ولوالديه
وللناظر في الكتاب وصاحبه وقارئه ومستمعه والداعي للجميع بخير بمنه
وكرمه ؛ إنه هو الغفور الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم .

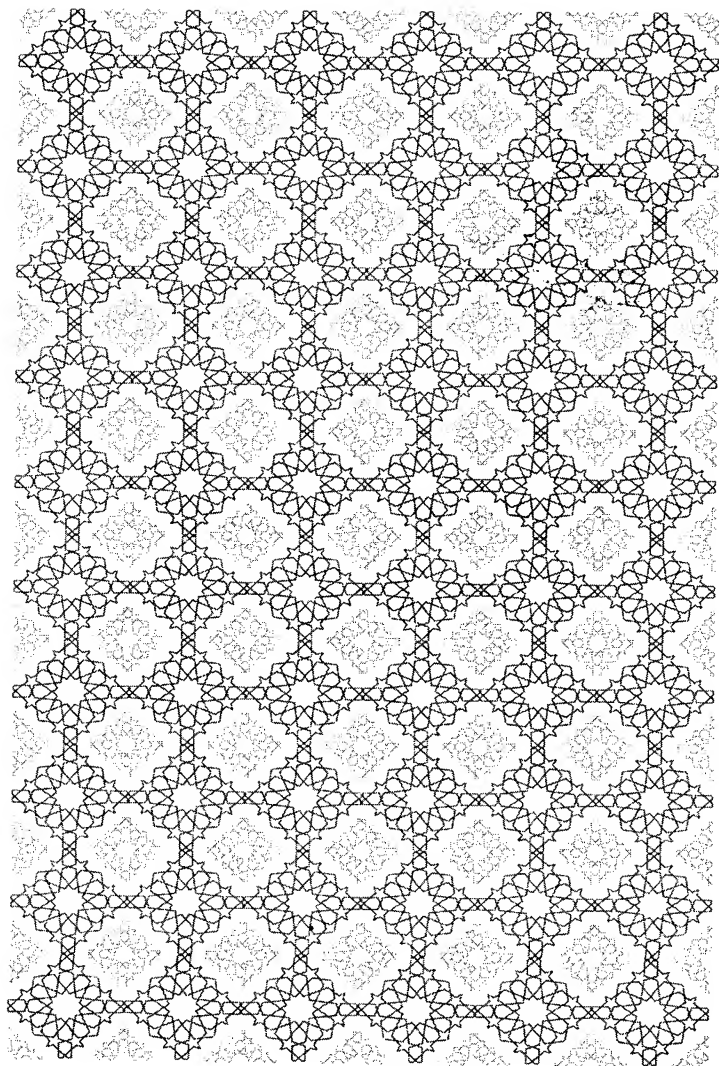
بلغ مقابلة يوم الإثنين حادي عشر رجب الأصب في الرابع بعد
تسع مئة من هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم) .





عَقِيدَةُ الْأَمَلِ الْغَزَالِيِّ

وَهِيَ تَرْجَمَةُ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي كَامَتِي الشَّهَادَةِ
الَّتِي هِيَ إِحْدَى مَبَايِنِ الْإِسْلَامِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُبْدِيِّ الْمُعِيدِ ، أَلْفَعَالِ لِمَا يُرِيدُ ، ذِي
الْعَرْشِ الْمَجِيدِ ، وَالْبَطْشِ الشَّدِيدِ ، أَلْهَادِي صَفْوَةَ
الْعَبِيدِ ، إِلَى الْمَنْهَجِ الرَّشِيدِ ، وَالْمَسْلَكِ السَّيِّدِ ، أَلْمُنْعِمِ
عَلَيْهِمْ بَعْدَ شَهَادَةِ التَّوْحِيدِ بِحِرَاسَةِ عَقَائِدِهِمْ عَنْ ظُلُمَاتِ
التَّشْكِيكِ وَالتَّرْدِيدِ ، أَلْسَائِقِ لَهُمْ إِلَى اتِّبَاعِ رَسُولِهِ
الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا ، وَأَقْتِفَاءِ آثَارِ
صَحْبِهِ الْأَكْرَمِينَ الْمُكْرَمِينَ بِالتَّأْيِيدِ وَالتَّسْنِيدِ ، أَلْمُتَجَلِّي
لَهُمْ فِي ذَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ بِمَحَاسِنِ أَوْصَافِهِ الَّتِي لَا يُدْرِكُهَا إِلَّا

(١) تم إلحاق عقيدة الإمام الغزالي هنا نظراً لوجودها في المخطوطة
(أ)، لكونها أقرب إلى عهد المؤلف، وهي قد انفردت بإثبات «عقيدة
الإمام» عن سائر المخطوطات، علماً بأن هذه العقيدة مثبتة أيضاً في
كتابه القيم «إحياء علوم الدين».

فأثرنا وضعها هنا لِمَا لها من أهمية، ونفعاً للأمة، والله الموفق.

مَنْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ، أَلْمَعَرَفِ إِيَّاهُمْ فِي ذَاتِهِ :
 أَنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فَرْدٌ لَا مِثْلَ لَهُ ، صَمَدٌ لَا ضِدَّ
 لَهُ ، مُنْفَرَدٌ لَا نِدَّ لَهُ .

وَأَنَّهُ وَاحِدٌ قَدِيمٌ لَا أَوَّلَ لَهُ ، أَزَلِيٌّ لَا بَدَايَةَ لَهُ ، مُسْتَمِرٌّ
 الْوُجُودِ لَا آخِرَ لَهُ ، أَبَدِيٌّ لَا نِهَايَةَ لَهُ ، قَيُّومٌ لَا انْقِطَاعَ لَهُ ،
 دَائِمٌ لَا انْصِرَامَ لَهُ ، لَمْ يَزَلْ - وَلَا يَزَالُ - مَوْصُوفًا بِنُعُوتِ
 الْجَلَالِ ، لَا يُقْضَى عَلَيْهِ بِالْإِنْقِضَاءِ وَالْإِنْفِصَالِ بِتَصَرُّمِ
 الْآبَادِ وَانْقِرَاضِ الْأَجَالِ ، بَلْ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ، وَالظَّاهِرُ
 وَالْبَاطِنُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .



- التَّنْزِيهِ

وَأَنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ مُصَوَّرٍ ، وَلَا جَوْهَرٍ مَحْدُودٍ مُقَدَّرٍ .
 وَأَنَّهُ لَا يُمَاطِلُ الْأَجْسَامَ لَا فِي التَّقْدِيرِ ، وَلَا فِي قَبُولِ
 الْإِنْقِسَامِ .

وَأَنَّهُ لَيْسَ بِجَوْهَرٍ وَلَا تَحُلُّهُ الْجَوَاهِرُ ، وَلَا بَعَرَضٍ وَلَا
تَحُلُّهُ الْأَعْرَاضُ ، بَلْ لَا يُمَاقِلُ مَوْجُوداً وَلَا يُمَاقِلُهُ
مَوْجُودٌ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَلَا هُوَ مِثْلُ شَيْءٍ .

وَأَنَّهُ لَا يَحُدُّهُ الْمِقْدَارُ وَلَا تَحْوِيهِ الْأَقْطَارُ ، وَلَا تُحِيطُ
بِهِ الْجِهَاتُ وَلَا تَكْتَنِفُهُ الْأَرْضُونَ وَالسَّمَاوَاتُ .

الْأَسْتِوَاءُ

وَأَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ - عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي قَالَه
وَبِالْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ - أَسْتِوَاءٌ مُنْزَهَا عَنِ الْمُمَاسَةِ
وَالْإِسْتِقْرَارِ ، وَالتَّمَكُّنِ وَالْحُلُولِ وَالْإِنْتِقَالِ ، لَا يَحْمِلُهُ
الْعَرْشُ ، بَلِ الْعَرْشُ وَحَمَلَتْهُ مَحْمُولُونَ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ ،
وَمَقْهُورُونَ فِي قِبْضَتِهِ ، وَهُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالسَّمَاءِ ،
وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى تَخُومِ الثَّرَى ، فَوْقِيَّةٌ لَا تَزِيدُهُ قُرْباً إِلَى
الْعَرْشِ وَالسَّمَاءِ ، كَمَا لَا تَزِيدُهُ بُعْداً عَنِ الْأَرْضِ وَالثَّرَى ،
بَلْ هُوَ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ عَنِ الْعَرْشِ ، كَمَا أَنَّهُ رَفِيعُ

الدرجات عن الثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل
 موجود ، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ، وهو
 على كل شيء شهيد ؛ إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام ،
 كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام .

وأنه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء ، تعالى عن أن
 يحويه مكان ، كما تقدس عن أن يحده زمان ، بل كان قبل
 أن خلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ما عليه كان .

وأنه تعالى بائن عن خلقه بصفاته ، ليس في ذاته
 سواه ، ولا في سواه ذاته .

وأنه مقدس عن التغير والانتقال ، لا تحله الحوادث
 ولا تغتريه العوارض ، بل لم يزل في نعوت جلاله منزهاً
 عن الزوال ، وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة
 الاستكمال .

وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول ، كما أنه مرئي

الذاتِ بِالْأَبْصَارِ ؛ نِعْمَةً مِنْهُ وَمِنَّةً وَلُطْفًا بِالْأَبْرَارِ فِي دَارِ
الْقَرَارِ ، وَإِتْمَامًا لِلنَّعِيمِ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ .



الْقُدْرَةُ

وَأَنَّهُ تَعَالَى حَيٌّ قَادِرٌ جَبَّارٌ قَاهِرٌ ، لَا يَغْتَرِيهِ قُصُورٌ وَلَا
عَجْزٌ ، وَلَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ، وَلَا يُعَارِضُهُ فَنَاءٌ وَلَا مَوْتُ .
وَأَنَّهُ ذُو الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْقُدْرَةِ وَالْجَبْرُوتِ ، لَهُ
السُّلْطَانُ وَالْقَهْرُ وَالْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ
بِيَمِينِهِ ، وَالْخَلَائِقُ مَقْهُورُونَ فِي قَبْضَتِهِ .

وَأَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ وَالْإِخْتِرَاعِ ، وَالْمُتَوَحِّدُ بِالْإِجَادِ
وَالْإِبْدَاعِ ، خَلَقَ الْخَلْقَ وَأَعْمَالَهُمْ ، وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ
وَأَجَالَهُمْ ، لَا يَشِدُّ عَنْ قَبْضَتِهِ مَقْدُورٌ ، وَلَا يَغْزُبُ عَنْ
عِلْمِهِ تَصَارِيفُ الْأُمُورِ ، لَا تُحْصَى مَعْلُومَاتُهُ ، وَلَا تَنْتَاهَى
مَقْدُورَاتُهُ .



الْعِلْمُ

وَأَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ ، مُحِيطٌ بِمَا يَجْرِي مِنْ
تُخُومِ الْأَرْضِ إِلَى أَعْلَى السَّمَاوَاتِ ، لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ
مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، بَلْ يَعْلَمُ دَيْبَ
النَّمْلَةِ السَّودَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ ،
وَيُدْرِكُ حَرَكَةَ الذَّرِّ فِي جَوْ الْهَوَاءِ ، وَيَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ،
وَيَطَّلِعُ عَلَى هَوَاجِسِ الضَّمَائِرِ ، وَحَرَكَاتِ الْخَوَاطِرِ
وَخَفِيَّاتِ السَّرَائِرِ ، يَعْلَمُ قَدِيمَ أَزَلِيٍّ ، لَمْ يَزَلْ مَوْصُوفاً بِهِ
فِي أَزَلِ الْأَزَالِ ، لَا يَعْلَمُ مُتَجَدِّدٍ حَاصِلٍ فِي ذَاتِهِ بِالْحُلُولِ
وَالِإِنْتِقَالِ .



الْإِرَادَةُ

وَأَنَّهُ تَعَالَى مُرِيدٌ لِلْكَائِنَاتِ ، مُدَبِّرٌ لِلْحَادِثَاتِ ، فَلَا
يَجْرِي فِي الْمَلِكِ وَالْمَلَكُوتِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، صَغِيرٌ وَلَا

كَبِيرٌ ، خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ ، نَفْعٌ أَوْ ضَرٌّ ، إِيمَانٌ أَوْ كُفْرٌ ، عِرْفَانٌ
أَوْ نُكْرٌ ، فَوْزٌ أَوْ خُسْرَانٌ ، زِيَادَةٌ أَوْ نَقْصَانٌ ، طَاعَةٌ أَوْ
عِصْيَانٌ .. إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ، وَحُكْمِهِ وَمَشِئَتِهِ ، فَمَا
شَاءَ .. كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ .. لَمْ يَكُنْ ، لَا يَخْرُجُ عَنْ
مَشِئَتِهِ لَفْتَةٌ نَاطِرٍ وَلَا فِلْتَةٌ خَاطِرٍ ، بَلْ هُوَ الْمُبْدِئُ
الْمُعِيدُ ، الْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ ، لَا رَادَّ لِحُكْمِهِ ، وَلَا مُعَقَّبَ
لِقَضَائِهِ ، وَلَا مَهْرَبَ لِعَبْدٍ عَنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ
وَرَحْمَتِهِ ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى طَاعَتِهِ إِلَّا بِمَحَبَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ ؛ فَلَوْ
اجْتَمَعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَالْمَلَائِكَةُ وَالشَّيَاطِينُ عَلَى أَنْ
يُحَرِّكُوا فِي الْعَالَمِ ذَرَّةً أَوْ يُسْكِنُوهَا دُونَ إِرَادَتِهِ وَمَشِئَتِهِ ..
لَعَجَزُوا عَنْهُ .

وَأَنَّ إِرَادَتَهُ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ فِي جُمْلَةِ صِفَاتِهِ ، لَمْ يَزَلْ
كَذَلِكَ مَوْصُوفاً بِهَا ، مُرِيداً فِي أَزْلِهِ ؛ لِيُجُودَ الْأَشْيَاءُ فِي
أَوْقَاتِهَا الَّتِي قَدَّرَهَا ، فَوُجِدَتْ كَمَا أَرَادَهَا فِي أَزْلِهِ مِنْ غَيْرِ

تَقْدُمُ وَلَا تَأْخُرُ ، بَلْ وَقَعَتْ عَلَى وَفْقِ عِلْمِهِ وَإِرَادَتِهِ مِنْ غَيْرِ
تَبَدُّلٍ وَلَا تَغْيِيرٍ ، دَبَّرَ الْأُمُورَ لَا بِتَرْتِيبِ أَفْكَارٍ وَلَا تَرَبُّصِ
زَمَانٍ ، فَلِذَلِكَ لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ .



السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

وَأَنَّهُ تَعَالَى سَمِيعٌ بَصِيرٌ ، يَسْمَعُ وَيَرَى ، لَا يَغْزُبُ عَنْ
سَمْعِهِ مَسْمُوعٌ وَإِنْ خَفِيَ ، وَلَا يَغِيبُ عَنْ رُؤْيَيْهِ مَرِيئٌ وَإِنْ
دَقَّ ، وَلَا يَحْجُبُ سَمْعَهُ بَعْدُ ، وَلَا يَدْفَعُ رُؤْيَيْهِ ظَلَامٌ ،
يَرَى مِنْ غَيْرِ حَذَقَةٍ وَأَجْفَانٍ ، وَيَسْمَعُ مِنْ غَيْرِ أَصْمَخَةٍ
وَأَذَانٍ ، كَمَا يَعْلَمُ بِغَيْرِ قَلْبٍ ، وَيَبْطِشُ بِغَيْرِ جَارِحَةٍ ،
وَيَخْلُقُ بِغَيْرِ آلَةٍ ؛ إِذْ لَا تُشَبِّهُ صِفَاتُهُ صِفَاتِ الْخَلْقِ ، كَمَا لَا
تُشَبِّهُ ذَاتُهُ ذَاتَ الْخَلْقِ .



الْكَلَامُ

وَأَنَّهُ تَعَالَى مُتَكَلِّمٌ أَمْرٌ نَاهٍ وَاعِدٌ مُتَوَعِّدٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ
قَائِمٍ بِذَاتِهِ ، لَا يُشَبِّهُهُ كَلَامُ الْخَلْقِ ، وَلَيْسَ بِصَوْتٍ يَخْدُثُ
مِنْ بَيْنِ أُنْسِلَالِ هَوَاءٍ وَأَصْطِكَكَ أَجْرَامٍ ، وَلَا بِحَرْفٍ يَنْقَطِعُ
بِإِطْبَاقِ شَفَةِ أَوْ تَحْرِيكِ لِسَانٍ .

وَأَنَّ الْقُرْآنَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ كُتِبَتْهُ الْمُنَزَّلَةُ
عَلَى رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

وَأَنَّ الْقُرْآنَ مَقْرُوءٌ بِالْأَلْسِنَةِ ، مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ ،
مَحْفُوظٌ فِي الْقُلُوبِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَدِيمٌ قَائِمٌ بِذَاتِهِ جَلَّ
جَلَالُهُ ، لَا يَقْبَلُ الْإِنْفِصَالَ وَالْإِفْتِرَاقَ بِالْإِنْتِقَالِ إِلَى الْقُلُوبِ
وَالْأَوْرَاقِ .

وَأَنَّ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى
بِغَيْرِ صَوْتٍ وَلَا حَرْفٍ ، كَمَا يَرَى الْأَبْرَارُ ذَاتَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

مِنْ غَيْرِ جَوْهَرٍ وَلَا عَرَضٍ ، وَإِذَا كَانَتْ لَهُ هَذِهِ الصِّفَاتُ ..
 كَانَ حَيًّا عَالِمًا ، قَادِرًا مُرِيدًا ، سَمِيعًا بَصِيرًا ، مُتَكَلِّمًا
 بِالْحَيَاةِ وَالْقُدْرَةِ ، وَالْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ ، وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ
 وَالْكَلَامِ ، لَا بِمَجَرَّدِ الذَّاتِ .



الْأَفْعَالُ

وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا مَوْجُودَ سِوَاهُ إِلَّا وَهُوَ حَادِثٌ
 بِفِعْلِهِ وَفَائِضٌ مِنْ عَدْلِهِ ، عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا ،
 وَاتَّمَمَهَا وَأَعَدَّلَهَا .

وَأَنَّهُ حَكِيمٌ فِي أَفْعَالِهِ عَادِلٌ فِي أَقْصِيَّتِهِ ، وَلَا يُقَاسُ
 عَدْلُهُ بِعَدْلِ الْعِبَادِ ؛ إِذِ الْعَبْدُ يُتَصَوَّرُ مِنْهُ الظُّلْمُ بِتَصَرُّفِهِ فِي
 مِلْكٍ غَيْرِهِ ، وَاللَّهُ لَا يُصَادِفُ لَغَيْرِهِ مِلْكًا حَتَّى يَكُونَ تَصَرُّفُهُ
 فِيهِ ظُلْمًا ، فَكُلُّ مَا سِوَاهُ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ ، وَمَلَكٍ
 وَشَيْطَانٍ ، وَسَمَاءٍ وَأَرْضٍ ، وَحَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ ، وَجَوْهَرٍ

وَعَرَضِ ، وَمُذْرِكٍ وَمَحْسُوسٍ .. حَادِثٌ أَخْتَرَعَهُ بَعْدَ الْعَدَمِ
 أَخْتِرَاعاً ، وَأَنْشَأَهُ إِنْشَاءً ؛ إِذْ كَانَ فِي الْأَزَلِ مَوْجُوداً وَحْدَهُ
 - وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ غَيْرُهُ - فَأَحْدَثَ الْخَلْقَ بَعْدَ ذَلِكَ ؛ إِظْهَاراً
 لِقُدْرَتِهِ وَتَحْقِيقاً لِمَا سَبَقَ مِنْ إِرَادَتِهِ ، وَلِمَا حَقَّ فِي الْأَزَلِ
 مِنْ كَلِمَتِهِ ، لَا لِإِفْتِقَارِهِ إِلَيْهِ وَحَاجَتِهِ .

وَأَنَّهُ مُتَفَضِّلٌ بِالْخَلْقِ وَالْإِخْتِرَاعِ وَالتَّكْلِيفِ لَا عَنْ
 وَجُوبٍ عَلَيْهِ ، وَمُتَطَوِّلٌ بِالْإِنْعَامِ وَالْإِصْلَاحِ لَا عَنْ لُزُومٍ .
 فَلَهُ الْفَضْلُ وَالْإِحْسَانُ وَالنِّعْمَةُ وَالْإِمْتِنَانُ ؛ إِذْ كَانَ
 قَادِراً عَلَى أَنْ يَصُبَّ عَلَى عِبَادِهِ أَنْوَاعَ الْعَذَابِ ، وَيَبْتَلِيَهُمْ
 بِضُرُوبِ الْأَلَامِ وَالْأَوْصَابِ ، وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ .. لَكَانَ مِنْهُ
 عَذْلًا ، وَلَمْ يَكُنْ قَبِيحاً وَلَا ظُلْماً .

وَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُثِيبُ عِبَادَهُ عَلَى الطَّاعَاتِ بِحُكْمِ الْكَرَمِ
 وَالْوَعْدِ ، لَا بِحُكْمِ الْأَسْتِحْقَاقِ وَاللُّزُومِ لَهُ ؛ إِذْ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ
 حَقٌّ ، وَلَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ ظُلْمٌ ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ حَقٌّ .

وَأَنَّ حَقَّهُ فِي الطَّاعَاتِ وَجَبَ عَلَى الْخَلْقِ بِإِيجَابِهِ عَلَى
 أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَا بِمُجَرَّدِ الْعَقْلِ ؛ وَلَكِنَّهُ بَعَثَ
 الرُّسُلَ وَأَظْهَرَ صِدْقَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ الظَّاهِرَةِ ، فَبَلَّغُوا أَمْرَهُ
 وَنَهْيَهُ ، وَوَعَدَهُ وَوَعِيدَهُ ؛ فَوَجَبَ عَلَى الْخَلْقِ تَصْدِيقُهُمْ
 فِيمَا جَاؤُوا بِهِ .



مَعْنَى الْكَلِمَةِ الثَّانِيَةِ ، وَهِيَ : شَهَادَةُ الرَّسُولِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَأَنَّهُ بَعَثَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الْعَرَبِيَّ الْقُرَشِيَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِسَالَتِهِ إِلَى كَافَّةِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَالْجَنِّ
 وَالْإِنْسِ ؛ فَنَسَخَ بِشَرِيعَتِهِ الشَّرَائِعَ إِلَّا مَا قَرَّرَ مِنْهَا .

وَفَضَّلَهُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَجَعَلَهُ سَيِّدَ الْبَشَرِ ، وَمَنَعَ
 كَمَالَ الْإِيمَانِ بِشَهَادَةِ التَّوْحِيدِ - وَهُوَ قَوْلُكَ : (لَا إِلَهَ

إِلَّا اللَّهُ) - مَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِهَا الشَّهَادَةُ بِالرَّسُولِ ؛ وَهُوَ
قَوْلُكَ : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) .

وَالزَّمِ الْخَلْقَ تَصَدِيقَهُ فِي جَمِيعِ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ فِي أَمْرِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَأَنَّهُ لَا يَتَقَبَّلُ إِيْمَانَ عَبْدٍ حَتَّى يُؤْمِنَ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ بَعْدَ
الْمَوْتِ .

وَأَوَّلُهُ : سُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَهُمَا : شَخْصَانِ مَهِيْبَانِ
هَائِلَانِ ، يُقْعِدَانِ الْعَبْدَ فِي قَبْرِهِ سَوِيًّا ذَا رُوحٍ وَجَسَدٍ ،
فَيَسْأَلَانِهِ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيْمَانِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟
وَمَا دِينُكَ ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ وَهُمَا فَتَانَا الْقَبْرِ ، وَسُؤَالُهُمَا أَوَّلُ
فِتْنَةٍ بَعْدَ الْمَوْتِ .

* * *

وَأَنْ يُؤْمِنَ بِعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَنَّهُ حَقٌّ وَحِكْمَةٌ وَعَدْلٌ عَلَى
الْجَسَدِ وَالرُّوحِ عَلَى مَا يَشَاءُ .



وَأَنْ يُؤْمِنَ بِالْمِيزَانِ ذِي الْكَفَتَيْنِ وَاللِّسَانِ ، وَصِفَتُهُ فِي
 الْعِظَمِ مِثْلُ طَبَاقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، تُوزَنُ فِيهِ الْأَعْمَالُ
 بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالصَّنْجُ يَوْمَئِذٍ : مَثَاقِيلُ الذَّرِّ
 وَالْخَرْدَلِ ؛ تَحْقِيقًا لِتَمَامِ الْعَدْلِ ، فَتُطْرَحُ صَحَائِفُ
 الْحَسَنَاتِ فِي كِفَّةٍ مِنَ النُّورِ فَيَثْقُلُ بِهَا الْمِيزَانُ عَلَى قَدْرِ
 دَرَجَاتِهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتُطْرَحُ صَحَائِفُ السَّيِّئَاتِ فِي
 كِفَّةِ الظُّلْمَةِ فَيَخِفُّ بِهَا الْمِيزَانُ بَعْدِلِ اللَّهِ .



وَأَنْ يُؤْمِنَ بِالصِّرَاطِ وَهُوَ حَقٌّ ، وَهُوَ : جِسْرٌ مَمْدُودٌ
 عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ ، أَحَدُ مِنَ السَّيْفِ ، وَأَدْقُ مِنَ الشَّعْرِ ،
 تَزِلُّ عَلَيْهِ أَقْدَامُ الْكُفَّارِ بِحُكْمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَتَهْوِي بِهِمْ إِلَى
 النَّارِ ، وَتَثْبُتُ عَلَيْهِ أَقْدَامُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِ اللَّهِ فَيَسَاقُونَ إِلَى
 دَارِ الْقَرَارِ .



وَأَنْ يُؤْمِنَ بِالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ حَوْضِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَشْرَبُ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ ، وَبَعْدَ جَوَازِ الصِّرَاطِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً .. لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا ، عَرْضُهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، حَوْلَهُ أَبَارِيقُ عَدَدِ نَجُومِ السَّمَاءِ ، فِيهِ مِزَابَانِ يَصُبَّانِ مِنَ الْكَوْثَرِ .



وَأَنْ يُؤْمِنَ بِالْحِسَابِ وَتَفَاوُتِ الْخَلْقِ فِيهِ إِلَى مُنَاقَشٍ فِي الْحِسَابِ ، وَإِلَى مُسَامَحٍ فِيهِ ، وَإِلَى مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَهُمْ : الْمُقَرَّبُونَ .

فَيَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ شَاءَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ ، وَمَنْ شَاءَ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْ تَكْذِيبِ الرُّسُلِ ، وَيَسْأَلُ الْمُبْتَدِعَةَ عَنِ السُّنَّةِ ، وَيَسْأَلُ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْأَعْمَالِ .

وَيُؤْمِنُ بِإِخْرَاجِ الْمُؤَحَّدِينَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ الْإِنْتِقَامِ ، حَتَّى
لَا يَبْقَى فِي جَهَنَّمَ مِنْهُمْ مُوَحَّدٌ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى .



وَأَنْ يُؤْمِنَ بِشَفَاعَةِ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الْعُلَمَاءِ ، ثُمَّ الشُّهَدَاءِ ،
ثُمَّ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ ، كُلٌّ عَلَى حَسَبِ جَاهِهِ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ
تَعَالَى ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَفِيعٌ .. أَخْرَجَ
بِفَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَلَا يَخْلُدُ فِي النَّارِ مُؤْمِنٌ ، بَلْ يُخْرَجُ
مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ .



وَأَنْ يَعْتَقِدَ فَضْلَ الصَّحَابَةِ عَلَى تَرْتِيبِهِمْ ، وَأَنْ أَفْضَلَ
النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ
عُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .
وَأَنْ يُحَسِّنَ الظَّنَّ بِهِمْ وَبِجَمِيعِ الصَّحَابَةِ بِجُمْلَتِهِمْ ،
وَيُثْنِيَ عَلَيْهِمْ كَمَا أَثْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ . فَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ ،
وَشَهِدَتْ بِهِ الْأَثَارُ .

فَمَنْ أَعْتَقَدَ جَمِيعَ ذَلِكَ مُوقِنًا بِهِ .. كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ
وَعِصَابَةِ السُّنَّةِ ، وَفَارَقَ رَهْطَ الضَّلَالَةِ وَحِزْبَ الْبِدْعَةِ .

فَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى : كَمَالَ الْيَقِينِ ، وَالثَّبَاتِ عَلَى الدِّينِ
لَنَا وَلِكَافَةِ الْمُسْلِمِينَ ؛ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

* * *

فَصْلٌ فِي وَجْهِ التَّذْرِيجِ وَالْإِرْشَادِ

فِي تَرْتِيبِ دَرَجَاتِ الْأَعْتِقَادِ

إِعْلَمْ : أَنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ تَرْجَمَةِ الْعَقِيدَةِ يَنْبَغِي أَنْ يُقَدَّمَ
إِلَى الصَّبِيِّ فِي أَوَّلِ نُشُوئِهِ ؛ لِيَحْفَظَهُ حِفْظًا ؛ ثُمَّ لَا يَزَالُ
يُنْكَشِفُ لَهُ مَعْنَاهُ فِي كِبَرِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا .

فَابْتِدَآؤُهُ الْحِفْظُ ، ثُمَّ الْفَهْمُ ، ثُمَّ الْأَعْتِقَادُ وَالْإِيْقَانُ

وَالْتَّصْدِيقُ بِهِ ، وَذَلِكَ مِمَّا يُحْصَلُ فِي الصَّبَا بِغَيْرِ بُرْهَانٍ ،
فَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى قَلْبِ الْإِنْسَانِ شَرْحُهُ فِي أَوَّلِ
نُشُوئِهِ لِلْإِيمَانِ ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ ، وَكَيْفَ
يُنْكِرُ ذَلِكَ وَجَمِيعُ عَقَائِدِ الْعَوَامِّ مَبَادِئُهَا التَّلْقِينُ الْمُجَرَّدُ
وَالْتَّقْلِيدُ وَالتَّعْلِيمُ الْمَخْضُ ؟ !

نَعَمْ ؛ يَكُونُ الْأَعْتَادُ الْحَاصِلُ بِمُجَرَّدِ التَّقْلِيدِ غَيْرَ خَالٍ
عَنْ نَوْعٍ مِنَ الضَّعْفِ فِي الْأَبْتِدَاءِ ؛ عَلَى مَعْنَى : أَنَّهُ يَقْبَلُ
الْإِزَالََةَ بِنَقِيضِهِ لَوْ أُلْقِيَ إِلَيْهِ .

وَلَا بُدَّ مِنْ تَقْوِيَّتِهِ وَإِثْبَاتِهِ فِي نَفْسِ الصَّبِيِّ وَالْعَامِّيِّ حَتَّى
يَتَرَسَّخَ وَلَا يَتَرَلْزَلَ ، وَلَيْسَ الطَّرِيقُ فِي تَقْوِيَّتِهِ أَنْ يُعَلَّمَ
صَنْعَةَ الْجَدَلِ وَالْكَلَامِ ، بَلْ يَشْتَغِلُ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ
وَتَفْسِيرِهِ ، وَقِرَاءَةِ الْحَدِيثِ وَمَعَانِيهِ ، وَيَشْتَغِلُ بِوُضَائِفِ
الْعِبَادَاتِ ، فَلَا يَزَالُ أَعْتَقَادُهُ يَزْدَادُ رُسُوخاً بِمَا يَفْقَهُ سَمْعُهُ
مِنْ أَدِلَّةِ الْقُرْآنِ وَحُجَجِهِ ، وَبِمَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ شَوَاهِدِ

الْأَحَادِيثَ وَفَوَائِدَهَا ، وَبِمَا يَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْوَارِ الْعِبَادَاتِ
وَوَظَائِفِهَا ، وَبِمَا يَسْرِي إِلَيْهِ مِنْ مُشَاهَدَةِ الصَّالِحِينَ
وَمُجَالَسَتِهِمْ ، وَسِيَمَاهُمْ وَسَمَاعِهِمْ ، وَهَيْئَاتِهِمْ فِي
الْخُضُوعِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْخَوْفِ مِنْهُ وَالْأَسْتِكَانَةِ لَهُ ؛ لِيَكُونَ
أَوَّلَ التَّلَقُّينِ كَالْقَاءِ بِذُرِّ فِي الصُّدُورِ ، وَتَكُونَ هَذِهِ
الْأَسْبَابُ كَالسَّقْيِ وَالتَّرْبِيَةِ لَهُ حَتَّى يَنْمُو ذَلِكَ الْبَذْرُ وَيَقْوَى
وَيَكُونَ شَجَرَةً طَيِّبَةً رَاسِخَةً ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي
السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا .

ثُمَّ الصَّبِيُّ إِذَا وَقَعَ نَشُوؤُهُ عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ :

فَإِنْ اشْتَغَلَ بِكَسْبِ الدُّنْيَا .. لَمْ يَنْفَتِحْ لَهُ غَيْرُهَا إِلَّا أَنَّهُ
يَسْلُمُ فِي الْآخِرَةِ بِاعْتِقَادِ الْحَقِّ ؛ إِذْ لَمْ يُكَلِّفِ الشَّرْعُ
أَجْلَافَ الْعَرَبِ أَكْثَرَ مِنَ التَّصَدِيقِ وَالْجَزْمِ بِظَاهِرِ هَذِهِ
الْعَقِيدَةِ ، وَأَمَّا الْبَحْثُ وَالتَّفْتِيشُ وَتَكْلُفُ نُظْمِ الْأَدِلَّةِ : فَلَمْ
يُكَلِّفُوا ذَلِكَ أَصْلًا .

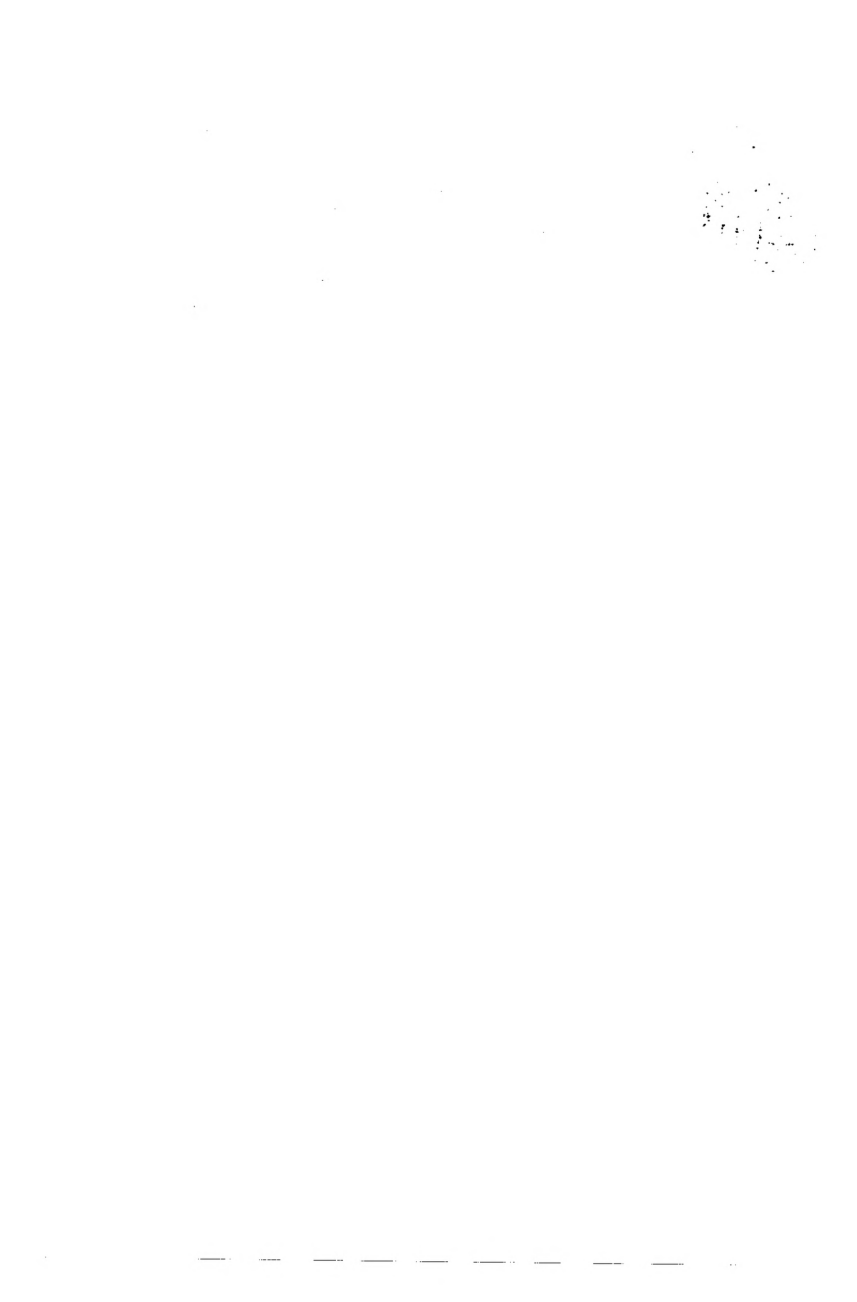
وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مِنْ سَالِكِي طَرِيقِ الْآخِرَةِ وَسَاعَدَهُ
 التَّوْفِيقُ حَتَّى اشْتَغَلَ بِالْعَمَلِ وَلَا زَمَ التَّقْوَى ، وَنَهَى النَّفْسَ
 عَنِ الْهَوَى ، وَاشْتَغَلَ بِالرِّيَاضَةِ وَالْمُجَاهَدَةِ .. انْفَتَحَ لَهُ
 أَبْوَابٌ مِنَ الْهِدَايَةِ تَكْشِفُ عَنْ حَقَائِقِ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ بِنُورِ
 إِلَهِيٍّ يُقْذِفُ فِي قَلْبِهِ ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ الْمُجَاهَدَةِ تَحْقِيقاً
 لَوَعْدِهِ تَعَالَى ؛ إِذْ قَالَ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا
 وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وَهُوَ الْجَوْهَرُ النَّفِيسُ الَّذِي هُوَ غَايَةُ الصِّدِّيقِينَ
 وَالْمُقَرَّبِينَ ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِالسِّرِّ الَّذِي وَقَرَّ فِي صَدْرِ أَبِي
 بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ فَضَّلَ بِهِ الْخَلْقَ .

وَأُنْكِشَافُ ذَلِكَ السِّرِّ - بَلْ تِلْكَ الْأَسْرَارِ - لَهُ دَرَجَاتٌ
 بِحَسَبِ دَرَجَاتِ الْمُجَاهَدَةِ وَدَرَجَاتِ الْبَاطِنِ فِي النِّظَافَةِ
 وَالطَّهَارَةِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَفِي الْأَسْتِضَاءَةِ بِنُورِ
 الْيَقِينِ ، وَذَلِكَ كَتَفَاوُتِ الْخَلْقِ فِي أَسْرَارِ الطَّبِّ وَالْفِقْهِ

وَسَائِرِ الْعُلُومِ ؛ إِذْ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْإِجْتِهَادِ وَاخْتِلَافِ
الْفِطْرَةِ فِي الذِّكَاةِ وَالْفِطْنَةِ وَكَمَا لَا تَنْحَصِرُ تِلْكَ
الدرجات .. فَكَذَلِكَ هَذِهِ .

* * *





أهم مصادر التحقيق^(١)

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، الحافظ علاء الدين علي بن بلبان (٧٣٩هـ) ، شعيب الأرنؤوط ، ط ٣ (١٩٩٧م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .
- إحياء علوم الدين ، الإمام محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ، بدون تحقيق ، (١٩٨٢م) ، دار المعرفة ، لبنان .
- آداب المريدين ، الإمام عبد القاهر بن عبد الله البكري السهروردي (ت ٥٦٣هـ) ، تحقيق فهم محمد شلتوت ، بدون تاريخ ، دار الوطن العربي ، مصر .

(١) اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي : اسم الكتاب ، اسم المؤلف وتاريخ وفاته ، اسم المحقق ، سنة طبع الكتاب ، اسم الدار الناشرة ومقرها .

- الأدب المفرد ، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري
(ت ٢٥٦هـ) ، خرج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ٤
(١٩٩٧م) ، طبعة مصورة لدى دار البشائر الإسلامية ،
لبنان .

- الأذكار « حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات
والأذكار » ، الإمام يحيى بن شرف النووي
(ت ٦٧٦هـ) ، حققه وعلق عليه بشير محمد عيون ،
(١٤١٧هـ) ، مكتبة دار البيان ، سورية .

- البركة في فضل السعي والحركة ، الفقيه محمد بن
عبد الرحمن الحبشي (ت ٧٨٢هـ) ، بدون تحقيق ،
(١٤٠٦هـ) ، طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، لبنان .

- بغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء
المتأخرين ، جمع السيد عبد الرحمن بن محمد باعلوي
(ت ١٣٢٠) ، بدون تحقيق ، بدون تاريخ ، طبعة
مصورة لدى دار المعرفة ، لبنان .

- تحفة المحتاج بشرح المنهاج ، الإمام أحمد ابن حجر
الهيتمي (ت ٩٧٤هـ) ، بدون تحقيق ، بدون تاريخ ،
طبعة مصورة لدى دار صادر ، لبنان .

- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦هـ) ، حققه وعلق عليه محيي الدين مستو وسمير العطار ويوسف بديوي . دار ابن كثير ، سورية .

- تفسير الطبري « جامع البيان في تفسير القرآن » ، الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣٠١هـ) ، بدون تحقيق ، (١٩٧٢م) ، طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، لبنان .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، بعناية محمد أمين الخانجي ، ط ٥ (١٩٨٧م) ، طبعة مصورة لدى دار الكتاب العربي ، لبنان .

- رياض الأنس اقتداءً بسيد الجن والإنس صلى الله عليه وسلم ، الإمام الحسن بن علي النيسابوري الواعظ ، مخطوط لدى دار الكتب الظاهرية بدمشق ، (١١١ ورقة) ، رقمه (٥١٧) و (١٦٦٠٠) .

- الزهد ، الحافظ عبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١هـ) ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدى دار الكتب العلمية ، لبنان .

- سنن ابن ماجه ، الحافظ محمد بن يزيد القزويني
(ت ٢٧٥هـ) ، صححه وعلق عليه محمد فؤاد
عبد الباقي ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدى دار إحياء
الكتب العربية ، مصر .

- سنن أبي داود « كتاب السنن » ، الحافظ سليمان بن
الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) ، « تحقيق الشيخ »
محمد عوامة ، (١٩٩٨م) ، دار القبلة ، السعودية .

- سنن الترمذي « الجامع الصحيح » ، الحافظ محمد بن
عيسى الترمذي (ت ٢٩٧هـ) ، تحقيق أحمد شاكر ومحمد
فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوه عوض ، بدون تاريخ ،
طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- سنن الدارقطني ، الحافظ علي بن عمر الدارقطني (ت
٣٨٥هـ) ، عُنِي به عبد الله هاشم يمانى المدني ،
(١٣٨٦هـ) ، طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، لبنان .

- شعب الإيمان ، الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي
(ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ،
(١٩٩٠م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- صحيح ابن خزيمة ، الحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت ٣١١هـ) ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، (١٩٧٠م) ، المكتب الإسلامي ، لبنان .
- صحيح البخاري « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه » ، الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، الطبعة السلطانية ، تشرف بالعناية به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، (١٤٢٢هـ) ، دار طوق النجاة ، لبنان .
- صحيح مسلم ، الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) ، صححه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ، (١٣٧٤هـ) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء الكتب العربية ، مصر .
- صفة الصفوة ، الإمام عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، صنع فهرسه عبد السلام هارون ، ط ٢ (١٩٩٢م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان .
- العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب ، الإمام أحمد بن عمر المزجد (ت ٩٣٠هـ) ، تحقيق حمدي الدمرداش ، (٢٠٠١م) ، دار الفكر ، لبنان .

- عمل اليوم والليلة ، الحافظ أحمد بن محمد الدينوري المعروف بابن السني (ت ٣٦٤هـ) ، حققه بشير محمد عيون ، ط ٣ (١٩٩٤م) ، مكتبة دار البيان ، سورية .
- عوارف المعارف ، الإمام عمر بن محمد السهروردي (ت ٦٣٢هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف ، (١٩٩٣م) ، دار المعارف ، مصر .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، مجموعة من المحققين ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدى مؤسسة مناهل العرفان ، لبنان .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، الإمام محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ) ، بعناية نخبة من العلماء ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، لبنان .
- لسان الميزان ، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، اعتنى به الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، (٢٠٠٢م) ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان .
- المستدرک على الصحيحين ، الحافظ محمد بن عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ) ، بدون تحقيق ، بدون تاريخ ،

طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، لبنان .

- مسند الإمام أحمد ابن حنبل ، الحافظ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط ، (١٩٩٥م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- مسند الشهاب ، الحافظ محمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤هـ) ، حققه حمدي عبد المجيد السلفي ، (١٩٨٥م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- الفردوس بمأثور الخطاب ، الحافظ شيرويه بن شهردار الديلمي (ت ٥٠٩هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، (١٩٨٦م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- مصابيح السنة ، الإمام الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين ، (١٩٨٧م) ، دار المعرفة ، لبنان .

- مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار ، الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) ، ضبطه وعلق عليه سعيد اللحام ، (١٩٩٤م) ، دار الفكر ، لبنان .

- المعجم الأوسط ، الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني
(ت ٣٦٠هـ) ، د . محمود الطحان ، (١٩٨٥م) ، دار
المعارف ، السعودية .

- المعجم الصغير ، الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت
٣٦٠هـ) ، تحقيق محمد شكور ومحمود الحاج أمير ،
(١٩٨٥م) ، المكتب الإسلامي ، لبنان .

- المعجم الكبير ، الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني
(ت ٣٦٠هـ) ، حققه حمدي عبد المجيد السلفي ،
(١٩٨٣م) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ،
لبنان .

- الموطأ ، الإمام مالك بن أنس (١٧٩هـ) ، الأستاذ محمد
فؤاد عبد الباقي ، بدون تاريخ ، مطبعة عيسى البابي
الحلي ، مصر .

- نوارد الأصول ، الإمام محمد الحكيم الترمذي ، بدون
تحقيق ، (١٢٩٣هـ) ، طبعة مصورة لدى دار صادر ،
لبنان .



فهرس الكتاب

٧	بين يدي الكتاب
١٧	ترجمة الإمام الغزالي
٤١	وصف النسخ الخطية
٤٤	منهج العمل في الكتاب

بداية الهداية

٥٩	خطبة الكتاب
٦٩	- القسم الأول : في الطاعات
٧٢	فصل في آداب الاستيقاظ من النوم
٧٥	باب آداب دخول الخلاء
٧٩	باب آداب الوضوء
٨٨	آداب الغسل من الجنابة

٩٠	آداب التيمّم
٩٢	آداب الخروج إلى المسجد
٩٤	آداب دخول المسجد إلى طلوع الشمس
١٠٧	آداب ما بعد طلوع الشمس إلى الزوال
١١٨	آداب الاستعداد لسائر الصلوات
١٢٥	آداب النوم
١٣٣	آداب الصلاة
١٤٧	آداب الإمامة والقدوة
١٥٦	آداب الجمعة
١٦٤	آداب الصيام
١٧٥	- القسم الثاني : في اجتناب المعاصي
٢١٠	القول في معاصي القلب
	- القسم الثالث : القول في آداب الصحبة
٢٣٣	والمعاشرة مع الخالق ومع الخلق

«عقيدة الإمام الغزالي»

- معنى الكلمة الأولى، وهي: شهادة أن لا إله

إلا الله ٢٧١

التنزيه ٢٧٢

الاستواء ٢٧٣

القدرة ٢٧٥

العلم ٢٧٦

الإرادة ٢٧٦

السمع والبصر ٢٧٨

الكلام ٢٧٩

الأفعال ٢٨٠

- معنى الكلمة الثانية، وهي: شهادة الرسول

صلى الله عليه وسلم ٢٨٢

	السؤال وعذاب القبر، الميزان، والصراط،
٢٨٣	والحوض، والحساب، والبعث، والشفاعة ..
٢٨٦	فضل الصحابة
	فصل في وجه التدرج والإرشاد في ترتيب
٢٨٧	درجات الاعتقاد
٢٩٣	أهم مصادر التحقيق
٣٠١	فهرس الكتاب

* * *





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِلَّامَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا هُدَاؤُهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

